



الجمهورية التركية

جامعة ماردين أرتكلو

معهد اللغات الحية

قسم اللغة العربية وثقافتها

رسالة ماجستير

الأدوات النحوية عند ابن جني

أحمد المحمد

الدكتور إسلام جانكير

ماردين - 2024

الجمهورية التركية
جامعة ماردين أرتقلو
معهد اللغات الحية
قسم اللغة العربية وثقافتها

رسالة ماجستير

الأدوات النحوية عند ابن جني

أحمد محمد

الدكتور إسلام جانكير

ماردين – 2024

TEZ ONAYI

Enstitümüz Arap Dili ve Kùltürü Anabilim Dalı 22765003 numaralı tezli yüksek lisans programı öğrencisi **Ahmed ALMOHAMMED**'in hazırladığı “**İbn Cinni'de dilbilgisi araçları**” başlıklı Yüksek Lisans tezi ile ilgili Tez Savunma Sınavı, Lisansüstü Eğitim-Öğretim ve Sınav Yönetmeliğı uyarınca 01/10/2024 salı günü saat 11.30'da yapılmış, tezin onayına oy çokluğu/oybirliğıyle karar verilmiştir.

Danışman Dr.Öğr.Üyesi Aslam JANKIR	
Dr. Öğr. Üyesi Khaled ALADWANI	
Dr.Öğr.Üyesi Ahmed ALHUSSEIN	

ONAY:

Bu tezin kabulü, Enstitü Yönetim Kurulu'nun 29/08/2024 tarih ve/..... sayılı kararı ile onaylanmıştır.

...../...../20...

Enstitü Müdürü

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية

أتعهد في هذه الأطروحة التي أعددتها متوافقةً مع قواعد كتابة الأطروحة لمعهد التعليم العالي بجامعة ماردين أرتقلو بأنه:

• كل المعلومات الموجودة في الرسالة، حصلتُ عليها في إطار السلوك الأخلاقي والقواعد الأكاديمية.

• عملت وفقاً للأخلاق العلمية والقواعد الأخلاقية في جميع مراحل عمل الأطروحة، بما في ذلك الإعداد، والمعلومات، والوثائق، وجمع البيانات، وتحليل، وعرض المعلومات.

• عزوتُ إلى جميع المصادر المُستخدمة في الأطروحة دون نقص، وتضمنت قائمة المصادر/الببليوغرافيا جميع المصادر المستخدمة.

• عمل الأطروحة أصلي.

• تم مسح هذه الأطروحة من خلال "برنامج الكشف عن الانتحال العلمي" التي تستخدمها جامعة ماردين أرتقلو، وأنها لا تحتوي على انتحال "سرقة أدبية" بأي شكل من الأشكال، وفي حالة حدوث عكس ما بيّنته أقرّ بأنني أقبل جميع التبعات القانونية.

أحمد المحمد

المُلخَص

رسالة ماجستير

الأدوات النحوية عند ابن جني

أحمد المحمد

جامعة ماردين أرتقلو

معهد اللغات الحيّة

قسم اللغة العربية وثقافتها

رصدتُ في هذا البحث آراء أبي الفتح ابن جنيّ بالأدوات النحوية، لمكانته العلمية المرموقة بين علماء النحو والصرف، وتأثيره الواسع في علوم العربية في مرحلة ما بعد القرن الرابع الهجري. وقسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. تناولت في المقدمة أهمية البحث، وسبب اختياره، وأهدافه، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

وفي الفصل الأول عرضتُ سريعاً لحياة ابن جني الشخصية وجهوده العلمية في النحو عموماً، ومذهبه النحوي الذي أثر لزوماً في آرائه في ميدان الأدوات النحوية. وفي الفصل الثاني، بدأت برصد آراء ابن جني في قضايا تخص دراسة الأدوات، مثل الحذف والزيادة والتضمين النحوي.

أما الفصل الثالث، فخصصته للأدوات النحوية الأحاديّة مفردة البنية، وآراء ابن جني في معانيها وأنواعها واستعمالاتها، ومذهبه النحوي في الحكم على بعض القضايا والشواهد القرآنية والشعرية، بينما كان الفصل الرابع مخصصاً للأدوات المركّبة من حرفين فأكثر.

ولم يتّسع البحث للحديث عن جميع الأدوات النحوية التي تحدث عنها ابن جني في كتبه ومؤلفاته، لذلك استقصيتُ منها ما أطل الحديث عنه ونظّر له وطبّقه في عدة مواضع.

وفي الخاتمة ذكرت النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في بحثي، موثقة المصادر والمراجع التي عدت إليها خلال البحث.

الكلمات المفتاحية: الأدوات النحوية، حروف المعاني، الحذف، الزيادة، معاني الأدوات.



Özet

Yüksek Lisans Tezi

İbn Cinni'de Dilbilgisi Araçları

AHMAD AL MOHAMED

Mardin Artuklu Üniversitesi

Türkiye'de Yaşayan Diller Enstitüsü

Arap Dili ve Kültürü Anabilim Dalı

Bu araştırmada, dilbilgisi araçlarıyla ilgili Ebu'l-Feth İbn Cinni'nin görüşlerini inceledim. Bunun sebebi, onun nahiv ve sarf alimleri arasında saygın bir bilimsel konuma sahip olması ve Hicri dördüncü yüzyıldan sonra Arapça ilimleri üzerinde geniş bir etkisinin olmasıdır. Araştırmayı giriş, dört bölüm ve sonuç olarak ayırdım.

Girişte, araştırmanın önemini, seçilme nedenini, hedeflerini, çalışma yöntemini ve araştırma planını ele aldım. Birinci bölümde, İbn Cinni'nin kişisel hayatı ve genel olarak nahiv alanındaki bilimsel çabalarını ve onun dilbilgisi araçları alanındaki görüşlerini zorunlu olarak etkileyen nahiv mezhebinin kısaca inceledim.

İkinci bölümde, dilbilgisi araçları çalışmaları alanında İbn Cinni'nin görüşlerini, eksiltme, artırma ve dilbilgisi içeriği gibi konuları gözlemlemeye başladım. Üçüncü bölümde, yapı bakımından tekil olan dilbilgisi araçlarını, İbn Cinni'nin anlamları, türleri ve kullanımları konusundaki görüşlerini, bazı meseleler ve Kuran ve şiir örnekleri hakkındaki dilbilgisi hükmünü ele aldım. Dördüncü bölüm ise iki veya daha fazla harften oluşan bileşik araçlara ayrılmıştır.

Araştırma, İbn Cinni'nin kitaplarında ve eserlerinde bahsettiği tüm dilbilgisi araçlarını ele almak için yeterli olmadı. Bu nedenle, hakkında uzun uzun konuştuğu ve çeşitli yerlerde teorize edip uyguladığı araçları seçtim.

Sonuç bölümünde ise, araştırmamda ulaştığım sonuçlar ve öneriler ile başvurduğum kaynakları ve referansları belirttim.

Anahtar kelimeler: Gramer araçları, Anlam edatları, Eksilteler, eklemeler, Edatların anlamları.

Abstract

Master's Thesis

"The Grammatical Tools According to Ibn Jinni"

Ahmed Al-Mohammed

Mardin Artuklu University

Languages Living in Turkey

Department of the Arabic Language and its Culture

I worked on this research to monitor the opinions of Abu al-Fath Ibn Jinni regarding grammatical tools, due to his esteemed scholarly status among grammarians and morphologists, and his wide influence on Arabic sciences in the post-4th century AH period. The research is divided into an introduction, four chapters, and a conclusion.

In the introduction, I addressed the importance of the research, the reasons for choosing it, its objectives, the study methodology, and the research plan.

In the first chapter, I briefly presented Ibn Jinni's personal life and his scholarly efforts in grammar in general, focusing on his grammatical doctrine which significantly influenced the field of grammatical tools.

In the second chapter, I began to track Ibn Jinni's opinions on issues related to the study of grammatical tools, such as deletion, addition, and grammatical inclusion.

As for the third chapter, I dedicated it to grammatical tools that are singular in structure, Ibn Jinni's opinions on their meanings, types, and uses, and his grammatical doctrine in judging certain issues with Quranic and poetic evidence. The fourth chapter was dedicated to compound grammatical tools consisting of two or more letters.

The research did not cover all grammatical tools discussed by Ibn Jinni in his books and writings. Therefore, I focused on those that he extensively discussed, examined, and applied in several contexts.

In the conclusion, I mentioned the results and recommendations reached in my research, documenting the sources and references I consulted throughout.

Keywords: Grammatical tools, Particles of meanings, Omission, addition, Meanings of particles.

المقدمة

أتقدّم بخالص الشكر والامتنان إلى مشرفي المحترم الدكتور "إسلام جانكير"، الذي لم يبخل في كل مراحل الدراسة والإعداد، في أن يكون معلماً ومُشرفاً وأخاً نبيلاً، كما أتقدّم بالشكر لكافة الأساتذة في قسم اللغة العربية، وعلى رأسهم الدكتور أحمد عبد الهادي، والدكتور خالد العدوانى، وصديقي المُخلص الدكتور سامر الكاطع.

أحمد المحمد

ماردين - 2024

المحتويات

V.....	المُلخَص
VII.....	Özet
VIII.....	Abstract
IX.....	المَقْدَمَة
XIV.....	المختصرات
15.....	المدخل
20.....	1- حياة ابن جني وجهوده العلمية
20.....	1-1 حياته
23.....	1-2 جهوده العلمية
25.....	1-3 مذهبه النحوي
27.....	2- قضايا خاصة بالأدوات النحوية عند ابن جني
27.....	1.2- منهجه في دراسة الأدوات النحوية
35.....	2. 2- حذف الأدوات النحوية
40.....	2. 3- زيادة الأدوات النحوية
41.....	2. 3. 1- الزيادة للتوكيد
41.....	2. 3. 2- الزيادة للعوض

42	2. 3. 3-الزيادة اللازمة.....
42	2. 3. 4-الزيادة للضرورة.....
43	2. 3. 5-الزيادة الحسنة.....
43	2. 3. 6-الزيادة للتوطئة.....
44	2. 3. 8-الزيادة الغريبة.....
44	2. 3. 9-الزيادة للتضمنين.....
45	2. 4-الحملُ على المعنى عند ابنِ جني فيما يخص الأدوات
52	2. 4. 1-الحملُ على المعنى بزيادة الحرف.....
54	2. 4. 2-الحملُ على المعنى بحذف الحرف
56	2. 4. 3-الحملُ على المعنى بتعليق اللفظ بغير حرفه المعتاد.....
56	2. 4. 3. 1-ما تناوبَ فيه (في) و(على)
58	2. 4. 3. 2-ما تناوبَ فيه (على) و(عن).....
60	2. 4. 3. 3-ما حدث فيه التناوبُ في غير ذلكما.....
63	2. 4. 5-ما لم يرَ فيه تضميناً خلافاً لظاهره.....
66	3-الأدوات الأحادية.....
66	3-1الهمزة.....
66	3. 1. 1-استعمالاتها ومعانيها.....
72	3. 2-الباء.....
90	3. 3-الفاء.....
104	3-4-الكاف المُفردة.....

115	3-5- اللام.....
115	3. 5. 1- الأنواع والمعاني.....
115	3. 5. 1. 1. 1- معانيها.....
123	ونُجْمِلُ لابن جني في اللام الداخلة على خبر (إنَّ) عدَّةَ ملحوظاتٍ.....
139	3. 6- الواو.....
139	3. 6. 1- أنواعها ومعانيها.....
158	4- الأدوات المركَّبة.....
158	4-1 أَل.....
159	4. 1. 1- أقسامها.....
169	4. 2- أَوْ.....
169	4. 2. 1- المعاني.....
175	4. 3- على.....
175	4. 3. 1- معانيها.....
180	4-4 في.....
180	4. 4. 1- المعاني.....
191	4. 6- ما.....
201	4. 7- مِنْ.....
207	الخاتمة.....
	المصادر والمراجع.....

المختصرات

ت : تاريخ الوفاة.

د.ت : دون تاريخ.

د.ط : دون طبعة.

تح : تحقيق.

د. تح : دون تحقيق.

ط : رقم الطبعة.

م : ميلادي.

هـ : هجري.

المدخل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فإن النحو العربي، كغيره من العلوم عَبرَ مراحلَ عديدةٍ حتى استوى علماً ناضجاً متيناً الأركانِ قويَّ البنيان، وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بدَّ من القولِ إنّ النحوَ بلغَ ذروته عندما بدأ النحاة بالخوض في معاني الأدوات النحوية في كتبهم وأبحاثهم، بعدما كانت في مجملها تتناول الأفعال والأسماء.

وفي نشأة النحو العربي تُتداولُ قصصٌ كثيرة، والكثيرُ منها يعوزه السندُ التاريخيُّ الوثيق، وما يعيننا من هذه القصص واحدةٌ مفادها أنّ عليّاً - رضي الله عنه - أوماً إلى أبي الأسود الدؤلي بوضع علمٍ يضبطُ اللسانَ العربيَّ، ويصقلُ أودّه الذي أصابه جراء الاختلاط بالأعاجم، مُوضِحاً في رسالةٍ لأبي الأسود القواعدَ الرئيسةَ لهذا العلم، ومما جاء عنده: "الكلامُ كُلُّه اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، فالاسمُ ما أنبأ عن المسمّى، والفعلُ ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرفُ ما أنبأ عن معنى ليس باسمٍ ولا فعلٍ"¹.

وما يَهمُّنا في رسالة عليٍّ - رضي الله عنه - لأبي الأسود، أنها قسّمتِ الكلامَ على الشكل الذي لا يزالُ مُتبعاً في تبويب النحو حتى يومِ الناسِ هذا، باستثناء بعض المحاولات الحديثة التي سعت لإعادة تبويبه بشكلٍ مختلف، ما يدلُّ على فكرٍ عبقرٍ سابقٍ لزمانه، وهذا ما قُوبِلَ بتشكيكٍ واسعٍ لهذه الرواية، "لأنَّ الأعباءَ التي كان يضطلعُ بها، أثقلُ من أن تُتيحَ له التفكيرَ في ذلك"².

وفيها وردَ أن الحرفَ، ميدانَ بحثنا، هو "ما أنبأ عن معنى ليس باسمٍ ولا فعلٍ"، وقد لقيَ البحثُ عن معاني لحروفٍ اهتماماً واسعاً من بعض الصحابة في محاولتهم لتفسير القرآن

¹ شوقي ضيف، *المدارس النحوية*، ط7، (القاهرة، دار المعارف، د.ت). 14.

² علي النجدي ناصف، *تاريخ النحو*، د.ط، (القاهرة، دار المعارف، د.ت). 9.

الكريم³، ما يعني أن المحاولات الأولى في علم النحو عموماً وفي دراسة حروف المعاني أو الأدوات النحوية، بدأت من الاهتمام بتفسير بعض المعاني في القرآن الكريم، رغم أن الغاية الأولى فيه كانت ضبط اللسان العربي وإنقاذه من ظواهر اللحن.

ورغم أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، إلا أن الميدان الأكثر اختلافاً في تفسيره كان فيما يخص الأدوات النحوية ومعانيها، التي أدت إلى وجهات نظر كثيرة في ميدان الفقه خصوصاً، حتى "لقد أبرز الرجال أهمية معاني الأدوات في هذه الأحكام، وعرضوا لكثير من المسائل الفقهية الهامة في الصوم والغسل والحرق والطلاق... وكانت الباء والفاء ومن وأل وإن وأو وإذا وإلى ميداناً لخلاف كبير بينهم..⁴".

وامتدّ تأثير الأدوات كذلك ليصل كذلك إلى المذهب والعقيدة. ومن ذلك أن الزمخشري - على سبيل المثال - نظر إلى الحرف "إلى" في قوله تعالى: "وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ" (القيامة 22، 23/75) بفكرٍ مختلفٍ عمّا درجَ عليه المفسرون، ولم يرَ تعليقه بـ "ناظرة"، بناء على مذهبه المعتزلي⁵.

وبعد عشرات السنين من بدء التأليف في النحو وفي التفسير أصبحت الأدوات النحوية باباً قائماً بذاته في دراسة علوم العربية، بسبب اختلاف معانيها وكثرة تقلب أوجهها، على خلاف الاسم والفعل، ولهذا فإنها تُعد القسم الوحيد من أقسام الكلم، الذي حظي بمؤلفات خاصة به، أما الاسم والفعل فلم يُفردوا لهما مؤلفات خاصة.

ويُعدّ أبو الفتح عثمان بن جني من أكابر علماء العربية عموماً، والقرن الرابع الهجري خصوصاً، وهو صاحب جهود طائلة في ميدان الأدوات النحوية؛ غير أنه لم يُفرد مؤلفاً خاصاً بذلك أسوة ببعض معاصريه أو ممن سبقه من العلماء.

³ محمود أحمد الصغير، *الأدوات النحوية في كتب التفسير*، ط1، (دمشق، دار الفكر، 2001)، 32.

⁴ الصغير، *الأدوات النحوية في كتب التفسير*، 731-732.

⁵ محمود بن عمر الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل*، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، (الرياض، مكتبة العبيكان، 1998)، 270/6.

ولهذا جعلت بحثي الموسوم بـ:

الأدوات النحوية عند ابن جني

محاولة للوصول إلى كشف أهم آرائه فيها، وتأثير مذهبه النحوي في تعاطيها، بحيث يمكن اعتبارُ البحثِ تبويماً وتصنيفاً لما بثّه أبو الفتح في كتبه من آراء حول هذه الأداة النحوية أو تلك.

دراسات سابقة:

كان ابنُ جَنِّي مثارَ اهتمامٍ في مئات الرسائل والأطروحات الجامعية، من حيثُ جهوده وآراؤه النحوية، ومن بين البحوث التي ركّزت على مذاهبه في باب الأدوات النحوية، بحث "احتمالية الأدوات النحوية في شرح الفسر لابن جني"، الصادر عن "مجلة القادسية للآداب والعلوم التربوية" (العام 1992)، وبحث "الحروف عند ابن جني في معجم لسان العرب"، الصادر عن مجلة كلية التربية للبنات في جامعة بغداد (العام 2018).

أسباب اختيار البحث:

- 1- عدم وجود دراسات سابقة حول آراء ابن جني في الأدوات النحوية.
- 2- جمع شتات آرائه ومذاهبه في الأدوات النحوية من خلال استخراجها من مجمل كتبه.
- 3- رصد تأثير مذهبه النحوي البصري في ميدان الأدوات النحوية.
- 4- كشف مدى التزامه أو تناقضه بآرائه في مجمل مؤلفاته.
- 5- تسليط الضوء على فكره التجديدي في معرض حديثه عن آراء العلماء في بعض الأدوات.

إشكالية البحث:

من خلال هذا البحث سأحاول الإجابة عن التساؤلات التالية:

- 1- هل طبق ابن جني مذهب البصري في الأدوات النحوية التي ناقشها؟
- 2- هل اكتفى بالنقل عمّن سبقوه أو كان له آراء واجتهادات خاصة؟
- 3- هل سار في كل كتبه على آراء ثابتة عند حديثه عن أداة نحوية معينة؟

منهج البحث:

سار الباحث في الرسالة على تطبيق المنهج الاستقرائي؛ لأن ابن جني لم يؤلف كتاباً خاصاً بالأدوات، مع الأخذ بالمنهج الوصفي حيناً، والمعياري حيناً آخر، إضافة إلى استخدام المنهج المقارن في بعض الحالات الضرورية.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مدخل وأربعة فصول وخاتمة، فالفصل الأول بعنوان: (حياة ابن جني وجهوده العلمية)، ذكرت فيه باقتضاب أهم معالم شخصية ابن جني وحياته وعصره، وعرّجت فيه على جهوده العملية ومؤلفاته، ثم تحدثت عن مذهب النحوي كواحد من أساسيات البحث، لمعرفة مدى تطبيقه هذا المذهب في الأدوات النحوية.

وكان الفصل الثاني بعنوان: (قضايا خاصة بالأدوات النحوية: الحذف والزيادة والتناوب)، وعرضت فيه لثلاثة من أهم الظواهر التي تلازم دراسة الأدوات النحوية، وهي الحذف والزيادة وقيام الحروف مقام بعضها، أو ما يُعدّ أحد أبواب الحمل على المعنى والتضمين النحوي.

أما الفصل الثالث فكان خاصاً ببعض الأدوات الأحادية المفردة في البنية، التي أكثر ابن جني الحديث عنها في كتبه، مثل الهمزة والواو والفاء، وتناولت الدراسة معانيها وأنواعها وبعض الظواهر الطارئة عليها.

وعلى نحو مشابه جاء الفصل الرابع مخصصاً للأدوات المركبة في البنية، وعرض لأهم ما تحدث به ابن جني عنها، مثل أل ولا وما.

وأنهت الرسالة بخاتمة تحوي النتائج والتوصيات، تليها المصادر والمراجع.

صعوبات البحث:

لعل أهم ما اعترضني من صعوبات في الرسالة، هو تناثر مادة البحث (الأدوات النحوية) في مجمل كتب ابن جني وعدم وجود خطة ثابتة أو منهج لاحبٍ عنده في مناقشتها، إذ يلتزم في معظم مؤلفاته منهج الاستطراد وتداخل الأفكار وكأنه في حلقة درس. هذا بالإضافة إلى غزارة مؤلفاته، ما استوجب قراءتها سطوراً سطوراً لصيد رأي له هنا، والعثور على توجيه له هناك.

وفي الختام، أرجو من الله -عز وجل- أن أكون حققت ما صبوْتُ إليه من البحث، رغم الإقرار بالتقصير مسبقاً، وعلى الله التكلان، ومنه التوفيق، وبه الاستعانة.

أحمد المحمد

1- حياة ابن جنّي وجهوده العلميّة

1-1 حياته

هو أبو الفتح عثمانُ بنُ جنّي (بسكون الياء) الموصلي، من أحقّق أئمة النحو والتصريف واللغة. لا يذكُر له المترجمون نسباً وراء اسمه واسم أبيه، ذاك أن أباه كان مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي⁶، الذي كان من رجالات الموصل المهمّين، وذكر رُوميّته صراحةً في شعره، فقال⁷:

فإن أصبح بلا نسبٍ فعلمي في الوريّ نسبي
على أني أوّل إلى قروم سادة نُجُب
ألاك دعا النبيّ لهم كفى شرفاً دعاء نبي

في إشارة إلى أثرٍ منسوبٍ للرسول -صلى الله عليه وسلّم- أنه دعا لهرقل قيصر الروم "بتثيت ملكه" بعد أن أكرم رسول النبيّ إليه.

و"جنّي" -بكسر الجيم وتشديد النون وتسكين الياء- علّم روميّ، وهو مُعرّب "كنّي" بحسب ما نقل الدكتور فاضل صالح السامرائي، أو مُعرّب "جنايس"، ومعناها "كريم، نبيل، جيّد الفكر، عبقرى، مُخلص"⁸.

⁶ عبد الرحمن بن محمد الأنباري، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1998)، 287.

⁷ ابن الأنباري، *نزهة الألباء*، 287.

⁸ فاضل صالح السامرائي، *ابن جنّي النحوي*، د.ط، (بغداد، دار النذير، 1969)، 22.

وُلد بالموصل عام 322 هـ وفقاً لمعظم الذين ترجموا له، فيما لم يَقْطَع آخرون بتحديد عام ولادته، وقالوا إنها كانت قبل 330 هـ⁹، بينما أجمع غالبيتهم على أنه تُوفِّي سنة 392 هـ، في خلافة "القادر بالله" العباسي، وكانت الموصل آنذاك تحت نفوذ الدولة الحمدانية، التي اهتمت أمرؤها بالآداب والعلوم والتصانيف، وجمعوا في بلاطاتهم العلماء والشعراء والأدباء، وأجزلوا لهم العطايا، ولا سيما سيف الدولة، "الذي كان قصره ملتقى الأدباء ومنتدى العلماء والشعراء"¹⁰.

وأقام أبو الفتح في الموصل منذ ولادته إلى سنة 337 هـ¹¹، وهناك تتقل بين حلقات الدرس ومشايخ النحو، وأبرزهم أبو العباس الأخفش (أحمد بن محمد الموصلي)، ويبدو أن موهبته ونبوغه العلمي تفتحت باكراً، حتى إنه تصدر للتدريس في حلقات العلم بجامع الموصل، وهناك حصل اللقاء الأول بينه وبين شيخه أبي عليّ الفارسي، الذي مرّ بحلقة ابن جنّي فوجده يتحدث بمسألة صرفية، فاعترض عليه وقال له: "زُيِّبَ قبل أن تتحصّر"، ولم يعرف ابن جنّي أبا عليّ وقتذاك إلا بعد أن سأل الحاضرين عنه، ثم إنه لحقه وطلب الانضمام إليه وكان يقصد بغداد، فكان ذاك الموقف سبباً لمرافقته الفارسي نحو أربعين سنة إلى أن مات¹²، وكان سبباً كذلك في جعل ابن جنّي أحد أهمّ أعلام النحو واللغة والتصريف في القرن الرابع الهجري.

وأُتاحت له مرافقته أبا عليّ الفارسي أن يقف بين يدي وزراء وأمرء في عدة بلدان، وبينهم سيف الدولة الحمداني، إذ تعرّف في بلاطه إلى أبي الطيّب المتنبّي، وانعقدت بينهما صداقة متينة، حتى بات ابن جنّي بمثابة "الشارح الرسمي" لأشعار أبي الطيّب، وألّف في ذلك تصنيفاً كبيراً سمّاه "الفسر".

⁹ السامرائي، ابن جنّي النحوي، 23.

¹⁰ السامرائي، ابن جنّي النحوي، 20.

¹¹ رضا رجب، مقدّمة تحقيق الفسر، شرح ابن جنّي الكبير على ديوان المتنبّي، ط1، (دمشق، دار الينابيع، 1999). (2004).

¹² ابن الأنباري، نزّهة الألباء، 288.

ومما تذكره كتب التراجم من صفاته الجسدية أنه كان مُمتعاً بإحدى عينيه، وفي ذلك يقول في صديق له:

صدودك عني ولا ذنب لي دليل على نية فاسده

فقد -وحياتك- مما بكيث خشيت على عيني الواحدة

ولولا مخافة ألا أراك لما كان في تركها فائدة¹³

وقد يبدو ذلك في معرض التعريف بآبن جني تفصيلاً غير ذي قيمة، غير أنه يضيف في سيرة الرجل مزيداً من العلو والرفعة والسؤدد في العلم، لأن هذا العيب الجسدي في إحدى عينيه لم يشكل عائقاً أمامه كي يجد في دروب الدرس والعلم والبحث.

أما في تفاصيل أخلاقه، فذكر أصحاب التراجم أنه رجل صدق وعفة ومروءة، ولم يؤثر عنه ما شاع في تلك المرحلة الزمنية من تعاطي المجون واللهو¹⁴، وكان يتحاشى الفجور أو الفحش في لسانه أو في قلمه، وقد ذكر الشريف الرضي ذلك في رثائه لأبي الفتح فقال:

مضى طيب الأردان يارج ذكره أريج الصبا تندى لعننين ناشق

وما احتاج بُرداً غير بُرد عفافه ولا عرف طيب غير تلك الخلائق¹⁵

وكان لابن جني من الأولاد ثلاثة: علي وعال وعلاء، "وكلهم أدباء فضلاء قد خرّجهم والدهم وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيح الضبط وحسن الخط"¹⁶.

¹³ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ط1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993)، 4/1588.

¹⁴ السامرائي، ابن جني النحوي، 26.

¹⁵ الشريف الرضي، الديوان، د. تح، ط1، (إيران، وزارة الإرشاد الإسلامي، 1406هـ)، 2/66.

¹⁶ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 4/1589.

1-2 جهوده العلميّة

"ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المُفَقَلاتِ وشرح المشكلاتِ ما له؛ ولا سيّما في علم الإعراب، فقد وقع منها على ثمرة الغراب، ومن وقفَ على مصنّفاتِه وقفَ على بعضِ صفاتِه"¹⁷.

لعلّ الاقتباس السابق للقفطي يختصرُ المكانةَ العلميّةَ التي تبوّأها ابنُ جني في ميدان علوم العربية باختلاف مشاربيها وأقسامها، فكان من أصحاب السبق في اللغة والنحو والتصريف.

وتوفّرت عدّة عواملٍ أسهمت في أن ينال أبو الفتح تلك المكانةَ العلميّةَ السامقةَ بين أقرانه، وأهمّها العصرُ الذهبيُّ الذي عاش فيه، الذي ازدحم فيه العلماءُ الأكابرُ وغصّت فيه دُورُ الكتبِ ومحلّاتُ الورّاقين بأمّهات التصانيف والتأليف، وكلُّ ذلك بتشجيع وتكريم من أصحاب الإمارة والرؤساء والخلفاء والوزراء.

وجرّاء ذلك تهيّأ لابن جني أن يتلمذَ على يد الأفاضل من علماء النحو واللغة، وعلى رأسهم شيخه أبو عليّ الفارسيّ الذي يُعدُّ "أوحدَ زمانه في العربية"، والذي سلف أنه صحبه أربعين سنةً مُتتاليين من الموصل لبغداد وحلب والشام وشيزاز وغيرها، ونهل من علومه وأفاد من مؤلفاته الغزيرة بما تحويه من أعقد المسائل وأدقّ الأبواب.

وجميع الذين ترجموا له دبّجوا له من عبارات الثناء ما يدلُّ على مكانة علميّة استثنائيّة، حتى إنّ المقبوس السابق للقفطي رُويَ بنصّه في أكثر من ترجمة لابن جني دون نسبته لأحدٍ مُخصّص،

¹⁷ علي بن يوسف القفطي، *إنباه الرواة على أنباه النحاة*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1952). 338/2.

وكأنما صارت هذه الصفات لصيقةً بأبي الفتح دالةً عليه، وحتى إنّ أبا منصور الثعالبي قال فيه:
"هو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب"¹⁸.

ويُعدّ ابنُ جنّي في قائمة العلماء المُكثريّ في التصنيف والتأليف، وترك في المكتبة العربية تراثاً ضخماً توزّع بين النحو والصرف والعروض واللغة والقراءات، وليست كتبه هي فقط التي يتم تداولها هذا الأيام، بل ثمة من كتبه ما طواه الضيّاع ودثرت أیدی السنين. وهذه أبرزُ كتبه المطبوعة:

- 1- سرّ صناعة الإعراب.
- 2- الخصائص في النحو، وهو أشهر مؤلف لابن جنّي واختزل فيه مذاهبه في النحو وعقليته في التعاطي مع اللغة والنحو والتصريف.
- 3- كتاب المُقتَضَب في اسم المفعول من الثلاثي المعتلّ العين.
- 4- التمام في شرح أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكّري.
- 5- المُحتَسَب في تبیین وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها.
- 6- الفسر في شرح ديوان المتنبي.
- 7- تفسير أرجوزة أبي نواس.
- 8- اللّمع في العربية.
- 9- الخاطريات.
- 10- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي. المعروف أيضاً باسم "الفسر الصغير".

¹⁸ علي بن الحسن الباخري، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تح: محمد راغب الطباخ، ط1، (حلب، مطبعة الطباخ، 1930). 297.

11-التصريف الملوكي.

12- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة.

13-المُبْهَج في تفسير أسماء شعراء الحماسة.

14-المُنْصِف في شرح كتاب التصريف للمازني.

1-3 مذهب النحوي

لعلّ مذهب الاعتزال لدى ابن جنّي أثر جليّاً في تعاطيه لمسائل النحو ودقائق المسائل، ويؤكد الدكتور فاضل السامرائي أنّ أبا الفتح كان معتزليّاً كأستاذه أبي عليّ الفارسيّ، "تتردّد آراؤه في الاعتزال في كتبه، وتطّبع بحثه أحياناً"¹⁹، ويسوق لذلك مجموعة من الأدلّة المنقولة من كتب ابن جنّي.

وما يهمّنا هنا أن فكر الاعتزال انعكس في آراء كثيرة له، حيث تعامل مع النحو والتصريف بمنهج عقليّ رغم اعتماده النُّقُولَ عن العلماء الذين سبقوه، كما ظهر ذلك في طغيان مبدأ القياس لديه، ولصوّقه بالتعليل، واعتماده مبدأ "الحكم بين الحكمين" في النحو، وقد عقد له باباً في كتاب "الخصائص"، مسترشداً بمبدأ "المنزلة بين المنزلتين" عند المعتزلة.

أمّا في المذهب النحويّ فيقطع ابن جنّي الحديث عن ذلك بتكرار كلمة "أصحابنا" في جميع مؤلفاته، قاصداً به البصريين الذين ينتصر لآرائهم على حساب من يسمّيهم تارةً "الكوفيين"، وتارةً "البغداديين".

غير أن عالماً بفكر ابن جنّي لا يمكن أن يوطّر نفسه بمدرسة نحوية واحدة يردّد آراءها دون إضافة رأيه الشخصي، ولهذا ألحّ الدكتور شوقي ضيف على عدم تصنيفه ضمن المدرسة البصرية، ووضعها في قائمة من سمّاهم "نُحاة المدرسة البغدادية".

¹⁹السامرائي، ابن جنّي النحوي، 52.

يقول "ضيف": "ولا يكفي أن ينسب ابنُ جني وأبو علي الفارسي أنفسهما في البصريين، لنعدّهما حقاً منهم، فإنهما اتّبعَا في مصنّفاتهما المذهبَ البغداديّ الانتخابي، وإن كانت قد غلبت عليهما النزعةُ البصرية، وهي لا تُخرِجُهما عن دوائرِ الاتجاهِ البغداديّ القائمِ على الانتخاب من آراءِ البصريين والكوفيين"²⁰، وبهذا الاقتباس يوضّح "ضيف" سببَ عدم إدراجِه ابنَ جني في قائمة النحاة البصريين ووضعه في مدرسةٍ أطلق عليها "الانتخابية"، وتعني الأخذَ من آراءِ البصريين والكوفيين معاً بلا تعصّب.

وما يرجّحُ كلامَ الدكتور شوقي ضيف في عدم تصنيف ابنِ جني وأستاذه أبي علي ضمن نحاة البصرة، أن مذهبَهما الاعتقادي -كما أسلفنا- أثرٌ في فكرهما النحوي، فكانا أبعدَ من أن يلتزما بخطوط صارمةٍ لهذه المدرسة أو تلك "مع نزعةٍ شديدةٍ للبصريين، ومع الفسحة وفتحِ الأبواب على مصاريعها للاجتهد ومخالفةِ البصريين والكوفيين، بقدر ما يؤدّبهما النظرُ وتُسعِفُهما الحُجة"²¹.

²⁰ضيف، المدارس النحوية، 246.

²¹ضيف، المدارس النحوية، 268.

2- قضايا خاصة بالأدوات النحوية عند ابن جني

يقتضي البحث في الأدوات النحوية تناول عدّة ملفات تخصّ منهج التأليف، والمذهب النحويّ، إعمالها وإهمالها، والرتبة النحوية فيها، وذكر لغاتها وبنيتها، وحذفها وزيادتها، ويركّز هذا الفصل على ثلاث قضايا هي الأهم في هذا الباب.

1.2- منهجه في دراسة الأدوات النحوية

الحديث عن منهج ابن جني في عرض آرائه بالأدوات النحوية يقتضي حقيقة الحديث عن النحو العربيّ عموميه، فالموضوعات التي طرحها النحاة منذ مئات السنين تكاد تكون واحدة، والذي يختلف هو الطرح وطريقة المعالجة والمناقشة والتبويب، فما من عالم ألفت في النحو قديماً، خرج عن ميدان العوامل والمعمولات من حيث الإعمال والإهمال، والرتبة والحذف.

والكلام نفسه ينطبق على الأدوات النحوية، فقد تنوّعت طرق معالجتها والحديث عنها عند النحاة على مسالك عدّة.

فمنهم من تحدّث عنها بشكل شذرات من الآراء متناثرة هنا وهناك، فيكون الحديث عنها غير مقصود لذاته غالب الأمر، وهذا ما نجده في كتاب سيبويه (ت 180 هـ)، وفي كتب معاني القرآن، للفرّاء (ت 207 هـ)، والأخفش الأوسط (ت 215 هـ)، والزجاج (ت 310 هـ)، وغيرهم. ونستطيع أن نقول إنّ غالبية ما ذكرنا من أمثلة هذا النوع جاء في مرحلة البدايات.

ومنهم من أفرد للأدوات مؤلفاً ذكر فيه خصائصها ومعانيها، مثل كتاب "حروف المعاني" لأبي القاسم الزجاجي (ت 340 هـ)، وكتاب "معاني الحروف" لأبي عيسى الرّماني (ت 384 هـ). وبعضهم أفرد للحديث عن الأدوات باباً أو فصلاً من كتاب ليس موضوعاً كلّهُ للأدوات، وهذا ما فعله ابن هشام (ت 761 هـ) في "مغني اللبيب"، ونجد الأمر نفسه قبلاً عند ابن فارس (ت 395 هـ) في كتاب "الصاحبي"، وبعداً عند السيوطي (ت 911 هـ) في كتاب (همع الهوامع).

وقليلٌ منهم مَنْ أفرد كتاباً خاصاً للحديث عن أداةٍ مُعيّنة، مثلما فعلَ الزّجّاجي في كتاب "اللامات".

أمّا ابنُ جنّي فيمكنُ إجمالُ سماتِ أسلوبه في مناقشة الأدوات النحوية بالبنود التالية:
أ- ليسله مؤلّفٌ خاصٌّ بالأدوات النحوية، سواءً للحديث عن أبواب الأدوات أو تفضيل معاني أداةٍ واحدة.

ورغمَ أن ابن جنّي خصّص في كتاب "سرّ صناعة الإعراب"، بعضَ الفصولِ للحديث عن بعض الأدوات، إلا أنه دَمَجَ في ذلك بين كونها حرفَ معنًى وحرفَ مبنى، أي بين النحو والصرف. فأراه في الأدوات النحويّة لا تبويب فيها، ولا منهج ثابتاً، ولا طريقاً لاحباً يستطيع الدارس أن يسير فيه بلا عَقَبَاتٍ تعترضه، إنما يجري حديثه عن الأدوات في مناسباتٍ شتّى، إذ يتحدث عن حرفٍ ما عند تفسيره أحدَ أبياتِ الحماسة أو أحدَ أشعارِ المتنبي، أو في توجيه إحدى قراءاتِ القرآن.

ب- يقودنا البندُ الأولُ إلى ظاهرةٍ مرتبطة به، إذ إنّ عدمَ وجودِ مؤلّفٍ خاصٍّ له بالأدوات النحوية، وفقدانُ التبويبِ والترتيبِ في عرض آرائه حولها، أدى إلى عدم استيفاء المعلومات في مكانٍ واحد.

فأراه حول هذه الأداة أو تلك لا تأتي كاملةً مُستوفاةً في مؤلفاته، إنما يعرضها على طريقة الأمالي السريعة أو التعليقِ العابرِ على آية قرآنية أو بيت شعرٍ أو جملةٍ لأحد الأعراب، ولمعرفة رأيه كاملاً يجبُ على الباحث قراءة جميع كتبه وجمع شتات آرائه في سلكٍ واحد.

ج- ويوصلنا ذلك إلى ظاهرةٍ واضحة، وهي تَكَرُّرُ الشواهدِ والأمثلةِ في معرض حديثه عن الأداة، وتَكَرُّرُ التعليقِ عليها أيضاً بشكل شبه حرفيّ، كما سنرى.

د-ومن سمات أسلوبه في ميدان حديثه عن الأدوات، ولَّعه بإعطاء عدّة آراء، وعدم الوقوف عند رأي واحد، فكأنما هو يعرض على القارئ بضاعته ويقول له: خذ منها ما يميل إليه عقلك وتجده أكثر منطقية، وهذا -بلا شك- واحد من آثار فكره الحر الذي طبع به بحكم مذهب الاعتزال.

ه-غير أن تعدّد الآراء لا يأتي دائماً في سياق عرض خيارات متضادة، فمن مظاهر أسلوبه في الحديث عن الأدوات وقوعه في التناقض وتعاكس الآراء بعض الأحيان، ويبدو هذا منطقياً لدى العلماء الذين ألفوا كتباً ورسائل في أزمنة متباعدة وبلدان شتى، وما يطرأ وفقاً لذلك من تبدلات في آرائهم.

وابن جني كأنما اعتذر بنفسه لنفسه ولأقرانه من العلماء بوضعه باباً كاملاً في كتاب الخصائص سمّاه (باب في اللفظين عن المعنى الواحد يردان عن العالم متضادين)²²، يضع فيه عدّة اعتبارات لهذا التناقض أو الرجوع عن الرأي القديم، بينها اختلاف الزمان.

ومنه ما نقله عن شيخه أبي عليّ من أن المبرّد كان يعتذر عن تتبّع كلام سيبويه فيما سمّاه "المسائل الغلط"، ويقول: "هذا شيء كنا رأيناه أيام الحداثة، فأما الآن فلا"²³.

وبينها "أن يحكم في شيء بحكم ما، ثم يحكم فيه نفسه بضده، غير أنه لم يُعلّل أحد القولين، فينبغي حينئذ أن يُنظر إلى الأليق بالمذهب، والأجربى على قوانينه، فيجعل هو المراد المُعترَم منهما، ويُتأوّل الآخر إن أمكن"²⁴.

²²ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، د.ط، (مصر، دار الكتب المصرية، د.ت). 200/1.

²³ابن جني، الخصائص، 206/1.

²⁴ابن جني، الخصائص، 206/1.

ثم إنه يُحيلنا في موضعٍ آخرٍ إلى التاريخ، لمعرفة أحدثِ الرأيين المتناقضين والحكم بصحة الأحدثِ منهما، فإن لم يُعرفِ التاريخُ فإنه يوصي بـ"إحسان الظنِّ بذلك العالم، وأن يُنسبَ إليه أن الأقوى منهما هو قوله الثاني.... هذا مُقتضى العُرفِ وعلى إحسانِ الظن، فأما القطعُ الباثُ فعند الله عِلْمُهُ"²⁵.

ويُقرّ ابنُ جَنِّي بأن نهجَ التناقضِ وإيرادِ آراءٍ مختلفةٍ سِمَةً طَبِيعِيَّةً عند العلماء، فيقول عن سعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط): وقد كان أبو الحسن ركباً لهذا الشج، أخاذاً به، غيرَ مُحْتَشِمٍ منه، وأكثرَ كلامه في عامّة كتبه عليه. وكنْتُ إذا ألزمتُ عند أبي عليٍّ -رحمه الله- قولاً لأبي الحسن شيئاً لا بدّ للنظر من إلزامه إياه، يقولُ لي: مذهبُ أبي الحسنِ كثيرةٌ"²⁶.

بل إن ابنَ جَنِّي ينقلُ عن شيخه أبي عليٍّ الفارسي اعترافه بالأخذ بهذا النهج. يقول: "وكان أبو عليٍّ -رحمه الله- يقول في (هيهات): أنا أفتي مرةً بكونها اسماً سُمِّيَ به الفعل، ك: صه ومه، وأفتي مرةً بكونها ظرفاً، على قدر ما يحضُرني في الحال"²⁷.

وكان أبا الفتح يعتذرُ لنفسه مما قد يجده قارئُ مؤلفاته من التناقضات واختلافِ الآراء والمذاهبِ في الحكمِ نفسه، وهذا منطقيٌّ جداً في الاعتذارات التي ذكرها، وأهمُّها عاملُ التاريخ، غيرَ أنَّ ما يبدو غيرَ منطقيٍّ هو النقلُ الأخيرُ الذي ينسبُه للفارسي، وهو عبارة (على قدر ما يحضُرني في الحال)، التي تُحيلُ المذهبَ النحويَّ للعالمِ إلى فوضى عارمةٍ لا ضابطَ فيها ولا منهجَ ثابتاً، ولو طُبِّقت في عامة النحو وعلومِ العربية وعلومٍ أخرى، لضاع العلمُ -أحسبُ- وانتفى وجودُ مذاهبٍ ومدارسٍ ومناهجٍ مُنتظمة.

²⁵ابن جني، الخصائص، 205/1.

²⁶ابن جني، الخصائص، 205/1.

²⁷ابن جني، الخصائص، 206/1.

ومن التناقضات الجلية التي وقع فيها ابنُ جني، حديثُه عن الفاء قبل (إذا) الفجائية في قولنا: خرجتُ فإذا زيدٌ. إذ يذكر -كما سيأتي- ثلاثة آراءٍ لأبي إسحاق الزيادي، وأبي عثمان المازني، ومبرمان.

وهو في كتاب (سر صناعة الإعراب)²⁸ يأخذ بقول "المازني" في أنها زائدة ويقدم لذلك الحُجج والبراهين، غير أنه في (الخصائص) ينقُض رأيه هذا ويقول: "وبهذا يقوى عندي قولُ مبرمان إنَّ الفاء في نحو قولك: (خرجتُ فإذا زيدٌ) عاطفة، وليست زائدة كما قال أبو عثمان"²⁹.

وفي هذا المقام ليس المقصودُ فقط التناقضُ في ترجيح الرأي الواردِ عن غيره، إنما يحضُر كذلك التخبُّطُ والفوضى في رأيه الخاص. ومن أمثلة ذلك قوله في حذف همزة الاستفهام إنه ضعيفٌ على كل حال³⁰، وهو "مما يختصُّ بالتجوز فيه الشعر"³¹، وحين يقف عند توجيه القراءة الشاذة لقوله تعالى: "إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"³² (البقرة 6/2)، يقول إن التقدير (أأنذرتهم)، ثم حذف همزة الاستفهام تخفيفاً لكرهة الهمزتين، "فإن قيل: فلعله حذف همزة (أأنذرتهم) لمجيء همزة الاستفهام..... قيل: قد ثبت جوازُ حذفِ همزة الاستفهام على ما أرينا

²⁸ ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن إسماعيل، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2000). 272/1.

²⁹ ابن جني، الخصائص، 320/3.

³⁰ ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وآخرين، د.ط، (القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1994). 50/1 - 282/2.

³¹ ابن جني، المحتسب، 323/2.

³² قراءة حفص عن عاصم: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلَّذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).

في غير هذا، فيجب أن يُحمل عليه أيضاً³³. فكيف يكون حذف همزة الاستفهام في ضرورات الشعر، ويكون على أساسه توجيه قراءة قرآنية مع قوله "قد ثبت جواز حذف همزة الاستفهام"؟!.

و-تتبع المعنى:

وهو ممن اهتم بالمعنى أيما اهتمام، وجعله الغاية المقصودة في كلام العرب، بل إنه يربط صحة الإعراب بالمعنى كلياً، ويجعلها الأساس. يقول: "فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب"³⁴.

ووفقاً لذلك فإنه حين يذكر معنى أداة ما، فإنه مع مراعاة الصنعة، لا يغض الطرف عن خدمة المعنى والحفل به.

ففي قوله -تعالى- "إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ" (المؤمنون 6/23) يقول إن (ما) المختصة بغير العاقل استخدمت هنا للدلالة على العاقل "من حيث كان مؤنثاً، وليست للمرأة عصمة المذكر. فكان المرأة لتأنيثها - بالإضافة إلى الرجل - مأل أو متاع"³⁵، ويقوي رأيه هذا بقوله تعالى: "يَسْأَلُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ" (البقرة 2/223)، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: المرأة ضلعٌ عوجاء. ثم يقول: "وهذا وإن كان مثلاً فقد أشم رائحةً مما نحن عليه؛ لأنه عُفي عنها كما يُعفى عن البهائم، وكذلك قولهم: (المرأة لحمٌ على وضم). وهذا ونحوه مما يكاد يخرج به المؤنث عن تمام العقل واستحكامه، ولم يذكره أحدٌ من أصحابنا، وفيه ما تراه من صحة معناه".

³³ابن جني، المحتسب، 50/1.

³⁴ابن جني، الخصائص، 283/1.

³⁵ابن جني، الخاطريات، تح: علي ذو الفقار شاكر، ط1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988)، 51.

ز-الإغراق في التعليل:

وهو لا يقف في تتبُّع المعنى عند الحدِّ الطبيعي المتعارفِ عليه، فهو من العلماء الذين لا يكتفون بطرح رأيهم غُفلاً من الحُجج والبراهين والعلل، ويُعدُّ تتبُّع العِلل من أشهر أساليبه في عامَّة مؤلفاته، متأثراً بأسلوب شيخه أبي علي الفارسي في ذلك، بل إنه تفوَّق عليه وبزّه فيه. يقول مادحاً إياه: "أحسب أن أبا علي قد خطرَ له وانتزع من عللِ هذا العلم ثلثٌ ما وقع لجميع أصحابنا"³⁶.

وقد عَدَّ وجودَ التعليل واحداً من الطرق التي نُوقِفُ فيها بين الرأيين المتناقضين للعالم، "فإذا اتفقَ ذلك كان المذهبُ الأخذُ بالمُعَلَّل"³⁷، أي يجب اعتمادُ الرأي الذي علَّله، وطرحُ ما لم يردَّ عنده بلا تعليل.

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: "وأنت إذا تصفَّحتَ (الخصائص) رأيتَ ولَعَ ابنِ جَنِّي بالتعليل، وإغراقه فيه"³⁸.

من أمثلة ذلك حديثه عن زيادة الكاف في قوله تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى 11/42) يقول: "تقديره والله أعلم-: ليس مثله شيءٌ، فلا بُدَّ من زيادة الكاف ليصحَّ المعنى؛ لأنك إن لم تعتقد ذلك أثبتَّ له -عزَّ اسمُه- مثلاً، فزعمت أنه ليس كالذي هو مثله شيءٌ"³⁹.

وكان هذا في الواقع كافياً شافياً لإثبات زيادة الكاف، غير أنَّ أبا الفتح لا يقف هنا، فكأنه يفترض عند القارئ بعض الشكِّ وعدم الاقتناع، فيتابع: "فيفسدُ هذا من وجهين: أحدهما: ما فيه من إثبات المِثْلِ له - عزَّ اسمُه، وعلا علُوَّ عظيمًا -، والآخر: أنَّ الشيء إذا أثبتَّ له مثلاً فهو مِثْلٌ

³⁶ابن جني، الخصائص، 208/1.

³⁷ابن جني، الخصائص، 200/1.

³⁸السامرائي، ابن جني النحوي، 45.

³⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 300/1.

مِثْلِهِ؛ لأن الشيء إذا ماثله شيء فهو أيضاً مماثل لما ماثله. ولو كان ذلك كذلك -على فساد اعتقاد مُعْتَقِدِهِ - لَمَا جاز أن يقال: ليس كمثله شيء؛ لأنه -تعالى- مِثْلُ مِثْلِهِ، وهو شيء".

ويبدو جلياً هنا أثر التفلسف والتمنطق في كلامه، إذ إن جملة الأولى مُغْنِيَةٌ عن كل هذا التطويل الذي كرّر فيه الفكرة نفسها ولم يقدّم فيه جديداً، ولعلّ هذا من آثار مذهب في الاعتزال، إذ "من الثابت أن ابن جني كان مُعتزلياً، تتردّد آراؤه في الاعتزال في كتبه، وتطبع بحثه أحياناً"⁴⁰.

د- أما المذهب النحوي الذي وجّه به ابن جني آراءه في الأدوات، ففي الغالب هو المذهب البصري، وممّر في سالف القول أنّ ابن جني يحدّد نفسه قطعاً من النحاة البصريين الذين يشار إليهم عادةً بكلمة "أصحابنا"، أو بقوله "عندنا"، في مُقابل من يسميهم تارةً "الكوفيين"، وتارةً "البغداديين".

يقول في تعليقه على الشواهد التي زِيدت فيها الواو في أجوبة الشرط: "فأما أصحابنا فيدفعون هذا التأويل، ولا يُجيزون زيادة الواو، ويرون أن أجوبة هذه الأشياء محذوفة للعلم بها والاعتقاد في مثلها"⁴¹، ويقول في موضع آخر: "وعلى أنّ زيادة الواو لا يعرفها البصريون، وإنما هو للكوفيين خاصة"⁴².

وعند حديثه عن حذف الواو في قول الشاعر:

مالي لا أبكي على علّاتي صبايحي غبايقي قيّلاتي

يقول: "فحذف حرف العطف. وهذا عندنا ضعيف في القياس، معدوم في الاستعمال"⁴³.

⁴⁰ السامرائي، ابن جني النحوي، 52.

⁴¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 290/2.

⁴² ابن جني، المُحتسب، 216/2.

⁴³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 280/2.

ومرّ كذلك أن ابن جني رغم هذا وذاك، لم يتحجّر ولم يتعصّب في آرائه، بل إنه خالف نحاة البصرة ووافق خصومهم في مسائل كثيرة، منها ما سيأتي في متن البحث، وفي هذا يقول: "وإياك والحنبلية بحثاً، فإنها خلقٌ نميم، ومطعمٌ عسلاته وخيم"⁴⁴.

ولذلك فنحن أمام عالمٍ مُنفتحٍ للرأي بعيدٍ عن التعصّب، ولا يمكن أن نَعُدّه في المدرسة البصرية بشكلٍ محض؛ ومن هنا صنّفه الدكتور شوقي ضيف مع أستاذه الفارسي فيما يُعرف بـ "المدرسة البغدادية".

2. 2- حذف الأدوات النحوية

هو أحد القضايا التي أخذت حيزاً كبيراً من اهتمام ابن جني؛ إذ نجد حديثه عن الحذف حاضراً في مقاماتٍ كثيرة، ولا يفتأ يكرّر آراءه ونظراته في حذف هذه الأداة أو تلك.

ولأهميّة هذا البحث أفرد في كتابه الخصائص باباً خاصاً سمّاه (باب زيادة الحروف وحذفها)⁴⁵، الذي يقول في مطلعِهِ: "أخبرنا أبو عليّ رحمهُ الله - قال: قال أبو بكر: حذِفُ الحروف ليس بالقياس. قال: وذلك أنّ الحُروفَ إنما دخلتِ الكلامَ لضربٍ من الاختصار، فلو ذهبَت تحذفُها لكانت مُختَصِراً لها هي أيضاً، واختصارُ المُختَصِرِ إجحافٌ به"⁴⁶.

هذا الرأي في الحذف ينقله عن شيخٍ شيخه ابن السراج. وأبو الفتح يتبنّى هذا الرأي، ويمضي يشرّحه بشكلٍ تطبيقيّ.

⁴⁴ابن جني، الخصائص، 25/1.

⁴⁵ابن جني، الخصائص، 273/2.

⁴⁶ابن جني، الخصائص، 273/2.

فالحروف ما هي في الأصل إلا نوائب عن أفعال، وطلباً للتخفيف والاختصار استُغني عن ذكر الفعل بذكر حرف يدل عليه. فقولنا: (ما قام زيد) أصله: أنفي قيام زيد، وهذه جملة مؤلفة من فعل وفاعل، ووضع (ما) موضع (أنفي) أخصر وأخف. وكذلك الأمر في وضع (هل) موضع (أستفهم)، ووضع (إلا) موضع (أستثني).

والاختصار بالأداة النحوية ليس مقتصراً على أنها تنوب عن الأفعال، بل إن ذكر الأداة يُغني عن ذكر كلام طويل وجمل متعديّة. يقول: "ألم تسمع إلى ما جاؤوا به من الأسماء المُستفهم بها، والأسماء المشروط بها، كيف أغنى الحرف الواحد عن الكلام الكثير المتناهي"⁴⁷ في الأبعاد والطول؟⁴⁸. ثم يمضي يُعَدُّ الأمثلة على هذا الرأي؛ فقولنا: كم مآلك؟ يُغني عن كلام طويل هو: عشرة مآلك؟ أم عشرون أم ثلاثون أم أربعون؟ وكذلك عندما نقول: أين بيتك؟ فقد أغنى عن ذكر الأماكن كلها.

وعندما وقف على قول الشاعر:

كيف أصبحت كيف أمسيت ممّا يزرع الودّ في فؤاد الكـريم

قال إن (الواو) حذفت هنا شذوذاً، وذلك "أن حرف العطف فيه ضرب من الاختصار، وذلك أنه أقيم مقام العامل. ألا ترى أن قولك: قام زيد وعمرو، أصله: قام زيد وقام عمرو، فحذفت قام الثانية، وبقيت الواو كأنها عوض منها. فإذا ذهبت تحذف الواو النائية عن الفعل تجاوزت حد الاختصار إلى مذهب الانتهاك والإجحاف"⁴⁹.

47 لعله كان ينبغي أن يقول: "غير المتناهي" بدليل قوله في تنمة المقبوس السابق: "...لأنه غير متناه".

48 ابن جني، الخصائص، 82/1.

49 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 280/2.

بل إنَّ ابنَ جَنِّي يُعَدُّ زيادةَ الحرفِ للتوكيدِ اختصاراً لذكرِ ألفاظٍ مؤكَّدة. يقول: "وإذا قلتَ: ليس زيدٌ بقائمٍ، فقد نابتِ الباءُ عن (حقاً)، و(البتَّة)، و(غيرَ ذي شكٍّ)، وإذا قلتَ: "فِيمَا نَقُضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ" (المائدة 13/5) فكأنك قلتَ: فبنقضهم ميثاقهم فعلنا كذا حقاً أو يقيناً"⁵⁰.

ويجعلُ هذا الاختصارَ سبباً وعلَّةً لعدمِ عملِ الحروفِ في الفضلات، كالظرفِ والحالِ والتمييزِ والاستثناء⁵¹، "فلو ذهبوا يُعملونها فيما بعدُ لنقضوا ما أجمعوه وتراجعوا عما اعتزموه"⁵².

فالمقرَّرُ عنده أن الحرفَ وُضِعَ اختصاراً ونيايةً، "فإذا كانت هذه الحروفُ نوائبَ عما هو أكثرُ منها من الجملِ وغيرها، لم يَجُزْ من بعدِ ذا أن تتخرَّقَ عليها فتنتهكها وتُجحفَ بها"⁵³.

ولهذا وصفَ حذفَ همزةِ الاستفهامِ في مثل قول امرئ القيس:

أَحَارِ تَرَى بَرَقاً أُرِيكَ وَمِیْضُهُ كَلَمَعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ

بأنه "ضعيفٌ على كل حال"⁵⁴، وأنه "مما يختصُّ بالتجوُّزِ فيه الشعرُ"⁵⁵.

ورغمَ أنَّ القياسَ عدمُ الحذفِ "فقد حُذفت"⁵⁶، ويُعطى عُذراً واحداً لحذفها من باب الاتِّساع⁵⁷، وهو "قوَّةُ المعرفةِ بالموضع"⁵⁸، وتعني "قوَّةُ المعرفةِ بالموضع" وجودَ قرائنَ لفظيةٍ أو معنويةٍ تدلُّ على الحرفِ المحذوفِ، وتُسهِّلُ تقديرَه في ذهنِ المتكلمِ.

⁵⁰ابن جني، الخصائص، 2/ 274.

⁵¹يُستثنى فيما بعدُ (ليت، وكأنَّ، ولعلَّ)، لما فيها من معنى الفعل، وعملها في نسخ المبتدأ والخبر، وبنائها على فوق الحرفين. ابن جني، الخصائص، 2/ 275.

⁵²ابن جني، الخصائص، 2/ 274.

⁵³ابن جني، الخصائص، 2/ 274.

⁵⁴ابن جني، المُحتسب، 1/ 50 - 2/ 282.

⁵⁵ابن جني، المُحتسب، 2/ 323.

⁵⁶ابن جني، الخصائص، 2/ 280.

فمن الأول (القرينة اللفظية): تعليقه على قراءة حمزة قوله تعالى: "واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ"⁵⁹ (النساء 1/4)، إذ يُخَرِّجُ هذه القراءة بالقول: "وذلك أَنَّ لَحْمَزَةَ أَنْ يَقُولَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ"⁶⁰:
إِنِّي لَمْ أَحْمِلِ (الأَرْحَامَ) عَلَى الْعُطْفِ عَلَى الْمَجْرُورِ الْمُضْمَرِّ، بَلْ اعْتَقَدْتُ أَنَّ تَكُونَ فِيهِ بَاءٌ ثَانِيَةً
حَتَّى كَأَنِّي قُلْتُ: وَبِالْأَرْحَامِ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْبَاءُ لَتَقْدَمَ ذِكْرُهَا، كَمَا حُذِفَتْ لَتَقْدَمَ ذِكْرُهَا فِي نَحْوِ قَوْلِكَ:
بِمَنْ تَمَرُّ أَمْرُ.. وَلَمْ تَقُلْ: أَمْرُ بِهِ"⁶¹.

وكان شيخُ نَحَاةِ البَصْرَةِ فِي زَمَانِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ اعْتَرَضَ عَلَى قِرَاءَةِ حَمْزَةِ الزِّيَاتِ،
بِاعْتِبَارِ عَدَمِ جَوَازِ عُطْفِ الْأَسْمِ الظَّاهِرِ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ، وَقَالَ: "وَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ عِنْدَنَا،
إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَيْهِ شَاعِرٌ"⁶².

وَيَشْبَهُ ابْنَ جَنِّي الْحَذَفَ فِي آيَةِ سُورَةِ النَّسَاءِ بِالْحَذَفِ الَّذِي وَقَعَ فِي قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ:

وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ بِهِمْ يُنْقَى الْعِدَا وَرَأْبُ الثَّأْيِ وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوِّفُ

يَقُولُ: "أَرَادَ: وَبِهِمْ رَأْبُ الثَّأْيِ، فَحَذَفَ الْبَاءَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَتَقْدُمَ فِي قَوْلِهِ: بِهِمْ يُنْقَى
الْعِدَا".

وَمِنَ الثَّانِي (القرينة المعنوية): مَا حَكَاهُ مِنْ أَنَّ رُؤْبَةً كَانَ إِذَا سُئِلَ: "كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ يَقُولُ:
خَيْرٌ، عَافَاكَ اللَّهُ. أَيُّ: خَيْرٍ. يَحْذِفُ الْبَاءَ لَدَلَالَةِ الْحَالِ عَلَيْهَا بِجَرِّي الْعَادَةِ وَالْعُرْفِ بِهَا"⁶³.

⁵⁷ابن جني، الخصائص، 290/1.

⁵⁸ابن جني، الخصائص، 284/2.

⁵⁹قراءة حفص عن عاصم بنصب (الأرحام) عطفاً على (الله).

⁶⁰يقصد المبرّد.

⁶¹ابن جني، الخصائص، 285/1.

⁶²محمد بن يزيد المبرّد، الكامل، تح: محمد الدالي، ط3، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997)، 931/2.

⁶³ابن جني، الخصائص، 285/1.

وبينما قرّر -كما سلف- أنّ الأداة النحوية إنما جيء بها للاختصار، وأنّ حذفها يُعد "إجحافاً" بهذا الغرض، أقرّ في مواضع أخرى أنّ الأداة قد تُحذف للاختصار، فكأنه يعطي تبريراً وتفسيراً للحذف هو مضافاً تماماً للحكم الذي أطلقه، فكيف يُحذف الحرف للاختصار وهو جيء به للاختصار؟!.

يقول عند حديثه عن حذف الفاء: "كذلك حُذفت أيضاً اختصاراً وهي مُرادّة"⁶⁴، مع أنه وصّف هذا الحذف بأنه "ضعيفٌ في العربية، وبأبّه الشعرُ لا القرآن"⁶⁵.

وهو يقرُّ الحذف بغرض ثانٍ غير الاختصار. يقول: "إلّم أنّ جميع ما حُذف منه حرف الجرّ مع الفعل تخفيفاً فلن يعدّ أن يكون قد نُظِرَ فيه إلى أنه في معنى فعلٍ يصلُّ بنفسه من غير حرفٍ يُوصِلُه"⁶⁶، ومن ذلك قول الشاعر:

أستغفرُ الله ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

فالفعل (أستغفرُ) يصلُّ بنفسه إلى مفعولٍ واحدٍ، ويصلُّ إلى آخرٍ بواسطة حرفِ الجرّ، فكان ينبغي أن يقول: أستغفرَ الله من ذنبٍ، لكنَّ الشاعرَ قال كذلك لأنه "في معنى: أَسْتَوْهَبُ الله ذنباً"⁶⁷.

وكذلك منه قولُ الشاعر:

أمرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبٍ

⁶⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/275.

⁶⁵ابن جني، المُحتسب، 1/193.

⁶⁶ابن جني، بقیة الخاطريات، تح: محمد الدالي، د.ط، (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1992). 47.

⁶⁷ابن جني، بقیة الخاطريات 47.

يُقال في الفعل (أمر) ما قيل من قبل في الفعل (أستغفر)، فالأصل أن يقول: أمرتُك بالخير، لكنه عدّاه إلى مفعولٍ آخر بنفسه؛ لأنَّ "معناه: ألزمتُك الخير، وأشعرتُك الخير، وأوجبتُ عليك الخير" ⁶⁸.

2. 3-زيادة الأدوات النحوية

لا تخرجُ زيادةُ الأدواتِ النحويةِ عن حكم حذفها، من حيثُ إنه أمرٌ "خارجٌ عن القياسِ أيضاً" ⁶⁹، يقول: "وزيادةُ الحروفِ كثيرةٌ، وإن كانت على غيرِ قياس" ⁷⁰.

وعلةُ ذلك عنده مُوافقةٌ لعلّةِ عدمِ اتّباعِ القياسِ في الحذف؛ "وذلك أنه إذا كانت جيءَ بها اختصاراً وإيجازاً، كانت زيادتها نقضاً لهذا الأمر، وأخذاً له بالعكس والقلب، ألا ترى أن الإيجازَ ضدُّ الإسهاب؟" ⁷¹.

وإذا كان التبريرُ الأساسيُّ للحذف هو "قوةُ المعرفة بالموضع"، فإن التبريرَ الأساسيَّ عنده للزيادة هو التوكيد. يقول: "وأما زيادتها فلإرادة التوكيد بها، وذلك أنه سبق أن الغرض في استعمالها إنما هو الإيجازُ والاختصار، والاكتفاء من الأفعال وفاعليها، فإذا زيدَ ما هذه سبيله، فهو تناهٍ في التوكيد به، وذلك كابتدالك في ضيافة ضيفك أعزَّ ما تقدّرُ عليه، وتصوّنه من أسبابك، فذاك غايةُ إكرامك له، وتناهيك في الحفل به" ⁷².

ويمكنُ تسجيلُ عدّةِ أنواعٍ من الزيادة من خلال الشواهد التي دارت في كتبه وتعليقه عليها:

⁶⁸ ابن جني، بقیة الخاطريات 48.

⁶⁹ ابن جني، الخصائص، 279/2.

⁷⁰ ابن جني، الخصائص، 284/2.

⁷¹ ابن جني، الخصائص، 280/2.

⁷² ابن جني، الخصائص، 284/2.

2. 3. 1- الزيادة للتوكيد

وهو الغرض الأساسي لزيادة الحروف كما مرّ. ومن زيادتها للتوكيد على المفعول قوله تعالى: "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" (البقرة 195/2)، والتقدير: لَا تُلْقُوا أَيْدِيَكُمْ⁷³.

ومنه قول الراجز:

فصَيِّروا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

يقول: "فلا بدّ فيه من زيادة الكاف. فكأنه قال: فصَيِّروا مِثْلَ عَصْفٍ مَأْكُولٍ، فأكدّ الشبهة بزيادة الكاف"⁷⁴.

2. 3. 2- الزيادة للعوّض

ذكرها في قول الشاعر:

أولى فأولى يا امرأ القيس بعدما خَصَفْنَ بآثَارِ المَطِيِّ الحوافرا

فمعناه "خَصَفْنَ آثَارَ المَطِيِّ بالحوافر، فزاد بَاءً وَحَذَفَ أُخْرَى، فكانت الزائدة عَوْضاً من المحذوفة"⁷⁵.

وزِيدَت (على) للتعويض في قول الشاعر:

إِنَّ الكَرِيمَ-وَأَبِيكَ- يَعْتَمِلُ إِنَّ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَنْكِلُ

⁷³ ابن جني، المُحتسب، 115/2 - المؤلف نفسه، التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة، تح: سيدة حامد عبد العال، تغريد عبد العاطي، د.ط، (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2010). 151.

⁷⁴ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/305.

⁷⁵ ابن جني، الخطاريات، 38.

"أراد: مَنْ يَتَكَلَّمُ عليه، فحذف (عليه) من آخر الكلام استغناءً عنها بزيادتها في قوله: على مَنْ يَتَكَلَّمُ. وإنما يريد: إن لم يجد يوماً مَنْ يَتَكَلَّمُ عليه"⁷⁶.

2. 3. 3-الزيادة اللازمة

يقول في كتاب (سر صناعة الإعراب): "وذلك أنَّ من الزوائد ما يلزم البتة. وذلك قولهم: افعله أثراً ما. أي: أول شيء، ف(ما) زيادة لا يجوز حذفها"⁷⁷.

ومن ذلك زيادة الفاء قبل (إذا) الفجائية في مثل قولنا: خرجت فإذا زيد. يقول في ذلك: "الفاء هنا وإن كانت زائدة، فإنها زيادة لازمة لا يجوز حذفها؛ وذلك أنَّ من الزوائد ما يلزم البتة"⁷⁸.

2. 3. 4-الزيادة للضرورة

ومن ذلك دخول اللام في خبر (أنَّ) المفتوحة. كقول الشاعر:

ألم تكن حلفت بالله العليّ أن مطاياك لمن خير المطي؟

يقول: "والوجه الصحيح هنا كسر (إنَّ) لتزول الضرورة، إلا أنا سمعناها مفتوحة الهمزة"⁷⁹.

ومنها أيضاً دخول (أل) على أسماء أعلام ليس فيها (أل) بغير باب الشعر. كما في قول

الشاعر:

ولقد جنيتك أكمؤاً وعساقلاً ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

⁷⁶ابن جني، المحتسب، 281/1.

⁷⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 272/1.

⁷⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 272/1.

⁷⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 57/2.

نقل عن الأصمعي أن (أل) في (بنات الأوبر) زائدة للضرورة⁸⁰.

2. 3. 5-الزيادة الحسنة

نَكَرَ ذلك في قوله تعالى: "إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ" (يوسف 43/12)، "معناه -والله أعلم-: إن كنتم تعبرون الرؤيا"⁸¹، ويضيف: "وهذا أحسن من غيره؛ لأنه لما قَدَّمَ المفعول حَسَنَ دخول اللام"⁸².

2. 3. 6-الزيادة للتوطئة

ومنها زيادة اللام قبل أداة الشرط حين اقتران الشرط بالقسم، إيداناً بأنَّ الجواب ينبغي أن يُعطى للقسم لأسبقيته على الشرط. في مثل قولنا: لئن جئتني لأكرمنك. يقول عن اللام في (لئن) إنها "مُوطَّئة لِلَامِ الجواب وليست بواجبة"⁸³.

2. 3. 7-الزيادة الشاذة

ومن ذلك زيادة الباء على المفعول به بعد الفعل (كفى) المتعدي؛ لأنَّ الأصل أنها تُزادُ بعد فاعل (كفى) اللازم، ومن هذه الزيادة الشاذة قول الشاعر:

فكفَى بنا فضلاً على مَنْ غَيْرُنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا

الباء هنا زائدة شذوذاً، والفاعل هو المصدر (حُب) ⁸⁴.

⁸⁰ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 45/2-المؤلف نفسه، المُحتسب، 224/2.

⁸¹ ابن جني، القُسر، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، تح: رضا رجب، ط1، (دمشق، دار الينابيع، 2004)، 344/3.

⁸² ابن جني، القُسر، 508/2-المؤلف نفسه، التنبيه، 141.

⁸³ ابن جني، التنبيه، 186، 270.

⁸⁴ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 146/1.

ومن ذلك دخول اللام على لامٍ أخرى. قال: "وقد زادوها في أشدَّ من هذا. قال:

فلا والله لا يُلفى لِمَا بي ولا لِمَا بهم أبداً دواءً

أي: لِمَا بهم⁸⁵.

2. 3. 8-الزيادةُ الغريبة

نكرَ ذلك عند حديثه عن زيادة الباءِ بين (عن) ومجرورها في قول الشاعر:

فأصبحن لايسألنَّه عنِ بِمَا بهِ أَصَعَدَ في غُلُوِّ الهوى أم تَصَوَّبَا

ثم قال: "وهذا من غريبِ مواضعها"⁸⁶.

2. 3. 9-الزيادةُ للتضمين

وهو غرضٌ مختلفٌ تماماً عما سبقَ من أنواع الزيادات، لأنَّ الزيادةَ فيه تتوجَّه في أنَّ الفعلَ المذكورَ الذي لا يحتاجُ الحرف، تضمَّنَ معنى فعلٍ ثانٍ يأتي عادةً مع الحرف الزائد، وسيأتي الحديثُ عن ذلك مُفصَّلاً فيما يأتي.

ومن ذلك زيادةُ الباءِ في قول الشاعر:

ألم يأتِيكَ والأنباءُ تَنمي بما لاقت لبونُ بني زيادٍ

فقال: "زَادَ الباءُ في (بما لاقت) لَمَّا كان معناه: أَلَمْ تسمعَ بما لاقت لبونُهُم"⁸⁷.

ومنه كذلك قولُ الشاعر:

وقد أقوَدُ بالدَّوى المزمَلِ أخرسَ في الركبِ بقاقِ المنزلِ

⁸⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 15/2.

⁸⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 147/1.

⁸⁷ابن جني، المُحتسب، 235/1.

قوله: (أقود بالدوى) يأتي "على زيادة الباء لأنه في معنى: أمطو به"⁸⁸.

2. 4- الحمل على المعنى عند ابن جني فيما يخص الأدوات

يتداخل مصطلح (الحمل على المعنى) بمصطلح (التضمين)، وإشكالية هذين المصطلحين تكمن في تشعبهما وكثرة فروعهما والخلاف فيهما.

والتضمين عموماً هو إشراب فعل معنى فعل آخر في اللزوم والتعدي⁸⁹، وفقاً لما نقله الدكتور شوقي ضيف، غير أن حصر الباب بالأفعال وبقضية لزومها وتعديها تضيق لواسعه، إذ يقع التضمين في أقسام الكلام جميعاً، أسمائه وأفعاله وحروفه.

فقد يكون اللفظ فعلاً متضمناً معنى فعل آخر. كفعل القول المتضمن معنى الظن، والأفعال المتضمنة معنى الفعل الناقص (صار)، والأفعال المتضمنة معنى فعل القسم، وقد يكون اللفظ اسماً متضمناً معنى اسم آخر، كالاسم الموصول المبتدأ الذي يتضمن معنى اسم الشرط فيقترب خبره بالفاء، كما في مثال سيبويه: الذي يأتيني فله درهم، "وإنما جاز ذلك لأن قولك: الذي يأتيني فله درهم، في معنى الجزاء، فدخلت الفاء في خبره كما تدخل في خبر الجزاء"⁹⁰.

ويدخل في هذا الباب تضمين الأسماء معاني أسماء أخرى، فقد يُعامل المذكر معاملة المؤنث أو العكس، وقد يُعامل المفرد معاملة الجمع، أو المثنى معاملة الجمع، وقد يتضمن الحرف معنى حرف آخر.

ومن ذلك تضمين حروف الجر بعضها معاني بعض، وهذا الموضوع كان محل خلاف شديد بين العلماء والمفسرين، فتعددت آراؤهم فيه.

⁸⁸ ابن جني، الخاطريات، 107.

⁸⁹ شوقي ضيف، تيسيرات لغوية، د.ط، (القاهرة، دار المعارف، د.ت). 81.

⁹⁰ سيبويه، الكتاب، تج: عبد السلام هارون، ط3، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988). 139/1.

فالبصريون يَرَوْنَ أَنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنَ الْحُرُوفِ مَعْنًى خَاصًّا يُؤَدِّيهِ، وَقَدْ يُؤَدِّي مَعَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ مَعَانِي أُخْرَى تَعَوَّدُ فِي مُجْمَلِهَا إِلَى الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ. يَقُولُ الْمَرَادِيُّ: "وَمَذْهَبُ سَيَبَوِيهِ وَالْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنَّ (فِي) لَا تَكُونُ إِلَّا لِلظَّرْفِيَّةِ حَقِيقَةً أَوْ مُجَازًا، وَمَا أَوْهَمَ خِلَافَ ذَلِكَ رُذُّ بِالتَّأْوِيلِ إِلَيْهِ"⁹¹، وَيَقُولُ ابْنُ هِشَامٍ الْأَنْصَارِيُّ: "مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّ أَحْرَفَ الْجَزْرِ لَا يَنْوِبُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ بِقِيَاسٍ، كَمَا إِنْ أَحْرَفَ الْجَزْمِ وَأَحْرَفَ النَّصْبِ كَذَلِكَ، وَمَا أَوْهَمَ خِلَافَ ذَلِكَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ إِمَّا مُؤَوَّلٌ تَأْوِيلًا يَقْبَلُهُ اللَّفْظُ... وَإِمَّا عَلَى شَذُوذٍ إِنَابَةٍ كَلِمَةٍ عَنْ أُخْرَى"⁹².

فالبصريون يَمْنَعُونَ حُلُولَ حَرْفٍ مَحَلَّ آخَرَ، وَيَلْجَأُونَ إِلَى التَّضْمِينِ مَدْرُوحَةً لَهُمْ، وَفَرَارًا عَنِ الْإِقْرَارِ بِالتَّنَاقُوبِ. كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ" (الْإِنْسَانُ 6/76). قَالُوا: ضُمِّنَ الْفِعْلُ (يَشْرَبُ) مَعْنَى الْفِعْلِ (يَرَوِي)؛ وَلِذَلِكَ تَعَدَّى بِالْبَاءِ وَلَمْ يَتَعَدَّ بِ(مِنْ). وَهُمْ إِذَا مَرَّ بِهِمْ شَاهِدٌ لَمْ يَسْتَطِيعُوا رَدَّهُ إِلَى بَابِ التَّضْمِينِ، أَقْرَأُوا بِالتَّنَاقُوبِ وَأَطْلَقُوا حُكْمَ الشَّذُوذِ.

أَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَيَرَوْنَ جَوَازَ ذَلِكَ بِلَا شَذُوذٍ، وَيَعُدُّونَهُ مِنَ الْمَشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ، وَابْنُ هِشَامٍ الْأَنْصَارِيُّ يَرَى فِي ذَلِكَ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ "أَقْلُّ تَعَسُّفًا"⁹³.

والتضمينُ بمعناه الواسعِ ذَكَرَهُ ابْنُ جَنِيٍّ تَحْتَ اسْمِ (الْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَى)، وَعَقَدَ لَهُ بِهَذَا الْأِسْمِ فَصْلًا خَاصًّا فِي (الْخَصَائِصِ)، قَالَ فِي مَطْلَعِهِ: "إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا الشَّرْحَ غَوْرٌ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ بَعِيدٌ، وَمَذْهَبٌ نَازِحٌ فَصِيحٌ، قَدْ وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ وَفَصِيحُ الْكَلَامِ مَنْثُورًا وَمَنْظُومًا، كَتَأْنِيثِ الْمَذْكَرِ وَتَنْكِيرِ

⁹¹الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992). 252.

⁹²ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، (بيروت، المكتبة العصرية، 1991). 129/1.

⁹³ابن هشام، مغني اللبيب، 130/1.

المؤنث، وتَصُوِّر معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد⁹⁴، وقال فيه أيضاً: "وباب الحمل على المعنى بحر لا يُنكش، ولا يُفشج، ولا يُؤبى، ولا يُعرَض، ولا يُعَضَض⁹⁵."

ومن هذا المفهوم العام الذي ذكره ابنُ جنِي في هذا الفصل، يُخصَّص الحديثُ عمّا وصفه بأنه "باب من هذه اللغة واسع لطيف طريف، وهو اتصال الفعل بحرف ليس ممّا يتعدى به، لأنه في معنى فعلٍ يتعدى به"⁹⁶.

وهذه الصورة الخاصة هي نفسها نيابة حروف الجر عن بعضها، وهو ممّا جعل له في (الخصائص) باباً خاصاً أيضاً سمّاه (باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض).

ويرى أن هذا الباب واسع فاشٍ كثيرُ الورود والشواهد. يقول: "وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يُحاط به، ولعلّه لو جُمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً"⁹⁷، ويقول أيضاً في مقام آخر: "وهو باب واسع ومنقاد"⁹⁸، ويقول: "وهذا باب من العربية ذو غور"⁹⁹، ويقول: "وما أكثر هذا النحو في هذه اللغة"¹⁰⁰، وقال عنه: "وهو غور عظيم"¹⁰¹، وكذلك: "وقد اتسعت العرب في إقامة بعض حروف الجر مقام بعض، واستقصاء هذا يطول جداً"¹⁰².

⁹⁴ابن جنِي، الخصائص، 411/2.

⁹⁵ابن جنِي، الخصائص، 2/435.

⁹⁶ابن جنِي، الخصائص، 2/435.

⁹⁷ابن جنِي، الخصائص، 2/310.

⁹⁸ابن جنِي، المُحتسب، 1/52.

⁹⁹ابن جنِي، المُحتسب، 1/364.

¹⁰⁰ابن جنِي، المُحتسب، 1/235.

¹⁰¹ابن جنِي، المُحتسب، 2/321.

¹⁰²ابن جنِي، الفسر، 2/444.

لكنه مع فشوّه وانتشاره لا يظهر لأيّ أحد، بل يحتاج إلى تدبّر وطول تأمل؛ ولهذا يقول عنه: "وهو غورٌ من أنحاء العربية طريفٌ ولطيفٌ ومصونٌ وبطين" ¹⁰³، ويقول: "هذا بابٌ يتلقّاه الناسُ مغسولاً ساذجاً من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه، وأوقعه دونه" ¹⁰⁴.

وواضح أنه يذهب في هذا الباب مذهب البصريين في أن حروف الجر لا تتوب عن بعضها، فيختار مبدأ التضمين لتخريج شواهد جاءت فيها حروف في موضع حروف أخرى. وفي هذا المقام يضرب بعض الأمثلة على بُعد الكوفيين - ولم يُسمهم بشكل صريح - عن الصواب في معالجة هذه القضية.

ففي قوله تعالى: "قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ" (آل عمران 52/3)، قالوا: إنّ (إلى) بمعنى (مع)، وقالوا إنّ (في) جاءت بمعنى (على) في قوله تعالى: "وَأَصْلَبَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" (طه 71/20)، أي: على جذوع النخل. ويحتجون بقولهم: رَمِثٌ بالقوس. أي: عنها وعليها. كقوله:

أرْمِي عليها وَهِيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ

ويكمنُ اعتراضه في طريقة معالجتهم هذه الشواهد، التي قال عنها إنها "مغسولة ساذجة"، أي إنّ حديثهم عن هذه الشواهد جاء مُطلقاً غفلاً من الضبط والتعديد.

والقاعدة عنده أن تتأوب الحروف ليس مُطلقاً مثل ما قال الكوفيون، فهو يُقرّ بهذا التأوب بشروط. يقول: "ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا؛ لكننا نقول إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوّغة له، فأما في كلّ موضع وعلى كلّ حال فلا" ¹⁰⁵، ويضيف في الموضع نفسه: "ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول ¹⁰⁶ غفلاً هكذا، لا مُقيداً،

¹⁰³ ابن جني، المُحتسب، 53/1.

¹⁰⁴ ابن جني، الخصائص، 306/2.

¹⁰⁵ ابن جني، الخصائص، 308/2.

¹⁰⁶ أي قيام حرف مقام آخر.

لَزِمَكَ عَلَيْهِ أَنْ تَقُولَ: سِرْتُ إِلَى زَيْدٍ، وَأَنْتَ تَرِيدُ: مَعَهُ، وَأَنْ تَقُولَ: زَيْدٌ فِي الْفَرَسِ، وَأَنْتَ تَرِيدُ: عَلَيْهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ وَيَتَفَاحَشُ".

والضبطُ - كما يرى - أن حروف الجرّ تنوب عن بعضها شرط أن يكون متعلقُ حرفِ الجرّ المذكورِ يحملُ معنى لفظِ آخرَ، يقتربُ من اللفظ المذكور معنوياً، ويليقُ بحرفِ الجرّ المذكورِ صناعياً. يقول: "اعلم أن الفعل¹⁰⁷ إذا كان بمعنى فعلٍ آخرَ، وكان أحدهما يتعدى بحرفٍ، والآخرُ يتعدى بحرفٍ آخرَ، فإن العربَ قد تتسعُ فتوقعُ أحدَ الحرفين موقعَ صاحبه، إيداناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر؛ فلذلك جيءَ معه بالحرفِ المعتادِ مع ما هو في معناه"¹⁰⁸.

ويقول في موضع آخر: "وجُمِلَتْهُ أَنَّهُ مَتَى كَانَ فِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ فِي مَعْنَى فِعْلِ آخَرَ، فَكَثِيرًا مَا يُجْرَى أَحَدُهُمَا مُجْرَى صَاحِبِهِ، فَيُعْدَلُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ بِهِ إِلَيْهِ، وَيُخْتَذَى فِي تَصْرِفِهِ حَذْوَ صَاحِبِهِ، وَإِنْ كَانَ طَرِيقُ الْأَسْتِعْمَالِ وَالْعَرَفِ ضِدًّا مَأْخُذُهُ"¹⁰⁹.

وفي هذا القول لا يأتي على ذكر الحروف من حيث ارتباطها بالتغير الذي يصيب معنى الفعل، ويُفهم من القولين أن هذه القضية لا تدخل في اللغة من باب الحقيقة والعرف، إنما من باب المجاز والتوسع.

ومن أمثلته قوله تعالى: "أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ" (البقرة 187/2)، فالأصل أن نقول: رفّت بالمرأة، أو: رفّت معها. ولا يقال: رفّت إلى المرأة. لكن الرفّت هنا يحمل معنى الإفضاء

¹⁰⁷ هو قيّد المسألة بالأفعال وليست الأفعال وحدها ممّا يدخل هذا الباب، بل إنَّ أوّل شاهدٍ جاء به بعد هذا القول - وهو قوله تعالى: "أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ" (البقرة 187/2) - لا يحوي فعلاً، وكان الأفضل لو قال: (اللفظ) أو (الحدث).

¹⁰⁸ ابن جني، الخصائص، 308/2.

¹⁰⁹ ابن جني، المُحتسب، 52/1.

الذي يتعدى أصلاً بحرف الجر (إلى)، فجاء بـ(إلى) مع الرفع (إيذاناً وإشعاراً) أنه بمعنى (الإفضاء)¹¹⁰.

وكذلك في قوله تعالى: "قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ" (آل عمران 52/3)، فلفظ النصير لا يحتاج إلى حرف الجر (إلى) من جهة، ومن جهة أخرى: لم تأتِ (إلى) في هذا الموضع بمعنى (مع)، لكن الآية جاءت على هذا اللفظ "لما كان معناه: من ينضاف في نصرتي إلى الله"¹¹¹.

وبذلك تظهرُ فائدة النيابة التي هي الإيجازُ كما يظهر من الشاهدين السابقين. حيث وجدنا التعبيرَ مُختصراً، أفاد ما كان يُفيدُه التعبيرُ الأصليُّ بلفظٍ أقلَّ.

وإذا أردنا حساب المسألة بشكلٍ عمليٍّ في الآية الأولى "أَجَلٌ لَكُمْ ...": نقول: الأصلُ هو: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ بِنِسَائِكُمْ، وإن كَانَ هذا الرفعُ يتضمَّنُ الإفضاءَ إِلَيْهِنَّ.

نلاحظُ أنَّ حدثَ(الرَّفَثُ) لم يأخذ نصيبه من حرف الباءِ لأنه محذوف، بينما حدثَ(الإفضاء) المحذوف أخذ نصيبه من (إلى) المذكورة، وبذلك عُبِّرَ عن حدثين بجملَةٍ واحدة، بتوازنٍ وإنصافٍ بينهما.

إذاً: نيابة حرف جرٍّ عن حرف جرٍّ آخر ليست قياسيةً في كلِّ مَوْضِعٍ؛ ذلك أنَّ التناوبَ دون ضابطٍ يؤدي إلى فوضى عظيمة في اللغة؛ إذ إنَّ "لكلِّ أداة من أدوات المعاني معنىً مخصوصاً لا يفارقها، فالى لانتهاه الغاية، وفي للظرفية، وعلى للاستعلاء... الخ. وهل تخرجُ الأداة عن معناها الذي وُضِعَ لها أو وُضعت له؟. لا يتَّضحُ ذلك إلا من خلال السِّياقِ اللُّغَوِيِّ،

¹¹⁰ ابن جني، الخصائص، 308/2.

¹¹¹ ابن جني، الخصائص، 309/2.

ووضعها في تركيبٍ معينٍ يتحدّد على ضوءه المعنى المقصود لها، مع ملاحظة القرائن والضوابط والمقام¹¹².

ويسجّل أبو الفتح إعجابه بتخريج الشواهد وفق هذا الباب، إذ يقول عنه: "وهذا من أسدّ وأدمث مذاهب العربية"¹¹³.

ويستنبط أبو الفتح من هذا الباب إقراراً وقطعاً بوجود (الترادف) في اللغة. يقول عن تناوب حروف الجرّ بالضوابط التي أقرّها: "فإنّه فصلٌ من العربية لطيفٌ حسنٌ، يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها، وفيه أيضاً موضعٌ يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنًى واحدٍ، حتى تكلف¹¹⁴ لذلك أن يُوجدَ فرقاً بين قعدَ وجلسَ، وبين ذراعٍ وساعد"¹¹⁵.

ومن الطرافة بمكان أنّ أبا عليّ شيخ أبي الفتح كان ممن ينكرون الترادف. ويروى لذلك حكاية طريفة جرت في حضرة سيف الدولة بجلب بينه وبين ابن خالويه. قال أبو علي الفارسي: "كنت بمجلس سيف الدولة بجلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابنُ خالويه، فقال ابنُ خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسّم أبو علي، وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً، وهو السيف، فقال ابن خالويه: فأين المهند والصارم و..... ، فقال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرّق بين الاسم والصفة"¹¹⁶.

¹¹² محمد نديم فاضل، التضمين النحوي في القرآن الكريم، ط1، (المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان، 2005). 66/1.

¹¹³ ابن جني، المحتسب، 52/1.

¹¹⁴ لعلّه يقصد بهذا الغائب الذي لم يسمّه صراحةً معاصره أبا هلال العسكري، المتوفى سنة 395 هـ. فالعسكري ممن أنكر الترادف بشدة، وألف فيه كتاباً -ربما يكون أبو الفتح قد أوماً إليه- وهو (الفروق اللغوية).

¹¹⁵ ابن جني، الخصائص، 310/2.

¹¹⁶ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، د.ط، (بيروت، 1986). 405/1.

إن أبا الفتح شديد الإجلال لأستاذه، عجيب الإعجاب به، مكيّن الإخلاص له، ولكنه العلمُ البعيدُ عن التعصّب والتّبعيّة، والرأي الحرّ الذي كان يُعرّض بلا خجلٍ أو نفاقٍ.

ومن خلال الشواهد التي ناقشها ابنُ جني ووقفَ عليها مراراً، يمكنُ أن نردّ تلك الشواهد التي حوّت تضميناً أو حملاً على المعنى إلى ما يأتي:

2. 4. 1- الحملُ على المعنى بزيادة الحرف

وقفَ عند قول الشاعر:

ألم يأتِكَ والأنباءُ تَنمي بما لاقتَ لبونُ بني زيادٍ

فقال: "زاد الباءُ في (بما لاقت) لما كان معناه: ألم تسمعُ بما لاقت لبونُهُم"¹¹⁷.

وقال الشاعر:

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ رِئْمانَ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَبَنِ؟

فكان ينبغي على الشاعر أن يقول: ما تعطيه العلوق؛ لكنه "ألق الباءُ في (به) لما كان (تعطي) في معنى (تسمحُ به)"¹¹⁸.

وفي قراءة علي بن أبي طالب شذوذاً قوله تعالى: "فاجعل أفئدةً من الناس تَهْوِي إِلَيْهِمْ"¹¹⁹ (إبراهيم 37/14)، جُعِلَ الفعل المتعدي (تهوى) - وهو بمعنى تُحِبُّ - لازماً مقيداً بحرف الجر (إلى)، ونحن لا نقول: هَوِيْتُ إِلَى فلانٍ، بل نقول: هَوِيْتُ فلاناً، "وقد جاز ذلك" لأنه - عليه

¹¹⁷ ابن جني، المُحتسب، 1/ 235.

¹¹⁸ ابن جني، المُحتسب، 1/ 235.

¹¹⁹ قراءة حفص عن عاصم: "فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ".

السلام- حمله على المعنى. ألا ترى أن معنى (هويْتُ الشيء) ملْتُ إليه؟ فقال: تَهْوَى إليهم لأنه لاحظ معنى: تميل إليهم¹²⁰.

وقرأ عكرمة شذوذاً "أهْسُ بها على غنمي"¹²¹ (طه 18/20)، والفعل (هَسَّ) فعل متعدٍ بمعنى (أسوق). فيكون الأصل: أهْسُ بها غنمي. فإن تساءلنا عن سرِّ إقحام (على) قبل المفعول "قيل: لما دخل السوق معنى الانتحاء لها والمَمِيلُ بها عليها، استعمل معها (على) حملاً على المعنى، وقد ذكرنا من هذا فيما مضى صدرّاً صالحاً. ومن ذلك قولهم: (كفى بالله) أي: كفى الله، إلا أنهم زادوا الباء حملاً على معناه، إذ كان في معنى: اكتفِ بالله، ولذلك قالوا: حسبك به، لمَّا دخله معنى: اكتفِ به"¹²².

ويبدو أن القراءات الشاذة كانت ميداناً خصباً لهذا الباب، إذ وقف أبو الفتح يوجِّه قراءة أبي جعفر قوله تعالى: "يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ"¹²³ (النور 43/24)، فأعطانا في ذلك خيارين: إمَّا أن نجعل الباء زائدة، أي: يذهب الأبصار، "وإن شئت حملته على المعنى، حتى كأنه قال: يكاد سنا برقه يلوي بالأبصار، أو يستأثر بالأبصار"¹²⁴.

وأما قراءة طلحة: "وهو يدَّعي إلى الإسلام"¹²⁵ (الصف 7/61)، فقال تعليقاً عليها: "ظاهرُ هذا أن يُقال: يدَّعي الإسلام، إلا أنه لمَّا كان (يدَّعي الإسلام) ينتسبُ إليه، قال: يدَّعي إلى الإسلام حملاً على معناه"¹²⁶.

¹²⁰ ابن جني، المُحتسب، 364/1.

¹²¹ قراءة حفص عن عاصم: "وَأَهْسُ بِهَا عَلَى غَنَمِي".

¹²² ابن جني، المُحتسب، 51/2.

¹²³ قراءة حفص عن عاصم: "يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ".

¹²⁴ ابن جني، المُحتسب، 114/2 - 115.

¹²⁵ قراءة حفص عن عاصم: "وَهُوَ يَدَّعَى إِلَى الْإِسْلَامِ".

وإذا ابتعدنا عن مضمار القراءات الشاذة فلن نعدم من شواهد ما جاء من القراءات المُعتمَدة، ومنها ما ذكره في قوله تعالى: "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" (البقرة 195/2)، حيث "زاد الباء لما كان معناه: لا تُعطوا بأيديكم إليها"¹²⁷.

2. 4. 2- الحمل على المعنى بحذف الحرف

يقول: "إِعلم أَنَّ جميعَ ما حُذِفَ منه حرفُ الجرِّ مع الفعل تخفيفاً فلن يعدوَ أن يكون قد نُظِرَ فيه إلى أنه في معنى فعلٍ يصلُّ بنفسه من غير حرفٍ يوصله"¹²⁸. وهذا الرأي جِدُّ مُهِمٍّ؛ لأنَّ صاحبه يردُّ - نظرياً فقط - كلَّ الشواهد التي حُذِفَ فيها حرفُ الجرِّ إلى باب الحمل على المعنى أو التضمين، الذي يجعلُ الفعلَ المُقَيَّدَ بحرفِ الجرِّ مُسَرَّحاً ناصباً بنفسه. فمن ذلك قولُ الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

فالفعل (أستغفر) يصلُّ بنفسه إلى مفعول واحدٍ، ويصلُّ إلى آخرَ بواسطة حرفِ الجرِّ، فكان ينبغي أن يقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبٍ، لكنَّ الشاعرَ قال كذلك لأنه "في معنى: أَسْتَوْهَبُ اللَّهَ ذَنْباً"¹²⁹.

ومنه كذلك قولُ الشاعر:

أَمْرُكَ الْخَيْرَ فافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبٍ

¹²⁶ ابن جني، المُحتسب، 321/2.

¹²⁷ ابن جني، بقیة الخاطريات، 49.

¹²⁸ ابن جني، بقیة الخاطريات، 47.

¹²⁹ ابن جني، بقیة الخاطريات، 47.

يُقال في الفعل (أمر) ما قيل من قبل في الفعل (أستغفر) فالأصل أن يقول: أمرتُك بالخير، لكنه عدّاه إلى مفعول آخر بنفسه؛ لأنَّ "معناه: ألزمتُك الخير، وأشعرتُك الخير، وأوجبْتُ عليك الخير" ¹³⁰.

وكذلك قوله تعالى: "وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا" (الأعراف 155/7)، فالأصل أن يُقال: اختارَ موسى من قومه سبعين رجلاً، فحُذِفَتْ (مِنْ) لَمَّا كَانَ الْمَعْنَى: "سَلَبَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَأَفْقَدَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَابْتَزَّ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا، وكذلك قوله: "وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ" (المطففين 3/83) أي: كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ. أَلَا تَرَى أَنَّ مَعْنَاهُ: إِذَا عَامَلُوهُمْ أَخْسَرُوهُمْ؟. وكذلك قوله:

إِذَا قَالَتْ خَدَامٌ فَأَنْصِتُوهَا

أَي فَاَنْصِتُوا إِلَيْهَا. أَلَا تَرَى أَنَّ مَعْنَاهُ: إِذَا قَالَتْ فَأُولُوهَا أَسْمَاعَكُمْ؟ وَكُلُّهُ مِنْ بَابِ الْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَى ¹³¹.

وفي توجيهه قراءة أبي طالوت عبد السلام بن شداد والجارود بن أبي سبرة قوله تعالى: "وَمَا يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ" ¹³² (البقرة 9/2)، ذَكَرَ أَنَّ أَصْلَ (خَدَعْتُ زَيْدًا نَفْسَهُ) هُوَ: عَنْ نَفْسِهِ؛ لَكِنَّهُ "جَاءَ عَلَى (خَدَعْتُهُ نَفْسَهُ) لَمَّا كَانَ مَعْنَاهُ: انْتَقَصَتْهُ نَفْسُهُ، أَوْ تَخَوَّنَتْهُ نَفْسُهُ" ¹³³.

¹³⁰ ابن جني، بقیة الخاطريات، 48.

¹³¹ ابن جني، بقیة الخاطريات، 48.

¹³² قراءة حفص عن عاصم: "وَمَا يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ".

¹³³ ابن جني، المحتسب، 51/1.

2. 4. 3- الحملُ على المعنى بتعليق اللفظ بغير حرفه المعتاد

وهو البابُ الذي تتناوب فيه حروف الجرّ في الاستخدام. وفيه:

2. 4. 3. 1- ما تناوب فيه (في) و(على)

أي ما تناوب فيه معنى الظرفيّة ومعنى الاستعلاء، ولا شكّ أنهما مختلفان. فالظرفيّة تقتضي تمكّن الحالّ من الدخول في المحلّ الذي قد يكون حقيقياً أو مجازياً، أما الاستعلاء فيعبر عن تقارب الحالّ والمحلّ وإن كانا منفصلين واقعا؛ لكن المعنيين متقاربين إلى حدّ كبير؛ لأنّ المُستعلي شيئاً قد يكون استعلاؤه شديد التمكن والملابسة، فيصير حينئذٍ كأنه داخل فيه. وهذا ما نلاحظه في مُجمل الشواهد التي ذكرها أبو الفتح في هذا المجال.

ولعلّ الشاهد الذي دار كثيراً في كتبه وأحاديثه عن الباب¹³⁴ هو قوله تعالى: "فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" (طه 71/20).

في هذه الآية الكريمة نرى فرعونَ جُنّ جنونه حينَ آمَنَ سَحَرَتُهُ؛ عَرَّابو مُلكه واستعباده الناس، بموسى -عليه السلام-، ومن هنا لا بدّ أن يكونَ عذابُهم أشدّ وأمرّ من عذاب غيرهم من الكافرين به. والتعذيبُ هو التمثيلُ بأجسادهم أحياء، ثم صلبُهم على جذوع النخل حتى يراهم الأشهادُ ويكونوا عبرةً للمتطاولين.

والسياقُ العامُّ في النص يعطينا الفكرةَ عمّا نحنُ بصدده، فتعذيبُ فرعونَ لسحرته ليس تعذيباً عابراً أو يمكنُ أن يخفّف عنهم بالشفاعة والرفقة، ولا سيّما التعذيبُ صلباً. والأصلُ في الصّلب أنه يكونُ على المِصْلَبة - وهي في الآية جذوعُ النخل -، واستخدامُ (على) حرفِ الاستعلاء يُفيدُ أموراً:

¹³⁴ ابن جني، الخصائص، 307/2 - المؤلف نفسه، التفسير، 1121/1.

منها ما هو ظاهر: وهو أَنَّ الصَّلْبَ واقعٌ -لا محالة-، وأن المصلوبَ ليس داخلاً في جذع النخلة، بل مستقرٌّ فوقه.

ومنها ما هو باطن: وهو أَنَّ مُدَّةَ الصَّلْبِ غيرُ معروفة، وحقْدُ فرعونَ ليس معلوماً مداه. ويَظْهَرُ سُرُّ استخدامِ (في) مَوْضِعَ (على) حين نعلمُ أَنَّ حقْدَ فرعونَ عليهم جُدُّ عظيم، وأنه لا ينوي إنزالهم من المِصْلَبَةِ، إنما ينوي إبقاءهم مصلوبين حتى موتهم، وربما بعد موتهم؛ فليطول وقت الصَّلْبِ صارَ السحرةُ كأنهم موجودون داخلَ جذوع النخل وليس فوقها.

إذاً، الأمرُ عائدٌ إلى مبالغةٍ في المعنى، وهذا ما نلاحظه تماماً في قول المتنبي يمدحُ أبا الفضل ابنَ العميد:

فرستنا سوابقَ كُنَّ فيه فارقت لبدهُ وفيها طِرادُه

الحديثُ يدور على امتنان أبي الطيب لابن العميد على كرمه بأنه وهبه خيلاً لا تُوهبُ إلا للفرسان، وهذه الخيلُ هي من خاصَّةِ ابنِ العميد الذي كان كثيرَ الركوبِ عليها، ولكثرة الركوبِ قال: (وفيها طِرادُه) "أي: عليها"¹³⁵.

ويقالُ الأمرُ نفسه في قول الشاعر:

هُمُ صَلَّبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

"لأنه معلومٌ أنه لا يُصَلَّبُ في داخلِ جذع النخلةِ وقلبيها"¹³⁶.

ونذكر من الشواهد على ما نحن فيه قولَ عنترَةَ:

بَطْلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْدَى نِعَالُ السَّبَبِ لَيْسَ بَتَوَامٍ

¹³⁵ابن جني، التفسير، 1/1121.

¹³⁶ابن جني، الخصائص، 2/313.

وقال إنَّ معنى (في سرحة) هو "على سرحة، وجاز ذلك من حيثُ كان معلوماً أنَّ ثيابه لا تكونُ في دار سَرْحَةٍ؛ لأنَّ السَّرْحَةَ لا تَنْشَقُّ فَتُسْتَوْدَعُ الثِّيَابُ ولا غيرها"¹³⁷.

وقال أبو الفتح القولَ عينه شارحاً قولَ المتنبي:

خَوْفُ الجَبَانِ فِي فُؤَادِ العَاشِقِ كَأَنَّهُ فِي رَيْدٍ طَوْدٍ شَاهِقٍ

فالمتنبي "أقام (في) مُقام (على)، يريدُ: كأنَّ الراكضَ منه على رَيْدٍ جَبَلٍ. كقوله - عز وجل: "وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" (طه 71/20). أي: على، وجاز ذلك لأنَّ مَنْ علا الجَبَلَ فهو فيه، وكذلك ما أقيمَ من حروف الجرِّ بعضُه مَوْضِعَ بعضٍ، لا بدُّ أن يجمعَهما ويشتركان فيه"¹³⁸.

والأمرُ نفسُه في قول المتنبي:

فَلَا تُرَجِّ الخَيْرَ عِندَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النِّخَاسِ فِي رَأْسِهِ

قال: "(في) بمعنى (على). أي: على رأسه. كقوله تعالى: "وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" (طه 71/20)، أي: عليها، وكقولهم: فلانٌ في الجبل، أي: عليه"¹³⁹.

2. 4. 3-ما تناوبَ فيه (على) و(عن)

كما في قول الشاعر:

إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعَجَبَنِي رِضَاهَا

"أراد: عني، ووجهه: أَنَّهَا إِذَا رَضِيتَ عَنْهُ أَحَبَّتْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَعْمَلَ (على) بِمَعْنَى (عن)"¹⁴⁰، "فكأنه قال: إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ"¹⁴¹.

¹³⁷ابن جني، الخصائص، 312/2.

¹³⁸ابن جني، التفسير، 567/2.

¹³⁹ابن جني، التفسير، 274/2.

والحقيقة أنَّ التقارب الذي وجدناه بين (على) و(في) في القسم السابق ليس موجوداً بين معنَي (على) و (عن)؛ فالأولى للاستعلاء حقيقةً أو مجازاً، والثانية للمجاوزة حقيقةً أو مجازاً.

ولعلَّ ابنَ جني لحظَ هذا الأمرَ من طَرَفٍ؛ ولذلك لم يستغنِ برأيه في المسألة، بل استعانَ برأيٍ آخرٍ للكسائيِّ، وأبدى به إعجابه وإعجابَ شيخه أبي عليٍّ. قال: "وكان أبو عليٍّ يستحسنُ قولَ الكسائيِّ في هذا؛ لأنه قال: لَمَّا كانَ (رَضِيْتُ) ضَدَّ (سَخِطْتُ) عَدَى (رَضِيْتُ) بـ(على) حملاً للشَّيءِ على نقيضه، كما يُحمل على نظيره"¹⁴²، ويقول في موضعٍ آخر: "فهذا مذهبُ الكسائيِّ، وما أحسنَه!"¹⁴³.

وقريبٌ من ذلك قول الشاعر:

إذا ما امرؤٌ ولَّى عليَّ بوْدَه
وأدبَرَ لم يصدر بإدباره ودِّي

ولَّى عليَّ "أي عَنِي. ووجهه أنه إذا ولَّى عنه بوْدَه فقد استهلكه عليه. كقولك: أهلكت عليَّ مالي، وأفسدت عليَّ ضيعتي. وجاز أن يستعملَ (على) ههنا؛ لأنه أمرٌ عليه لا له"¹⁴⁴.

¹⁴⁰ابن جني، الخصائص، 311/2-المؤلف نفسه، التفسير، 444/2.

¹⁴¹ابن جني، المحتسب، 53/1.

¹⁴²ابن جني، الخصائص، 311/2.

¹⁴³ابن جني، المحتسب، 53/1.

¹⁴⁴ابن جني، الخصائص، 312/2.

2. 4. 3. 3-ما حدث فيه التناوب في غير ذلكما

أعاد الحديث كثيراً في قوله تعالى: "أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ لَصِيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ" (البقرة 187/2)، ومرّ الشرح فيها قبل قليل.

وقال تعالى: "فَقُلْ هَلْ لَكُمْ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى" (النازعات 18/79)، وأنت إنما تقول: هل لك في كذا؟، لكنه لما كان على هذا دعاءً منه - صلى الله عليه وسلم - صار تقديره: أدعوك وأرشدك إلى أن تَزَكَّى¹⁴⁵، وقد "استعمل (إلى) هنا تطاولاً نحو المعنى"¹⁴⁶.

وكذلك قال الشاعر:

نلوذُ في أمِّ لنا ما تَغْتَصِبُ من الغمامِ تَرْتَدِي وتَنْتَقِبُ

"استعمل (في) موضع الباء. أي: نلوذُ بها؛ لأنهم إذا لاذُوا بها فهم فيها لا محالة، إذ لا يلونون ويعصمون بها إلا وهم فيها؛ لأنهم إن كانوا بُعْدَاءَ عنها فليسوا لائذينَ بها. فكأنه قال: نسْمُكُ فيها، ونتوقَّلُ فيها؛ فلأجل ذلك ما¹⁴⁷ استعمل (في) مكانَ الباء"¹⁴⁸.

وقال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ" (الشورى 25/42)، فالأصلُ أَنَّ الفعل (قَبِلَ) يتعدى بحرف الجرِّ (مِنْ)، لكنَّ "لَمَّا كَانَتِ التَّوْبَةُ سَبَباً فِي الْعَفْوِ لَاحَظَ مَعْنَاهُ فَقَالَ: عَنْ عِبَادِهِ، حتى كأنَّه قال: وهو الذي يَقْبَلُ سَبَبَ الْعَفْوِ عَنْ عِبَادِهِ"¹⁴⁹.

¹⁴⁵ابن جني، الخصائص، 309/2، المؤلف نفسه، المحتسب، 52/1.

¹⁴⁶ابن جني، المحتسب، 321/2.

¹⁴⁷(ما) هنا زائدة.

¹⁴⁸ابن جني، الخصائص، 315/2.

¹⁴⁹ابن جني، المحتسب، 364/1.

2. 4. 4- التضمينُ بجعل اللفظ غير المحتاج أصلاً إلى الحرف محتاجاً إليه

ومن ذلك قوله تعالى: "فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكَفَرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ" (آل عمران 52/3). كان يكفي عيسى - عليه السلام - أن يقول للحواريين: من أنصاري؟ فيكون هذا اللفظ كافياً، لكن في إضافة شبه الجملة (إلى الله) سرّاً عظيماً؛ فهو - عليه السلام - في موضع شكٍّ من إيمانهم به وبربه، والشكُّ بالأعوان والأنصارِ مُفضٍ إلى الضَّعْفِ والوَهْنِ لا محالة، فجاء استخدامُ (إلى الله) لغيتين:

الأولى تتعلق به، وهي أن يقوِّي نفسه ويعضدّها مقابلَ شكِّه بأصحابه، فإذا كان الله نصيره ومؤيِّده فلا ضعف ولا تراجع.

والثانية تتعلق بالحواريين، وهي أن يُفهمهم أن اعتمادَه وقوَّتَه ليس في نصرتهم إيَّاه؛ لأنَّ نصرتهم إيَّاه ثانويَّةٌ أمام نصره الله إيَّاه. فالآية جاءت على هذا اللفظ "لَمَّا كَانَ مَعْنَاهُ: من ينضافُ في نصرتي إلى الله"¹⁵⁰.

ومن ذلك قول الفرزدق:

كيف تراني قالياً مجبِّي أضربُ أمري ظهره للبطنِ

قد قتل الله زياداً عني

فالفرزدقُ كان قد هجا -لأمرٍ ما- زيادَ بنَ أبيه - عاملَ معاويةَ على البصرة -، فغضب عليه زيادٌ وتوعَّده، فهرب الفرزدقُ من البصرة إلى المدينة وتخفَّى بها ناجياً بروحه طالباً السلامة والمأمن، فلما بلغه موتُ زيادٍ ظهرَ من مخبئه وأنشد هذا الرجزَ إظهاراً للشماتة بزياد وفرحاً بالسلامة منه.

¹⁵⁰ ابن جني، الخصائص، 309/2.

فالفعلُ (قتل) في هذا السياق غير محتاجٍ إلى حرف الجرِّ لتَمَامِ المعنى، فكان يكفي الفرزدق أن يقول: (قتل الله زياداً)، لِيُفْهَمَ سببُ استغنائِهِ عن درعِهِ وذهابِ خوفِهِ واختلافِ حالِهِ وانقلابِ شأنِهِ، لكنه استعملَ (عن) "لَمَّا دخله من معنى: قد صرفه الله عني؛ لأنه إذا قتله فقد صرف عنه"¹⁵¹.

وللباحث في هذا الرجز رأيٌّ يُبْعِدهُ عن باب التضمين وما ذكره النحويون فيه، وهو أن تكونَ (عن) هنا بمعنى (بدل)، وذلك شائعٌ في اللغة. كقوله - عليه الصلاة والسلام -: (صومي عن أمك)، أي: بدل أمك، وكقوله تعالى: "وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا" (البقرة 48/2)، أي: بدل نفسٍ. فيكون معنى الرجز: قتل الله زياداً بدلاً مني، ويُفهم من معنى البدلية أحدُ معنيين؛ الأول هو أن الله قتلَ زياداً بدلاً من أن أُقتلَ أنا على يده، والثاني أن الله قتلَ زياداً بدلاً من أن أُقتله أنا، فالهاربُ من طاعيةٍ يترَبِّصُ به التتكيلُ لا بدُّ أن يكونَ قد أوجس في نفسه عليه حقداً وسخينةً، وهذا ممَّا يقودُ إلى نية قتله والتخلصِ من أذاه. والله أعلمُ بالصواب.

وممَّا نحنُ بصددهِ قولُ الأعشى:

أقولُ لَمَّا جاءني فخرُهُ سبجانَ منْ علقمةَ الفاخرِ

فالمصدرُ الجامدُ (سبجان) يُسْتَعْمَلُ عادةً مضافاً إلى اسم ظاهرٍ أو مُضْمَرٍ¹⁵²، وفي قول الأعشى جاء على خلاف أصلهِ "لَمَّا كان معناه: براءةً منه"¹⁵³.

¹⁵¹ ابن جني، المحتسب، 52/1 - المؤلف نفسه، الخصائص، 310/2.

¹⁵² لم يرد في القرآن الكريم إلا مضافاً، وقد ورد سبعةً وعشرين مرةً، احتاج إلى حرف جرٍّ في ثلاثة عشر موضعاً، وبغير حرف جرٍّ في أربعة عشر موضعاً.

¹⁵³ ابن جني، الخصائص، 435/2.

ويمكن أن نجعل من ذلك توجيهه قراءة يحيى وإبراهيم شذوذاً قوله تعالى: "مَنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ"¹⁵⁴ (الأنعام 157/6)، إذ قال: "ينبغي أن يكون دخول الباء هنا حملاً على المعنى؛ وذلك لأنه في معنى: مَكَرَ بها، وكَفَرَ بها"¹⁵⁵.

2. 4. 5- ما لم ير فيه تضميناً خلافاً لظاهره

وَقَفَ أبو الفتح على بعض الحالات التي يُوهَّم ظاهرها أنها داخلة في باب التضمين أو النِّيابة، فأوضح خلاف ذلك.

وفي هذه الحالات يظهر لفظ لا يتناسب مع حرف الجرِّ المُقَدِّ إِيَّاه؛ ولذلك قَدَّر ألفاظاً محذوفة تجعل الصناعة مستقيمة والمعنى لائقاً. ولو تدبَّرنا الألفاظ المحذوفة التي قدَّرها لوجدناها على نوعين، يجمع بينهما أنَّ حرفَ الجرِّ لم يُفَارِقْ بَابَهُ، وإن كان الظاهر أنه جاء بمعنى آخر: النوع الأول: أن يكون المحذوف مضافاً، حلَّ محلَّ المضاف إليه الذي أصبح الآن اسماً مجروراً، وفي هذه الحالة يبقى تعليق شبه الجملة باللفظ المذكور. وذلك كقول الشاعر:

وَحَضَّخَصْنَ فِينَا الْبَحْرَ حَتَّى قَطَعْنَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ غِمَارٍ وَمِنْ وَحَلٍّ

يقول: "قالوا: أراد: بنا، وقد يكون عندي على حذف المضاف، أي: في سيرنا، ومعناه: في سيرهنَّ بنا"¹⁵⁶.

وكذلك قول الشاعر:

وَهَلْ يَعْصَمُ مَنْ كَانَ أَحَدُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ؟

¹⁵⁴قراءة حفص عن عاصم: "مَنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ".

¹⁵⁵ابن جني، المحتسب، 1/235.

¹⁵⁶ابن جني، الخصائص، 2/313.

يقول ابن جني: "فقالوا: أراد: مع ثلاثة أحوال، وطريقه عندي أنه على حذف المضاف. يريد: ثلاثين شهراً في عقب ثلاثة أحوال قبلها..... فالحرف إذاً على بابه، وإنما هنا حذف المضاف الذي قد شاع عند الخاص والعام"¹⁵⁷.

النوع الثاني: أن يكون المحذوف حالاً، وفي هذه الحالة لا تتعلّق شبه الجملة باللفظ المذكور، إنّما تتعلّق بالحال المحذوف، وهذا فرق ما بين النوعين. ومن هذا قول الشاعر:

شَدُّوا المَطيَّ على دليلٍ دائمٍ من أهلِ كاظمَةِ بسيف الأبحر

ذَكَرَ ابنُ جَنِّي قولَ مَنْ لم يُسمِّهمْ إنّ معنى (على دليل) هو (بدليل)، فتكون (على) وفّق هذا القولَ نابت في الدلالة عن الباء، ولأبي الفتح رأيٌ مخالف. يقول: "وهو عندي أنا على حذف المضاف. أي: شَدُّوا المَطيَّ على دلالة دليل، فحذف المضاف..... وهو كقولك: سِرَ على اسم الله. و(على) هذه عندي حال من الضمير في (سِرَ) و(شَدُّوا)، وليست مُوصلةً لهذين الفعلين، لكنها متعلّقةٌ بمحذوف حتى كأنما قال: سِرَ مُعْتَمِداً على اسم الله"¹⁵⁸. ويُفهم أنّ التقدير في البيت: شَدُّوا مُعْتَمِدينَ على دلالة دليل.

ومثّل ذلك أعاده في قول الشاعر:

يَعْتُرْنَ في حدِّ الطُّبَاتِ كأنّما كُسيَتْ برودَ بني تَزيَدَ الأدرُعُ

"أي: يَعْتُرْنَ كائناتٍ في حدِّ الطُّبَاتِ"¹⁵⁹.

¹⁵⁷ ابن جني، الخصائص، 314/2.

¹⁵⁸ ابن جني، الخصائص، 312/2.

¹⁵⁹ ابن جني، الخصائص، 314/2.

3-الأدوات الأحادية

3-1 الهمزة

ذكر أبو الفتح في أول باب الهمزة من (سر صناعة الإعراب) أنها "حرف مجهور"¹⁶⁰.

ويذكر للهمزة نوعين: أحدهما ما كانت فيه الهمزة حرف مبني، وهذه ليست موضوع بحثنا، والثاني "حرف جاء لمعنى"¹⁶¹، وحدّثا أنها ليست مَصُوغةً مع الكلمة؛ ولذلك يذكرها بصيغة "الزيادة"¹⁶² غير قاصدٍ بالزيادة زيادة التوكيد المعهودة، إنما يقصدُ اللّحاق.

3.1.1- استعمالاتها ومعانيها

الهمزة (اللاحقة) تأتي لاستعمالين أساسيين:

3.1.1.1- للنداء: "نحو: أزيدُ اقبل"¹⁶³.

3.1.1.2- للاستفهام

والمعروفُ أن النحاة ذكروا لهذه الهمزة معنيين أساسيين عندما يكونُ الاستفهامُ حقيقياً، وهما التصديقُ والتعيين، وقالوا إنها تخرجُ إلى معانٍ مجازيةٍ تُدرَكُ من خلال السياق؛ كالتسوية والتوبيخ والنفي...، بيدَ أنَّ أبا الفتح لا يفصلُها كذلك، بل إنه يجعلُ معنى الاستفهام منفصلاً عن

¹⁶⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 83/1.

¹⁶¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 130/1.

¹⁶²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 130/1.

¹⁶³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 130/1.

معانيه المجازية فيقول: "وزيدت أيضاً للاستفهام، نحو: أزيدُ عندك؟ وفي التسوية، نحو: ما أبالي أقام أم قعد...¹⁶⁴.

وإذا أردنا أن نجعل الحديث عن معاني الهمزة عنده على منوال ما جاء به المتأخرون، فإننا نرى أن الاستفهام الحقيقي لم يأت عنده بمعنيي التصديق والتعيين، أما معاني الاستفهام المجازي فمما ذكره منها:

3. 1. 1. 2- معنى التسوية

وقد جاء ذكره في المقبوس السابق.

3. 1. 1. 2- معنى الاستفهام التقريري

وحده كما بين أن تدخل الهمزة على النفي فتجعله إثباتاً¹⁶⁵، كما في قوله تعالى: "أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ" (العنكبوت 68/29) أي: إِنَّ فيها مَثْوًى لهم، وقوله تعالى: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ" (الزمر 36/39)، وقول جرير:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٍ رَاحٍ؟

أي: أنتم كذلك¹⁶⁶.

3. 1. 1. 3- معنى النفي

وهو يخلط بين معنى النفي ومعنى التقرير، إذ هما عنده واحد. فقد ذكرنا قبل أن حدّ التقرير عنده دخول الهمزة على النفي وقَلْبَهُ إِلَى الإيجاب، أما النفي فعكسه، أي دخول الهمزة على

¹⁶⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/130.

¹⁶⁵ابن جني، التفسير، 3/750.

¹⁶⁶ابن جني، التفسير، 3/751.

الإيجابِ وقلبه إلى معنى النفي. كما في قوله تعالى: "أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ" (المائدة 116/5) وهذا من كلام الله - تعالى - لعيسى بن مريم يوم القيامة "وهو - تبارك اسمه - لا يشك¹⁶⁷، وإنما هو تقرير، ومعناه: لم تَقُلْ".¹⁶⁸

3. 1. 1. 2. 4- معنى الاستفهام الإنكاري

كقول المتنبي:

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيْمٌ؟

"جاء بلفظ الاستفهام ومعناه الإنكار، فكأنه قال: ليس كل من قال شعراً متيماً، كما قال الآخر:

أَكُلُّ امْرِئٍ تَحَسِّبِنَ امِراً وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَاراً؟

أي: لا تحسبي ذاك كذاك"¹⁶⁹.

ويقترن الإنكار أحياناً بالتوبيخ، وهو أحسن ما وجّه به أبو الفتح بيت المتنبي:

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْهُ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ ذَلِكَ عَيٌّ إِذَا وَصَفْنَاهُ

فقد ذكر أن في قول المتنبي: "ألم تكنه" اختلافاً في صنعة الإعراب على مذهب التقرير¹⁷⁰، "إِذَا كَانَ تَقْرِيراً فَفِيهِ نَقْصٌ وَإِخْلَالٌ"¹⁷¹؛ ذاك أن من قالوا "ألم تكنه" يعلمون أنه لم يكنه

¹⁶⁷ أي لا يجهل فيستفهم، فكأنه يقول إنَّ الاستفهام الحقيقي ما كان المتحدث فيه جاهلاً أو شاكاً، والمجازي ما كان مُتحدِّثُهُ عالماً بالجواب.

¹⁶⁸ ابن جني، الفسر، 750/3.

¹⁶⁹ ابن جني، الفسر، 351-352/3.

¹⁷⁰ لا يظهر هذا الاختلال إلا إذا عرفنا مناسبة النص فقد قال قوم لأبي العشائر: ما كذاك - أي المتنبي - وإنما تعرف بكينيتك.

¹⁷¹ ابن جني، الفسر، 750/3.

فكيف يكون تقريراً والتقريرُ يجعلُ النفيَ إثباتاً؟! وَفَقَ هذا التوجيهُ يكونُ المتنبّي لم يَضَعِ الكلامَ مَوْضِعَهُ ولم يَأْتِ به على وجهه، وهنا يحاولُ أبو الفتح أن يجدَ لصديقه وجهاً حين يجعلُ الاستفهامَ خارجاً إلى معنى التوبيخ¹⁷².

ويقترنُ الإنكارُ بالتعجب¹⁷³، كما في قراءة الجمهور قوله تعالى: "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ" (فصلت 41/44).

3. 1. 2- حذف همزة الاستفهام

حذف همزة الاستفهام عنده ضعيفٌ على كل حال¹⁷⁴، وهو "مِمَّا يَخْتَصُّ بِالتَّجَوُّزِ فِيهِ الشَّعْرُ"¹⁷⁵. نحو قول المتنبّي:

أحادٌ أم سداسٌ في أحادٍ لُيْلَتُنَا المَنَوطَةُ بالتَّنَادِي

"حَدَفَ همزة الاستفهام ضرورةً لأنه يريد: أأحادٌ. كما قال الآخر:

تَرُوحُ مِنَ الحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرُ.....

يريد: أترُوحُ؟، وقال الآخر:

أَحَارِ تَرَى بَرَقًا أُرَيْكَ وَمِیْضُهُ كَلَمَعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ¹⁷⁶

ومثله كثيرٌ¹⁷⁷.

¹⁷²ابن جني، الفَسر، 751/3.

¹⁷³ابن جني، المُحتسب، 248/2.

¹⁷⁴ابن جني، المُحتسب، 50/1 - 282/2.

¹⁷⁵ابن جني، المُحتسب، 323/2.

¹⁷⁶الهمزة أول البيت للنداء، أما همزة الاستفهام المحذوفة ضرورةً فبتقدير: أترى.

¹⁷⁷ابن جني، الفَسر، 940/1.

ومنه أيضاً قولُ الشاعر:

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ

أراد: أتحبُّها؟، وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مَنَقَرٍ¹⁷⁸

ومثله:

فوالله ما أدري وإن كنت دارياً بِسَبْعِ رَمِينَ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانٍ؟

"يريد: أَسْبَعٍ"¹⁷⁹.

ومنه قولُ الكُمَيْت:

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرِبُ وَلَا لِعَبٍّ مَنِي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ

"قالوا: معناه: أَوْ ذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟ تَتَأَكَّرُ لَذَلِكَ وَتَعْجَبُ"¹⁸⁰.

ولعلَّه لم يلتزم بالحُكم الذي قرَّره، فقد ذكر قبلُ أن حذفَ همزة الاستفهامِ بآبُهِ ضرورةُ الشعر، وهذا يعني أنه لا يقعُ في النثرِ بلة القرآن؛ إلا أنه خالفَ هذا الحكمَ صراحةً في توجيهه القراءةَ الشاذةَ لقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"¹⁸¹ (البقرة 6/2). قال أبو الفتح: "هذا ممَّا لا بدَّ فيه أن يكونَ تقديرُهُ: أُنذِرْتَهُمْ، ثم حذفَ همزة الاستفهامِ تخفيفاً

¹⁷⁸ابن جني، الفسر، 431/2. والبيت الأخير من المقبوس ينبغي أن يكتب: (شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ابْنُ مَنَقَرٍ)، بإعادة همزة الوصل لأنه لم يُرد الوصف بل أراد الإخبار.

¹⁷⁹ابن جني، المحتسب، 50/1.

¹⁸⁰ابن جني، المحتسب، 205/2.

¹⁸¹قراءة حفص عن عاصم: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ".

لكراهة الهمزتين، ولأنَّ قوله: (سواءً عليهم) لا بدَّ أن يكون فيه التسوية بين شيئين أو أكثر من ذلك، ولمجيء (أم) من بعد ذلك أيضاً..... وقالوا في قول الله سبحانه: "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ" (الشعراء 22/26)، أراد: أو تلك نعمة..... فإن قيل: فلعله حذَفَ همزة (أنذرتهم) لمجيء همزة الاستفهام..... قيل: قد ثَبَتَ جوازُ حذفِ همزة الاستفهامِ على ما أرينا في غيرِ هذا، فيجبُ أن يُحْمَلَ عليه أيضاً¹⁸².

هذا المقبوسُ من كتاب (المُحتسب) لا يدعُ ريباً في أن الرجلَ خالفَ ما قاله سابقاً¹⁸³، ثم إنه في الكتاب نفسه يَفِرُّ من التوجيه بالحذف إلى توجيه آخر ليقَرَّرَ أنَّ هذا الحذفَ بآبِه الشعر.

فعلَ ذلك في وقوفه على قراءة الزهري شذوذاً: "أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ"¹⁸⁴ (الزخرف 19/43)، قال: "أما حذفُ همزة الاستفهام تخفيفاً كأنه قال: (أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ) كقراءة الجماعة، فضعيفٌ؛ لأن الحذفَ في هذا الحرفِ أمرٌ مَوْضِعُهُ الشعرُ، ولكنَّ طريقَه غيرُ هذا....."¹⁸⁵.

وهنا نسأل: كيف يكونُ حذفُ الهمزةِ بآبِهِ الشعرُ ثم يوجَّه آيةٌ على أساس حذفِ الهمزة؟، ثم لِمَ يوجَّه بحذفها في آية ويفرُّ من تقرير الحذف في آية أخرى؟!.

¹⁸² ابن جني، المُحتسب، 50/1.

¹⁸³ أعاد إثبات حذف الهمزة من القرآن في مواضع أخرى، مثل: ابن جني، المُحتسب، 205/2 - 282.

¹⁸⁴ قراءة حفص عن عاصم: "أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ"، بإثبات همزة الاستفهام مع الفعل المبني للمعلوم.

¹⁸⁵ ابن جني، المُحتسب، 254/2.

3. 2-الباء

كان لابن جني اهتمام خاص بأحرف الجرّ، ولا سيّما الباء، إذ تناول الحديث عنها في مقامات كثيرة، وأفرد في كتاب (سر صناعة الإعراب) باباً مستقلاً تناول فيه الباء حرف مبنئ، ثم تحدث عنها حرف معنئ، من حيث المعاني والحذف والزيادة، وهي عنده حرف مجهور¹⁸⁶.

3. 2. 1-الأنواع والمعاني

3. 2. 1. 1-الإلصاق

تقول: أمسكتُ زيداً، فيمكن أن تكونَ باشرته نفسه أو منعتَه من التصرف في غير مباشرة له، "إذا قلت: أمسكتُ بزيدٍ فقد أعلمتُ أنك باشرته وألصقتُ محلّ قُدرِكَ.... فقد صحَّ إذاً معنى الإلصاق"¹⁸⁷.

فابنُ جنيّ يقدّم تفسيراً متميّزاً لمعنى الإلصاق، ونفهم من حديثه هذا أن حرفَ الباءِ في المثال السابق أدّى وظيفة مباشرة الفعل لما هو بمعنى المفعول به (زيد)، فيظهر الفرق بين تعدي الفعل إلى المفعول به بنفسه، وتعديهِ إلى المفعول بمَعونة حرفِ الجرّ.

ويقولُ في الموضع نفسه: "واعلم أنهم قد سمّوا هذه الباءَ في نحو قولهم: مررتُ بزيدٍ، وظفرتُ ببكرٍ، وغير ذلك ممّا تصلُّ فيه الأسماءُ بالأفعال، مرةً حرفَ إلصاقٍ، ومرةً حرفَ استعانة، ومرةً حرفَ إضافةٍ، وكلُّ هذا صحيحٌ من قولهم"¹⁸⁸.

3. 2. 1. 2-الاستعانة

186 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/131.

187 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/134.

188 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/134.

وذلك كقولك: ضربت بالسيف، وبريت بالمُدِيَّة، "أي: استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال"¹⁸⁹.

3. 2. 1. 3-الإضافة

كقولك: مررتُ بزيدٍ، أي: "أضفتُ مروركَ إلى زيدٍ بالباء"¹⁹⁰، وهذا معنى غريبٌ هو نفسه معنى الإلصاق.

3. 2. 1. 4-التجريد

عَدَّ ابنُ جنيٍ للتجريد فصلاً خاصاً في كتاب (الخصائص)، وقال عنه: "إِلم أن هذا فصلٌ من فصول العربية طريفٌ حسنٌ"¹⁹¹، ثم يذكر أن أبا عليٍّ سبقه للحديث عن هذا المعنى لكنه لم يُفرد له باباً، فيُظهرُ أبو الفتح فضلَ نفسه في أنه أفرد له باباً.

ويعرّف التجريد: "أنَّ العربَ قد تعتقدُ أنَّ في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه حقيقته ومحصولُه..... وعلى هذا يخاطبُ الإنسانُ منهم نفسه حتى كأنها تقابله أو تخاطبه"¹⁹².

ويبدو من خلال أمثله التي عَدَّ الكلامَ عليها في باب التجريد في كتاب (الخصائص) أنَّ التجريدَ نوعان: فمنه ما يكونُ بغيرِ حروفِ التجريد، وهي: (الباء، من، في)، كقول الأعشى:

ودَّعْ هُريرةً إنَّ الركبَ مُرتحلٌ وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ؟!
وهو الرجلُ نفسه لا غيره.

189 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/134.

190 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/134.

191 ابن جني، الخصائص، 2/473.

192 ابن جني، الخصائص، 2/473.

ومنه ما يكونُ بحرفٍ من حروف التجريد، وهو ما يعنينا هنا، فالباءُ من حروف التجريد، وهذا يظهرُ في قولهم: لقيْتُ به الأسدَ، وجاورْتُ به البحرَ، والمعنى في المثال الأول لا يحتملُ أن المتحدِّث عنه شيءٌ والأسدُ شيءٌ آخر، بل إنه هو الأسدُ، فجزَّد من المتحدِّث عنه أسداً حتى صار الحديثُ كأنه يدورُ على شيئين.

ومن شواهد الباء التجريدية التي ذكرها قولُ الشاعر:

بِزَوَّةٍ لَصٍّ بَعْدَ مَا مَرَّ مُصْعَبٌ بِأَشْعَثَ لَا يُقْلَى وَلَا هُوَ يُقْمَلُ

فالأشعثُ هو مُصْعَب¹⁹³، وليس مُتحدِّثاً عنه ثانياً.

ومنه قولُ الشاعر:

جَازَتْ الْبَيْدَ إِلَى أَرْحُلِنَا آخِرَ اللَّيْلِ بِيَعْفُورٍ خَدِرٍ

وهي نفسها اليعفور.

وهذا الوجهُ هو أحدُ الآراء التي ذكرها في قول الشاعر:

أَيَا لَهْفِي عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو فَيَكْفِينِي بِسَاعِدِهِ الشَّدِيدُ

فرأى أنه يمكنُ رفعُ (الشديد) على أن يكون فاعلاً للفعل (يكفيني)، "أي: يكفيني منه أو به الشديد. كقولك: أما أبوك فلك أب، أي: لك منه أو به أب، وهو الأب¹⁹⁴".

والتجريدُ - أحسبُ - بنوعه الثاني تشبيه بليغٌ خُذِفَ منه وجه الشبه وأداتُه، فعندما نقولُ:

جاء زيدٌ فلقيتُ به الأسدَ، فالمعنى: زيد كالأسد في الشجاعة.

3. 2. 1-5-المعِيَّة

¹⁹³ابن جني، /التنبيه، 201.

¹⁹⁴ابن جني، /التنبيه، 201.

تداول الحديث عن هذا المعنى كثيراً، وذكر مجيء الباء بمعنى (مع) في غير موضع. فقد ذكر رأي بعض النحاة في قراءة للآية: "وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن"¹⁹⁵ (المؤمنون 20/23)، في أن الباء زائدة، فالتقدير في الآية: (تنبت الدهن).

ولا يوافق ابن جني القول بالزيادة في الشاهد، ومن قال بزيادتها عنده "فمضعوف المذهب، وزائد حرفاً لا حاجة إلى اعتقاد زيادته"¹⁹⁶، ويرى أن التأويل: تنبت ما تنبت الدهن فيها، كما تقول: خرج زيد بثيابه، أي: وثيابه عليه¹⁹⁷.

وقراءة الجمهور "تنبت بالدهن"، وهذه لا ريب أن الباء فيها بمعنى المعية، أي: تنبت ودهنها معها، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء، وخرجها أبو علي الفارسي¹⁹⁸ بحذف المفعول، أي: تخرج جناها ومعها الدهن¹⁹⁹، وهو ما ذهب إليه ابن جني دون التصريح بحذف المفعول به.

ويستشهد بما أنشده الأصمعي:

ومُسْتَنَّة كاسْتِنانِ الحَرَوِ فِ قد قَطَعَ الحَبَلَ بالمِرْوَدِ

¹⁹⁵قراءة حفص عن عاصم: "تنبت بالدهن".

¹⁹⁶ابن جني، المحتسب، 2/89.

¹⁹⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/144 - المؤلف نفسه، الفسر، 2/509.

¹⁹⁸أبو علي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2007). 4/26.

¹⁹⁹محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 2006). 15/28.

أي: قَطَعَ الحَبْلَ والمِرْوَدُ فيه²⁰⁰.

وكذلك الرأي في قراءة سعيد بن جبير وطلحة قوله تعالى: "وجاءت سكرة الحق بالموت" (ق 19/50) أي: ومعها الموت²⁰¹. ويبين أن معنى الباء هو هو في قراءة العامة "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ" (ق 19/50). والثابت أن هذه الباء تتعلق هي ومجروها دائماً بحالٍ محذوفة²⁰².

ومعنى المعية أحد الوجوه التي وجّه بها قول الشاعر:

وفاتني الدهرُ بوفرِ الغنى فليس لي مالٌ سوى عِرْضي

فيمكن للباء في (بوفر) "أن تجعلها حالاً من الدهر. كما تقول: سبقني زيدٌ بسيفه، أي: وسيفه معه، وتقدمني إلى الهيجاء برمحه، أي: ورمحه معه"²⁰³.

وكذلك وجّه بذلك قول الشاعر:

إذا ما قلوبُ القومِ طارت مخافةً من الموتِ أرسوا بالنفوسِ المَواجِدِ

إذ "يجوز أن تكون الباء هنا حالاً من الضمير في (أرسوا بنفوسهم). أي: ونفوسهم معهم. كقولك: خرج بثيابه، أي: خرج وثيابه عليه"²⁰⁴.

²⁰⁰ ابن جني، /التنبيه، 34 - 104.

²⁰¹ ابن جني، المحتسب، 283/2.

²⁰² هذا ما يصرّح به كلما ذكر الباء بهذا المعنى.

²⁰³ ابن جني، /التنبيه، 104.

²⁰⁴ ابن جني، /التنبيه، 151.

3. 2. 1. 6-الظرفية

قَالَه حِينَ ذَكَرَ قَوْلَ بَعْضِ النَحَاةِ بِزِيَادَةِ الْبَاءِ فِي قَوْلِ عَنَتْرَةَ:

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدُّحْرُضِينَ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفِرٍ عَنِ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

إذ يرفض رأي من قال بالزيادة هنا، ويرى أن الباء بمعنى (في)، ومعناها في البيت كمعناها في قولهم: شربت بالبصرة وبالكوفة أي: فيهما²⁰⁵، "أي شربت وهي بماء الدحرضين"²⁰⁶، والمفعول محذوف، والتقدير: "شربت في هذا الموضع ماء"²⁰⁷، وقال عن هذا الباب: "وهذا بابٌ طويل"²⁰⁸.

وقد يكون المعنى أوضح عندما تكون الباء للتبعيض بمعنى (من) فالناقطة شربت من ماء الدحرضين، أي: بعضه، ويؤيده قوله تعالى: "عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا" (الإنسان 6/76) أي يشرب منها، ومنه قول الشاعر:

شَرِبَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَقَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضِرَ لَهُنَّ نَتِيجُ

فالباء هنا بمعنى (من) أي: شرب من ماء البحر، وقد صرح ابن قتيبة بهذا في (أدب الكاتب)²⁰⁹، وأبو القاسم الزجاجي في كتاب (حروف المعاني)²¹⁰.

²⁰⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/145.

²⁰⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/145.

²⁰⁷ابن جني، المحتسب، 2/89.

²⁰⁸ابن جني، الفسر، 2/509.

²⁰⁹عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: علي فاعور، د.ط، (المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية، د.ت). 340.

²¹⁰أبو القاسم الزجاجي، حروف المعاني، تح: علي توفيق الحمد، ط2، (بيروت، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، 1986). 47.

وجاءت الباء للظرفية عنده في قول الشاعر:

أحقاً يا حمامة بطنٍ وجَّ بهذا الوجد أنك تصدقينا

فرأى أنه يجوز أن يكون المعنى: "تصدقين في هذا الوجد، فيكون الباء في معنى (في)"²¹¹.

ويرد ابن جني توهم (بعضهم) في أن الباء لا تأتي على هذا المعنى إلا إذا كان المجزوء نكرة، فيرفض هذا التقييد بقول الشاعر:

فهنَّ وقوفٌ ينتظرنَ قضاءه بضاحي عذاةٍ أمرُهُ وهُو ضامِرُ

"أي: في ضاحي عذاة. وتوهم بعضهم أن الباء لا تقع في معنى (في) إلا مع المعرفة، كقولك: كنا بالبصرة، وأقمنا بالمدينة، والبيت شاهدٌ عليه. ألا ترى أن (ضاحي عذاة) نكرة لا معرفة؟"²¹².

3. 2. 1- التبعية

وهو معنى نسبه إلى غيره²¹³ في قول الشاعر:

شَرِبْنَ بماءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ متى لَجَجَ خُضِرٍ لهنَّ نَبِيحُ

فالتقدير: شَرِبْنَ من ماءِ الْبَحْرِ.²¹⁴ ولم يرَ ابنُ جني صَحَّةَ ذلك؛ إذ ذكر قبلاً رفضه مجيء الباء للتبعية، ناسباً القول بالتبعية إلى أصحاب الإمام الشافعي - رحمه الله -، وقال عن رأيهم إنه "شيء لا يعرفه أصحابنا، ولا وردَ به ثَبَتٌ"²¹⁵.

²¹¹ ابن جني، التنبيه، 313.

²¹² ابن جني، التنبيه، 35.

²¹³ سبق أن ممن ذكر هذا المعنى ابن قتيبة، ومُعاصِرُهُ أبا القاسم الزجاجي.

²¹⁴ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/146.

²¹⁵ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/134.

ويبدو أنه يقصد رأيهم في آية الوضوء: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ" (المائدة 6/5) التي اشتهر الخلاف على معنى الباء فيها.

يقول البيضاوي في تفسيره: "(وامسحوا برؤوسكم) الباء مَزِيدَة. وقيل للتبعيض، فإنه الفارق بين قولك: مسحَ المنديلَ وبالمنديل، ووجهه أن يُقالَ إنها تدلُّ على تضمين الفعل معنى الإلصاق، فكأنه قيل: وألصقوا المسحَ برؤوسكم، وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل: وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله: (فاغسلوا وجوهكم)، واختلف العلماء في قدر الواجب. فأوجب الشافعي رضي الله تعالى عنه -: أقلَّ ما يقعُ عليه الاسمُ أخذاً باليقين، وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه -: مسحَ ربع الرأس، لأنه - عليه الصلاة والسلام - مسحَ على ناصيته وهو قريبٌ من الرُّبُع، ومالك رضي الله تعالى عنه -: مسحَ كلِّه أخذاً بالاحتياط"²¹⁶.

إذاً، رفض ابنُ جني معنى التبعيض، وقال إن الباء في البيت (زائدة)، فنواجه الإشكالَ السابقَ ذِكرُه في قول الشاعر: (شربت بماء الدُّحْرَصَيْنِ) فلمْ منع الزيادة في هذا الموضع وقطَعَ بها في (شربن بماء البحر)؟، لا بل إنه قال عن زيادتها هنا: "هذا هو الظاهرُ من الحال، والعدولُ عنه تعسفٌ"²¹⁷، ومن ذكر أن الباء في البيت بمعنى (في) ردَّ عليه أبو الفتح: "وفي هذا التأويل ضربٌ من الإطالة والبُعد"²¹⁸.

²¹⁶ عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، د. ط، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت). 116/2.

²¹⁷ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 146/1.

²¹⁸ ابن جني، المحتسب، 115/2.

3. 2. 1. 8-القسم

وهو يرى أنَّ الباءَ هي الأصلُ في حروف القسم؛ ولذلك اختصَّت بجواز كونِ المقسمِ به ضميراً معها، فتقول: بِهِ لِأَقُومَنَّ، وقال الشاعر:

ألا ناديت أُمَامَةً باحْتِمَالٍ لَتَحْزُنَنِي فَلَا بِكَ مَا أُبَالِي

وقال آخرُ:

رأى برقاً فأَوْضَعَ فوقَ بَكْرٍ فلا بِكَ ما أَسَالُ ولا أَغَامَا

ولا يجوزُ ذلك في بقية حروفِ القسم²¹⁹.

3. 2. 1. 9-التعديّة

وهذه كذلك لم يذكرها بتسميتها صراحةً، ويُفهم من كلامه أنها تعاقبُ همزة التعديّة. ومن أمثلتها أحدُ الأوجهِ في قراءة سعيد وطلحة قولَه تعالى: "وجاءت سكرة الحق بالموت"²²⁰(ق 19/50)، فهذا عنده "كقولك: جنْتُ بزيْدٍ، أي: أحضرته وأجأته"²²¹.

وفي موضعٍ آخرٍ من المحتسب²²² يعلّقُ على قولِه تعالى: "ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ"(البقرة 17/2) وينفي أن تكونَ الباءُ هنا بمعنى (مع)، فليس المعنى أَنَّهُ -تعالى- ذهبَ وذهبَ بنورهم معه؛ فهذا مدفوعٌ عن الله تعالى، "وإنما معناه: أذهبَ نورهم، فذهبَ به كأذهب، أي: أزاله وأنفده".

²¹⁹ابن جني، الخصائص، 19/2.

²²⁰قراءة حفص عن عاصم: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ".

²²¹ابن جني، المحتسب، 283/2.

²²²ابن جني، المحتسب، 214/2.

3. 2. 1. 10-بمعنى (من) لابتداء الغاية

ذكر هذا المعنى توجيهاً لقراءة بعضهم²²³ قوله تعالى: "وأنزلنا بالمعصرات"²²⁴ (النبأ 14/78) فالمعنى عنده: مِنْ المعصرات، "كقولهم: أعطيتُه من يدي درهماً، وبيدي درهماً. المعنى واحد"²²⁵.

3. 2. 1. 11-باء الأثمان

لم يُصرَّح باسمها هذا، لكنه يُفهمُ منه عند كلامه على قراءة الحسن وأبي الحُوَيْرِثِ الحنفي قوله تعالى: "ما هذا بِشَرِيٍّ"²²⁶ (يوسف 31/12)، فهو يرى في الآية وجهين، أحدهما أن (شَرِيٍّ) مصدرٌ وُضِعَ مَوْضِعَ اسمِ المفعول (ما هذا بِمَشَرِيٍّ)، ويُفهم من هذا التوجيه أن الباء زائدة في خبر ما العاملة عملَ ليس²²⁷، وقد صرَّح بذلك في حديثه عن الوجه الثاني.

والثاني - وفيه شاهدنا - "أن تكون هذه الباء غير زائدة للتوكيد كالوجه الأول، لكنها كالتي في قولك: هذا الثوب بمئة درهم، وهذا العبد بألف درهم. أي: هذا بهذا"²²⁸.

²²³ هم: ابن الزبير وابن عباس والفضل بن عباس وعبد الله بن يزيد وقتادة.

²²⁴ قراءة حفص عن عاصم: "وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ".

²²⁵ ابن جني، المُحتسب، 348/2.

²²⁶ قراءة حفص عن عاصم: "مَا هَذَا بِشَرًّا".

²²⁷ سيأتي الحديث عنها بعد.

²²⁸ ابن جني، المُحتسب، 343/1.

3. 2. 2-الزيادة

وزيادتها على صورتين:

3. 2. 1-زائدة لغير العوض للتوكيد

وهذه تُزاد عنده مع الفضلة، ومع العُمدَة، وفي غيرهما:

3. 2. 1-زيادتها مع الفضلة

ويعني بالفضلة هنا المفعول به، ويرى أن زيادتها في المفعول به أمرٌ "واسعٌ في كلامهم جداً"²²⁹، وأن فيه معظم زيادة الباء²³⁰.

من ذلك زيادتها في قول الشاعر²³¹:

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لَجَجِ خُضِرٍ لَهْنٌ نَبَّيْجُ

فالتقدير: شربن ماء البحر، إذ قال إن الباء هنا زائدة حتماً، ومختلفة عنها في قول الشاعر: "شربت بماء الدحرضين"، ومن زيادتها على المفعول به قوله تعالى: "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" (البقرة 195/2)، والتقدير: لَا تُلْقُوا أَيْدِيَكُمْ²³². ويرى أن زيادة الباء في هذه الشواهد "لتوكيد معنى التعدي".

وزيادتها في المفعول به أحدُ توجيهاته قول الشاعر:

إذا ما قلوبُ القومِ طارت مَخَافَةً من الموت أرسوا بالنفوس المَواجِدِ

229 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/147.

230 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/148.

231 ابن جني، المُحتسب، 2/114.

232 ابن جني، المُحتسب، 2/115 - المؤلف نفسه، /التنبيه، 151.

قال: "ويجوز أن تكون الباء زائدة. أي: أرسوا نفوسهم"²³³.

ويرى أنها تزداد على المفعول به شذوذاً بعد الفعل (كفى) المتعدي؛ لأن الأصل أنها تزداد بعد فاعل (كفى) اللازم، ومن هذه الزيادة الشاذة قول الشاعر:

فكفى بنا فضلاً على من غيرنا حُب النبي مُحَمَّدٍ إيانا

الباء هنا زائدة شذوذاً، والفاعل هو المصدر (حُب)²³⁴، ومن ذلك قول المتنبي:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فالتقدير: كفاك داء رؤيتك الموت شافياً²³⁵.

وهو يدمج ذكر الزيادة بالتضمن في قول الشاعر:

وقد أقود بالدوى المزمّل أحرص في الركب بقاق المنزل

قوله (أقود بالدوى) يأتي "على زيادة الباء، لأنه في معنى: أمطو به"²³⁶.

وزيادة الباء قبل البدل هي أحد الأوجه التي ذكرها في قول الشاعر:

غشيته وهو في جأواء باسلة عصباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجلتها جنباً ولا فرقا

يقول: "ويجوز في الباء من قوله (بضربة) أن تكون زائدة، فيصير تقديره: ضربة. فتكون (ضربة) إذا بدلاً من قوله (عصباً)"²³⁷.

²³³ابن جني، التنبيه، 151.

²³⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/146.

²³⁵ابن جني، التفسير، 3/773.

²³⁶ابن جني، الخاطريات، 107.

²³⁷ابن جني، التنبيه، 35.

3. 2. 1. 2-زيادتها مع العُدة

يُعرفُ ابنُ جني العُدة بأنها "أحدُ جزأي الجملة التي لا تتعقد مستقلةً إلا به"²³⁸، وتقعُ الزيادةُ على هذا في ثلاثة أضربٍ: المبتدأ، الخبر، الفاعل.

3. 2. 1. 2-المبتدأ وما هو فرعُ منه

كقول الشاعر:

بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرُّ

أي: حسبك ذلك²³⁹، ويرى أن زيادة الباء في المبتدأ لم تكن إلا في لفظة (حَسْبُ)، وفي قولهم: (أشئ به الدهر بما أتى به)، وفي قول ربيعة أخت تائب شراً ترثيه:

نَعَمْ الْفَتَى غَادَرْتُمْ بَرَحْمَانُ

بَثَابَتِ بْنِ جَابِرِ بْنِ سُفْيَانَ

قَدْ يَقْتُلُ الْقِرْنَ وَيُرْوِي النَّدْمَانُ

يقول: "يجوزُ أن تكونَ الباءُ في قولها (بثابت) زائدةً، فتكونُ داخلةً على المبتدأ أو على خبره على اختلاف التقديرين في هذا النحو"²⁴⁰.

ويعني بقوله (على اختلاف التقديرين)، اختلافهم في إعراب المخصوص حال تأخره عن الفعل، فمنهم من قال: هو مبتدأ خبره الجملة الفعلية قبله، ومنهم من قال: هو خبرٌ لمبتدأ محذوف.

²³⁸ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/148.

²³⁹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/148.

²⁴⁰ ابن جني، الخاطريات، 174.

ومن غريب المواضع التي حكمَ فيها بالزيادة قراءة أبيّ وابن مسعود قوله تعالى: "ليس البرّ بأن تُؤلوا وجوهكم"²⁴¹(البقرة 177/2)، ف(البرّ) خبر ليس المُقدّم، والباء زائدة في اسم ليس، أي المصدر المؤول من (أن) وما بعدها²⁴²، والمعروف أن الباء تُرأى في خبر ليس لا في اسمها.

3. 2. 1. 2-2 خبر المبتدأ وما هو فرغ منه

-أما زيادتها في خبر المبتدأ:

فقد ذكر في ذلك أن أبا الحسن الأخفش رأى زيادتها في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا" (يونس 27/10)، والتقدير عنده: جزاء سيئة مثلاً، وقد استدلل على صحة ما ذهب إليه بقوله تعالى: "وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلُهَا" (الشورى 40/42)، ويعلق ابن جني على رأي الأخفش بقوله: "وهذا مذهب حسن واستدلال صحيح"²⁴³.

وزيادتها في الخبر هي أحد الوجهين اللذين ذكرهما في قول الشاعر:

فلا تطمع -أبيت اللعن- فيها ومنعكها بشيء يُستطاعُ

"الباء في (بشيء) زائدة في خبر المبتدأ فكأنه قال: ومنعكها شيء يستطاعُ. أي: أمرٍ مُطابق غير باهظ ولا مُعجز. أي: قاله عنها ولا تعلق فكرك بها"²⁴⁴.

-أما زيادتها فيما هو فرغ من الخبر:

²⁴¹قراءة حفص عن عاصم: "لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُؤْلُوا وَجُوهَكُمْ".

²⁴²ابن جني، المحتسب، 1/117.

²⁴³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/149.

²⁴⁴ابن جني، التنبيه، 84-362. والوجه الآخر الذي قاله هو أن تكون الباء أصلية، فيصير المعنى: ومنعكها بمعنى من المعاني مما يُستطاعُ؛ فتكون الباء ومجرورها متعلقة بالخبر، ويجوز وجه آخر هو أن تكون الباء أصلية كذلك تتعلق هي ومجرورها بالفعل (يُستطاع).

فقد ذكر أنها تُزادُ في خبر ليس كثيراً، نحو: ليس زيدٌ بقائمٍ. أي: قائماً²⁴⁵، ومن ذلك قوله تعالى: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ" (الزمر 36/39) تقديره: كافياً عبده²⁴⁶، وقوله تعالى²⁴⁷: "أَلَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ" (النساء 123/4).

وزيدت كذلك في خبر (ما) العاملة عمل (ليس) كقوله تعالى: "وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ" (يوسف 17/12) أي: ما أنت مؤمناً لنا²⁴⁸.

ونكر كذلك أنها تُزادُ في خبر (لكن)، كقول الشاعر:

ولكنَّ أجراً لو فعلت بهيِّنٍ وهل يُنكرُ المعروفُ في النَّاسِ والأجرُ؟
التقدير عنده: لكنَّ أجراً هيِّنٌ²⁴⁹.

3. 2. 1. 2. 3-زيادتها في الفاعل

ومن ذلك زيادتها في فاعل الفعل (كفى) اللازم. كقوله تعالى: "وَكَفَىٰ بِنَا حُسَيْنٍ" (الأنبياء 47/21) أي: كَفَيْنَا²⁵⁰.

وقد ردَّ أبو الفتح رأياً لابن السراج ذهب فيه إلى أن الباء أصليةٌ تتعلقُ هي ومجرورها بمصدر محذوفٍ، والتقدير: كفى الاكتفاء بنا، وقال: "وهذا يَضْعُفُ عندي"²⁵¹.

²⁴⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/133.

²⁴⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/143.

²⁴⁷ابن جني، المحتسب، 1/118.

²⁴⁸ابن جني، المحتسب، 1/143.

²⁴⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/152.

²⁵⁰ابن جني، الفسر، 3/773 - المؤلف نفسه، المحتسب، 1/117.

ويذكرُ زيادتها في هذا الموضع عند تعليقه على قول المتنبي²⁵²:

كفى بصفاء الودِّ رقاً لمثله وبالقرب منه مفخراً لليب
فالباء زائدة في (صفاء).

وزيدت كذلك قبل الفاعل في باب التعجب نحو: أحسنُ بزيد.

3. 2. 1. 3-زيادتها مع غير الفضلة والعمدة

فقد ذكر زيادتها بين (عن) ومجرورها في قول الشاعر:

فأصبحن لايسألنَّه عن بما به أصعد في علو الهوى أم تصوبا
ثم قال: "وهذا من غريب مواضعها"²⁵³.

وفي قولهم: (سميته بزيد، وكنيته بأبي عبد الله)، لا يرى الباء زائدة بل يرى أن الفعلين المذكورين يتعديان بنفسهما تارة، وبحرف الباء تارة أخرى²⁵⁴.

3. 2. 2. 2-زائدة لل عوض

ذكرها في قول الشاعر:

أولى فأولى يا امرأ القيس بعدما
خصفن بآثار المطي الحوافرا

فمعناه "خصفن آثار المطي بالحوافر، فزاد باءً وحذف أخرى، فكانت الزائدة عوضاً من المحذوفة"²⁵⁵.

²⁵¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/152.

²⁵²ابن جني، التفسير، 1/194.

²⁵³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/147.

²⁵⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/147.

3. 2. 3- الحذف

قرأ السلمي قوله تعالى: "وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دَحُورًا"²⁵⁶ (الصافات 8/37، 9)، فقال أبو الفتح في توجيه هذه القراءة الشاذة: "وإن شئت أَراد: وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِدَاحِرٍ أَوْ بِمَا يَنْحَرُ... لِمَا فِيهِ مِنْ حَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ وَإِرَادَتِهِ"²⁵⁷.

ويُقَدَّرُ الحذف كذلك في توجيه قراءة أبي بن كعب قوله تعالى: "مَنْ هَبَّنَا مِنْ مَرْقَدِنَا"²⁵⁸ (يس: 52/36) "أي هب بنا، بمعنى أيقظنا، ثم حذف حرف الجر فوصل الفعل بنفسه"²⁵⁹، ولا يكفي هنا بذكر الحذف بل يبيِّن معنى الباء المحذوفة، ويرى أنها مُعاقبة همزة التعديّة، ويؤيد رأيه قراءة أبي حاتم عن ابن مسعود: (مَنْ أَهَبَّنَا).

وفي توجيه قراءة الحسن: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ"²⁶⁰ (الأنعام 117/6) يقول: "أراد بِمَنْ يَضِلُّ، فَحَذَفَ الْبَاءَ، وَأَوْصَلَ أَعْلَمَ هَذِهِ بِنَفْسِهَا..... يُوَكِّدُ ذَلِكَ ظُهُورُ الْبَاءِ بَعْدَهُ مَعَهُ فِي قَوْلِهِ: "وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (القلم 7/68)²⁶¹.

وقال بحذفها كذلك حين وقف على قول الشاعر:

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ دَ تَتَمَّرُوا حَلَقًا وَقَدًّا

²⁵⁵ ابن جني، الخاطريات، 38.

²⁵⁶ قراءة حفص عن عاصم: "وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا".

²⁵⁷ ابن جني، المحتسب، 219/2.

²⁵⁸ قراءة حفص عن عاصم: "مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا".

²⁵⁹ ابن جني، المحتسب، 214/2.

²⁶⁰ قراءة حفص عن عاصم: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ".

²⁶¹ ابن جني، المحتسب، 229/1.

فرأى أنه يمكن أن يكون "أراد: تتمروا بحلقٍ وقِدٍّ، ثم لما حذف حرف الجرّ نَصَبَ ما كان مجروراً بالفعل الذي قبله. وعلى ذلك حُمِلَ قوله:

نجا سالمٌ والنفسُ منه بشدقه ولم ينجُ إلا جفنٌ سيفٍ ومِنْزراً

قالوا: أراد لم ينجُ إلا بجفن سيف²⁶².

ويمكن عنده حذفُ الباءِ التجريدية للعلم بها. كما في قولنا: لئن لقيت فلاناً لتلقين الأسد، أي: لتلقين بلقائه الأسد²⁶³.

وبعدُ فيمكنُ عنده أن تُحذفَ الباء للعلم بموضعها بقرينة حالية معنوية أو لفظية، فمن الأول ما حكاه من أنَّ رؤية كان إذا سُئِلَ: "كيف أصبحت؟ يقول: خير عافاك الله. أي: بخير. "يُحذفُ الباء لدلالة الحالِ عليها بجري العادة والعرفِ بها"²⁶⁴.

ومن الثاني تخريجُه قراءة حمزة قوله تعالى: "واتقوا الله الذي تَسَاءَلُونَ به والأرحام"²⁶⁵ (النساء 1/4)، إذ دافعَ عن هذه القراءة، ورأى أن الوجة فيها ليس هو الوجة الذي اعترض عليه البصريون - ومنهم المبرّد - من العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجارِّ، يقول: "بل الأمرُ فيها دون ذلك وأقربُ وأخفُ وألطفُ، وذلك أنَّ لحمزة أن يقول لأبي العباس: إنني لم أحمل (الأرحام) على العطف على المجرور المضمَر، بل اعتقدتُ أن تكونَ فيه باءٌ ثانيةً، حتى كأَنني قلتُ: وبالأرحام،

²⁶²ابن جني، التنبيه، 74.

²⁶³ابن جني، التنبيه، 291.

²⁶⁴ابن جني، الخصائص، 285/1.

²⁶⁵قراءة حفص عن عاصم: "واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ"، بنصب (الأرحام).

ثم حُذِفَتِ الباءُ لتَقْدُمَ ذِكْرَها، كما حُذِفَت لتَقْدُمَ ذِكْرَها في نحو قولك: بمن تمرُّ أمرُّ.. ولم تقل: أمرُّ به²⁶⁶.

ويشبه الحذف هنا بالحذف الذي وَقَعَ في قول الفرزدق:

وإني من قوم بهم يُتَّقَى العدا ورأبُ الثأى والجانبُ المُنَحَوِّفُ

يقول: "أراد: وبهم رأبُ الثأى، فحذف الباء في هذا الموضع لتَقْدُمَها في قوله: بهم يُتَّقَى العدا"²⁶⁷.

وظاهر الأمر أنه ينتصر للرأي الكوفي على البصري حول الخلاف الشهير بشأن قضية جواز العطف على الضمير المخفوض²⁶⁸، غير أنه في الواقع يبتكر -كما رأينا- للكوفيين اعتذاراً مُفْتَرَضاً لرأيهم لم يقولوا به، وهو تقديرُ حرفٍ محذوفٍ وبقاءً عمله.

3. 3- الفاء

3. 3. 1- المعاني والاستخدام

الفاءُ حرفٌ مهموسٌ، وتأتي للعطف والإتباع جميعاً، أو للإتباع مجرّداً من العطف؛ "إلا أنَّ المعنى الذي تختصُّ به وتُنسَبُ إليه هو معنى الإتباع، وما سوى ذلك فعارضٌ فيها غيرُ مُلَازِمٍ لها"²⁶⁹، بحسب قول ابن جني.

²⁶⁶ابن جني، الخصائص، 285/1.

²⁶⁷ابن جني، الخصائص، 286/1.

²⁶⁸أبو البركات ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: جودة مبروك، ط1، (القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت.)، 371.

²⁶⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/ 262.

ويعلّل ذلك بأنها متى كانت للعطف فهي حتماً متضمنة معنى الإتياع، لكنها قد تكون للإتياع وتخلو من معنى العطف، "فلما كان الإتياع لا يفارقها، والعطف قد يفارقها، كان أخص معنيها بها الإتياع لملازمته لها"²⁷⁰.

وقصده من الإتياع معنى (التعقيب) الذي يعاكس في معاني الأدوات معنى (مطلق الجمع) المفهوم من حرف العطف (الواو)، ومعنى (التراخي/المهلة) المفهوم من حرف العطف (ثم)، وما يُقوي ذلك استعماله لفظ (عقيب) عند الحديث عن الإتياع.

3. 1. 3- العطف والإتياع معاً

ذلك كقولك: قام زيدٌ فعمرو، "فقيامٌ عمرو وَقَعَ عَقِبَ قيام زيد بلا مُهلة"²⁷¹، ولفظ (عقيب) أفاد أمرين اثنين:

- الأول: هو الترتيب المفهوم ضمناً من معنى (التعقيب)، فقيامٌ زيدٍ وَقَعَ حتماً قبل قيام عمرو، وهذا يجعل الفاء مُقابلاً للواو التي لا تفيّد هذا الترتيب على الرأي الأرجح.

- الثاني: هو المقصود ذاتاً من (الإتياع) وهو انعدام المدة الزمنية (انعدام المهلة)، وهذا يجعل الفاء مُقابلاً لـ (ثم) التي تفيّد التراخي الزمني بين المتعاطفين. هذا إضافة إلى معنى العطف الذي هو تشريك في الحكم بين المتعاطفين.

وهنا يخوض ابنُ جنّي في مسألة دخول الفاء التي للعطف والإتياع على أسماء المواضع، فيشرّح فرقاً بين قولهم: "مُطرنا ما بين زُبالة فالتعلبية"، وقولهم: "مُطرنا ما بين زُبالة والتعلبية"، فالبارة الأولى أفادت فيها الفاء "أنّ المطر انتظم الأماكن التي ما بين هاتين القريتين،

²⁷⁰ ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، 1/ 270.

²⁷¹ ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، 1/ 263.

يَقْرُوهَا شَيْئاً فَشَيْئاً بِلَا فُرْجَةٍ²⁷²، أَمَّا الْعِبَارَةُ الثَّانِيَةُ فَالْوَاوُ أَفَادَتْ فِيهَا "أَنَّ الْمَطَرَ وَقَعَ بَيْنَهُمَا"²⁷³، وَلَمْ يَقَعْ مَتَّصِلاً فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنَ جَمِيعاً.

وَمِنَ الْفَاءِ الَّتِي تُقَيَّدُ الْعَطْفَ وَالْإِتْبَاعَ مَعاً، الْفَاءُ الَّتِي نَصْطَلِحُ الْيَوْمَ عَلَى تَسْمِيَتِهَا بِـ (السَّبَبِيَّةِ)، وَهِيَ الَّتِي يُنْصَبُ الْمَضَارِعُ بَعْدَهَا بِـ(أَنْ) الْمُضْمَرَّةِ. وَشَرْطُ هَذِهِ الْفَاءِ أَنْ تَأْتِيَ جَوَاباً لِسَبْعَةِ أَشْيَاءٍ. وَهِيَ: الْأَمْرُ وَالنَهْيُ وَالِاسْتِفْهَامُ وَالنَفْيُ وَالِدَعَاءُ وَالتَّمْنَى وَالْعَرَضُ.

فَالْأَمْرُ نَحْوُ: قُمْ فَأَقُومَ. قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا نَاقُ سِيرِي عَنَقاً فَسِيحاً إِلَى سَلِيمَانَ فَنَسْتَرِيحاً²⁷⁴

وَالنَّهْيُ نَحْوُ: لَا تَشْتُمُهُ فَيَشْتَمَكَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ"²⁷⁵ (طه 61/20).

وَالِاسْتِفْهَامُ نَحْوُ: أَيْنَ بَيْتُكَ فَأَزُورَكَ. قَالَ الشَّاعِرُ:

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَمْرِ فَأَشْرِبَهَا؟ أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ؟²⁷⁶

وَقَالَ تَعَالَى: "فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا" (الأعراف 53/7) "وَهُوَ مَنْصُوبٌ لِأَنَّهُ جَوَابُ الْاسْتِفْهَامِ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّمْنَى؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا شَفِيعَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا يَتِمَتُّونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ هُنَاكَ شَفْعَاءُ"²⁷⁷.

²⁷²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/263.

²⁷³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/263.

²⁷⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/281.

²⁷⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/282.

²⁷⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/282.

²⁷⁷ابن جني، المحتسب، 1/252.

والنفسي نحو: ما أنت بصاحبي فأكرمك. قال الشاعر:

وما أصحاب من قوم فأذكركم إلا يزيدهم حباً إلي هم²⁷⁸

والدعاء نحو: اللهم ارزقني بغيراً فأحجّ عليه²⁷⁹.

والتمني نحو: ليت لي مالا فأنفقّه²⁸⁰، والعرض نحو: ألا تنزل فتحدث²⁸¹.

ويوضح أبو الفتح عند حديثه عن هذه الفاء أمرين مهمين:

الأول: أن نصّب المضارع ليس واقعاً بها بل بـ(أن) المضمر²⁸².

الثاني: أن الفاء تعطف المصدر المسبوك من (أن) المضمر وما بعدها على مصدر متخيل معناه في أول الكلام. فإذا قال: زُرني فأزورك، فكأنه قد قال: لتكن منك زيارة، فزيارة مني²⁸³.

وقد يُنصب المضارع بـ(أن) المضمر بعد الفاء دون أن تُسبق الفاء بالأمور السبعة التي ذُكرت. وهو يقيّد ذلك بالضرورة الشعرية. كقول الأعشى:

لنا هَضْبَةٌ لا ينزل الذلُّ وسطها ويأوي إليها المستجير فيُعصما

يقول: "أراد: فأن يُعصما، وهذا ليس بالسهل، وإنما بابه الشعر لا القرآن. ومن أبيات الكتاب:

سأترك منزلي لبني تميم وألحق بالحجاز فأستريحاً²⁸⁴

²⁷⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 282/1.

²⁷⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 282/1.

²⁸⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 282/1.

²⁸¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 282/1.

²⁸²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 282/1.

²⁸³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 282/1.

²⁸⁴ابن جني، المحتسب، 197/1.

وليس الفاء في هذا النوع مُقتصرةً على المفردات، بل قد تأتي لعطف الجمل. نحو:
ضربتُ زيداً فأوجعته²⁸⁵، وقال الشاعر:

والله ما يدري امرؤُ ذو جنائِه ولا جارُ بيتِ أيٍّ²⁸⁶ يوميك أجودُ؟

أيومٍ إذا أَلْفَيْتَه ذا يسـارةٍ فأعطيتَه عفواً منك أو يومَ تَجهدُ؟

يقول عن الفاء في (فأعطيتَه): "وإن شئتَ كانت عاطفةً، وكان الجوابُ محذوفاً"²⁸⁷.

3. 3. 1-2-الإتباع دون العطف

ويرى أنها تكونُ كذلك في كلِّ موضعٍ يكونُ فيه الأولُ سبباً للآخر، ويكونُ فيه الآخرُ نتيجةً عن الأول²⁸⁸. ويقع ذلك في المواضعِ التالية:

3. 3. 1-2-في جواب الشرط

نحو قولك: إن نُحسِنَ إليَّ فالله مُجَازِيكَ. "فهذه هنا مجردة من معنى العطف"²⁸⁹ مُتمَحَصَةٌ لمعنى (الإتباع). ومعنى العبارةِ وَفَقَ ذلك: مجازاةُ الله لك تأتي عَقِيبَ إِحْسَانِكَ إِلَيَّ. فالإحسانُ سببٌ والمجازاةُ نتيجةٌ.

وأحسبُ ابنَ جَنِّيَ علَّ دخولَ الفاء في جواب الشرط تعليلاً لم يُسَبِّقْ إليه فقال: "إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلاً إلى المُجازاة بالجملة المركَّبة من المبتدأ والخبر، أو الكلام الذي قد يجوز أن يُبتَدَأَ به"²⁹⁰.

²⁸⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/263.

²⁸⁶في المطبوع المُعتمد (أي) ولا وجه للنصب.

²⁸⁷ابن جني، التنبيه، 424.

²⁸⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/263.

²⁸⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/263.

وتبيان كلامه أَنَّ الشرط وجوبه لا يَصَحَّانِ إلا بالأفعال، لأنَّ الشرط ما هو إلا انعقاد وقوع فعلٍ بوقوع فعلٍ آخر. فعندما أقول: "إنَّ تُحْسِنَ إِلَيَّ فالله مُجَازِيكَ" لم يرتبط أولُ الكلام بآخره؛ لأنَّ أوله فعلٌ وآخره اسمان، والأسماء لا يعادلُ بها الأفعال، وحلاً لهذا الإشكال "أدخلوا هناك حرفاً يدلُّ على أنَّ ما بعده مسبَّبٌ عما قبله، لا معنى للعطف فيه، فلم يجدوا هذا المعنى إلا في الفاء وحدها؛ فذلك اختصُّوها من بين حروفِ العطف، فلم يقولوا: إنَّ تُحْسِنَ إِلَيَّ والله يكافئك، ولا: ثمَّ الله يكافئك"²⁹¹.

إذاً، تقرَّرَ عنده أنَّ الفاء تدخلُ في جواب الشرط على مبدأ السبب والنتيجة، وأنَّ الفاء تدخلُ حتماً على النتيجة؛ ولهذا وقف على قوله تعالى: "قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ" (يوسف 77/12)، فقال: "وَمِنْ حُكْمِ الْجَوَابِ أَنْ يَكُونَ مُسَبِّباً عَنِ الشَّرْطِ، وسَرَقَ أَخِيهِ كَانَ قَبْلَ سَرِقِهِ المشروط به؛ وذلك لأنه حَمَلَ على المعنى، فكأنه قال: إِنْ يَسْرِقْ يَجْرُ بِذَلِكَ عَلَى شَاكِلَتِهِ؛ لأنَّ هذا معلومٌ من أخيه"²⁹².

3. 3. 1. 2 - فيما تضمَّن معنى الشرط

وتحت معنى الشرط يُدْخِلُ ابنُ جَنِّي المعارف الموصولة والنكرات الموصوفة إذا تضمَّنت صلاتها وصفتها معنى الشرط، فحينئذٍ تدخلُ الفاء في أخبارها. نحو: الذي يَكْرِمُنِي فَلَهُ دِرْهَمٌ، فلَمَّا كان الإكرام سبب وجود الدرهم دخلتِ الفاء في الكلام²⁹³، فالشرطُ غيرُ موجودٍ هنا صراحةً، لكنه موجودٌ ضمناً، فكأن معنى العبارة هو: مَنْ يُكْرِمُنِي فَلَهُ دِرْهَمٌ.

²⁹⁰ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/264.

²⁹¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/264.

²⁹² ابن جني، الخاطريات، 30.

²⁹³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/269.

وعدم دخول الفاء في هذا المقام يغيّر المعنى تماماً، فلو صار الكلام: (الذي يكرمني له درهم)، لم يدلّ هذا القول على أنّ الدرهم إنما يُستحقّ للإكرام، بل هو حاصل للمكرم على كل حال. قال تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ" (البقرة 274/2)، "فالفاء قد دلّت على أنّ الأجر إنما استحقّ عن الإنفاق"²⁹⁴، فالإنفاق سبب والأجر نتيجة.

والفاء داخلة عنده على ما فيه من معنى الشرط في قوله تعالى: "قُلْ إِنْ أَلَمَّوْتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ" (الجمعة 8/62). يقول: "فليست الفاء في (فإنه) زائدة، ولكنها دخلت لما في الكلام من معنى الشرط، فكأنه -والله أعلم-: (إن قررتم منه لاقاكم)"²⁹⁵.

ونحو ذلك في باب النكرات الموصوفة قولك: (كلّ رجل يزورني فله دينار)، "فالفاء هي التي أوجبت استحقاق الدينار بالزيارة"²⁹⁶، ولو كان القول: (كلّ رجل يزورني له دينار) لانتفى معنى الشرطية ودلّ القول على أنّ الدينار في ملك الزائر على كل حال.

ولا بدّ من ذكر شيء مهمّ في هذا الباب، وهو أنّ ابن جنّي ومن ذهب مذهبه في هذه الفاء جعلوها وحدها دالة على معنى الشرط، وربطوا حذفها بزوال راحته وانتفاء معناه. ولعلّ قولهم يبيّن نصف الحقيقة ويخفي جانباً جدّ مهمّ، هو أنّ الفاء في عبارة (كلّ رجل يزورني فله درهم) ليست وحدها التي أوجبت استحقاق الدينار بالزيارة، بل شاركها في الدلالة على معنى الشرط أنّ الفعل الذي قبلها مضارع، ولو تتبّعنا أمثلة النحاة في هذا المقام لوجدنا الفعل المضارع ولعِدْمنا الفعل الماضي، فلم نجد منهم مَنْ مثّل بقوله: (كلّ رجل زارني فله درهم) لأنّ الكلام يصير هنا تقريراً

²⁹⁴ ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، 1/269.

²⁹⁵ ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، 1/278.

²⁹⁶ ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، 1/269.

وحُكماً لا شرطاً، ولو سمعنا هذه العبارة لحكمنا بزيادة الفاء حتماً؛ لأنَّ أسلوبَ الشرط في معناه موضوعٌ للمستقبل، ولا دلالةً للماضي على الشرط في تلك العبارة الأخيرة.

وممّا فيه معنى الشرط كذلك (أمّا)؛ ولذلك دخلت الفاء في جوابها في نحو: (أمّا زيدٌ فمنطلقٌ) "فمعناه: مهما يقع من شيء فزيدٌ منطلقٌ"²⁹⁷. ثمَّ إنهم أخروها لأنها لا تقع مُبتدأً في أول الكلام؛ فلو أنهم قالوا: (أمّا فَرِيدٌ منطلقٌ) لَمَّا سبقها فعل ولا اسمٌ بل سبقها حرفٌ، فقدّموا أَحَدَ الاسمينِ لِمَا حاولوه مِنْ إصلاحِ اللَّفْظِ؛ لأنَّ "العرب كما تُعْنَى بالمعاني فتحقّقُها، فكذلك أيضاً تعنى بالألفاظ فتُصلّحُها"²⁹⁸.

ويندرج في هذا المضمار دخولُ الفاءِ على فعل الأمر. وذلك كقراءة الحَسَنِ شذوذاً قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ"²⁹⁹ (الأحزاب 5/33). قال أبو الفتح: "دخولُ الفاءِ هنا لما ضُمَّنَّته الحديثُ من معنى الشرط؛ وذلك أنه إنما وَجِبَتْ عليه الصلاةُ منا؛ لأنَّ اللَّهَ - سبحانه - قد صَلَّى عليه"³⁰⁰.

3. 3. 1. 2. 3- في غير ذلكما ممّا يَقْرُبُ من معنى الشرط

يبدو أنَّ ابن جني يعمدُ إلى أسلوب الاستئناف التعليلي، فيعُدُّ الفاء فيه للإِتِّباع لأنه أسلوبٌ تتحقّق فيه معادلة (السبب والنتيجة)، أو كما سمّاها (السبب والمُسَبَّب). ذكر هذا قول الشاعر:

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ فَقَدْ بَرِئْتُ مِنَ الْإِخْنِ الصُّدُورُ

²⁹⁷ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/277.

²⁹⁸ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/277.

²⁹⁹ قراءة حفص عن عاصم: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ".

³⁰⁰ ابن جني، المُحتسب، 2/183.

فالشاعر جعل الإسلام نتيجةً عن براءة الصدور من الإحن، ومعنى البيت: قد برئت من الإحن الصدور فأسلموا لأجل ذلك³⁰¹.

3. 3. 2-زيادة الفاء

يقول: "وأما وجه زيادتها فقد جاء مجيئاً صالحاً"³⁰². ويقول في موضع ثانٍ: "وزيادة الفاء كثيرة"³⁰³.

وزيادتها بحسب ما ذكر نوعان:

3. 3. 2. 1-النوع الأول - وهو الكثير -

أن تكون زيادتها غير لازمة؛ أي: يُستغنى عنها. وذلك في مواضع كثيرة نستطيع حصرها فيما يأتي:

3. 3. 2. 1. 1- زيادتها قبل فعل الأمر المتأخر عن معموله

"ومن ذلك قولهم: زيدا فاضرب، وعمراً فاشكر، وبمحمد فامرؤ. وإنما تقديره: زيدا اضرب، وعمراً اشكر، وبمحمد امرؤ. وعلى هذا قوله جل ثناؤه: "وَنِيَابَكَ فَطَهَّرَ" (المدثر 4/74) أي: ونيابك طهر، "وَالرُّجْزَ فَأَهْجُرَ" (المدثر 5/74) أي: والرجز اهجر، "وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ" (المدثر 7/74) أي: لربك اصبر"³⁰⁴.

³⁰¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/267.

³⁰²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/270. وهو يعني بقوله (صالحاً) أنه كثير، ولا يعني بها استحسان الزيادة؛ لأن رأيه -كما مر- أن زيادة الحروف تنقض الغرض من ذكرها.

³⁰³ابن جني، التنبيه، 424.

³⁰⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/271.

3. 3. 2. 1- ومن مواضع زيادتها موضع قريب من الأول

وهو زيادتها في قول نقله عن سيويه: (زيداً إن يأتك فاضرب). قال أبو علي: الفاء هنا زائدة. و(اضرب) واقع غير موقعه. وجواب الشرط محذوف دل عليه (فاضرب). فكأن تقديره: زيداً اضرب إن يأتك، ثم زاد الفاء، واكتفى بقوله (فاضرب) من جواب الجزاء. فكأنه قال: زيداً فاضرب إن يأتك فاضرب. فزيد منصوب ب(اضرب) الأولى، والفاء فيها زائدة. وهي التي كانت مؤخره فقدمت. وقوله (فاضرب) الثانية هي جواب الشرط في الحقيقة³⁰⁵.

ويفهم من مجمل الكلام هنا أن ثمة جملة شرطية حذف جوابها، اعترضت بين فعل الأمر الذي زيدت فيه الفاء (اضرب)، ومفعوله المقدم (زيداً).

3. 3. 2. 1- زيادتها عند دخولها على حرف عطف

فقد أورد بيتاً أنشده أبو الحسن الأخفش، هو قول الشاعر:
أراني إذا ما بثُّ بثُّ على هوى فثمَّ إذا أصبحتُ أصبحتُ غاديا
وعلق عليه بالقول: "كأنه قال: ثم إذا أصبحتُ أصبحتُ غادياً"³⁰⁶.

3. 3. 2. 1- زيادتها في جملة مبدلة من أخرى

وذلك في قوله تعالى: "لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَارَةِ مِّنَ الْعَذَابِ" (آل عمران 188/3). يقول: "الفاء هنا زائدة، و(تحسب) الثانية بدل من تحسب الأولى"³⁰⁷.

³⁰⁵ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 274/1.

³⁰⁶ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 274/1.

3. 3. 1. 5-زيادتها في أول القول

كما في قول الشاعر³⁰⁸:

وحتى تركتُ العائداتِ يَعُدُّنَّه يَقُلْنَ: فلا تبعُدْ وقلْتُ له: ابعُدْ

3. 3. 2. 6-زيادتها في جواب (لما)

كما في قول الشاعر:

لما اتقى بيدٍ عظيمِ جرمُها فتركت ضاحي كَفِّه يتذبذبُ

"قالفاء في هذين البيتين زائدة"³⁰⁹.

3. 3. 2. 7. زيادتها في جملة الخبر

يقول: "أخبرنا أبو عليّ أنّ أبا الحسنِ حكى عنهم: أخوك فَوَجَدَ. يريد: أخوك وجد"³¹⁰.

3. 3. 2. 8-وقد تَزَادَ في جواب شرط (إذا) حين لا يكونُ مُسْتَحِقًّا للفاء:

كما في قول الشاعر:

والله ما يدري امرؤٌ ذو جنابةٍ ولا جارُ بيتٍ أيُّ يوميك أجود؟

أيومٍ إذا أَلْفَيْتَـه ذا يسارةٍ فأعطيته عفواً منك أو يوم تجهدُ؟

يقول عن الفاء في (فأعطيته): "إن شئت جعلتها زائدة. أي: إذا أَلْفَيْتَ فيه أعطيت"³¹¹، وقال

فيه -كما مرّ- "وإن شئت كانت عاطفةً، وكان الجوابُ محذوفاً"³¹².

³⁰⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/279.

³⁰⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/279.

³⁰⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/280. والبيتان هذا والذي قبله.

³¹⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/270.

3. 2. 2-النوع الثاني -وهو القليل- أن تكون زيادتها لازمة واجبة

وذلك زيادتها قبل (إذا) الفجائية³¹³ في قولنا: خرجتُ فإذا زيدٌ³¹⁴. وهو ينقل ثلاثة آراء من العلماء في هذه الفاء ويناقشها³¹⁵.

الرأي الأول: أنها داخلة على حد دخولها في جواب الشرط:

وصاحبُ الرأي هو (أبو إسحاق الزيادي)، ويصفُ هذا الرأي بأنه "قاسد". فالعبارة ليس فيها معنى الشرط أو الجزاء؛ لأنها إخبارٌ عن حالٍ ماضيةٍ مُنقضية، والشرط لا يصحُّ إلا في الاستقبال. "ألا ترى أنك لا تجيزُ: إن قمتُ أمسِ قمتُ أولَ أمسٍ".

الرأي الثاني: أنها عاطفة:

وصاحبُه (مَبْرَمَانُ)³¹⁶. وهذا الرأي عنده أفسدُ من سابقه "وسقوطُه أظهرُ؛ لأن جملة (خرجتُ) فعلية، وجملة (إذا زيدٌ) اسمية مبتدؤها المؤخر (زيد) وخبرها المقدم (إذا). "وحكمُ المعطوف أن يكونَ وَفَقَ المعطوفِ عليه؛ لأنَّ العطفَ نظيرُ التنثية، وليست الجملة المركبة من المبتدأ والخبر وَفَقَ المركبة من الفعل والفاعل، فتُعطفَ عليها".

الرأي الثالث - وهو موطنُ حديثنا -: أنها زائدة:

³¹¹ابن جني، التنبيه، 424.

³¹²ابن جني، التنبيه، 424.

³¹³يصرح عندما يناقش الآراء الثلاثة أن (إذا) هنا، اسمية في محل رفع خبر مقدم، مبتدؤه زيدٌ.

³¹⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 271/1.

³¹⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 271/1.

³¹⁶محمد بن علي بن إسماعيل، وهو أحد شيوخ أبي علي الفارسي. يُنظر في: جلال الدين السيوطي، بَغِيَّةُ الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1965/1، 175).

وصاحبه أبو عثمان المازني، ويرى ابنُ جني أنه أصحُّ الأقوال؛ وذلك لأن (إذا) الفجائية فيها معنى الإلتباع لإمكانية حلولها محلَّ الفاء. فالله تعالى قال: "وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ" (الروم 36/30) كما تقول: إن تحسن إليَّ فأنا أشكرك. وإذا كانت هي والفاء فيهما معنًى واحدٌ هو الإلتباع؛ فهذا يعني أن الفاء زائدة.

ويضيف: "فإن قال قائل: إذا كانت الفاء في قولنا (خرجتُ فإذا زيدٌ) زائدة، فأجز: (خرجتُ إذا زيدٌ)؛ لأنَّ الزائدَ يمكنُ طرحه ولا يختلُّ الكلامُ بذلك..... فالجواب: أن الفاء هنا وإن كانت زائدة، فإنها زيادةٌ لازمةٌ لا يجوزُ حذفُها؛ وذلك أنَّ من الزوائد ما يلزمُ البتَّة" ³¹⁷.

غير أنه في (الخصائص) ينقُضُ رأيه هذا فيقول: "وبهذا يقوى عندي قول مبرمان إن الفاء في نحو قولك: (خرجتُ فإذا زيدٌ) عاطفة، وليست زائدةً كما قال أبو عثمان، ولا للجزاء كما قال الزيادي" ³¹⁸.

3. 3. 3- حذفُ الفاء

يقول: "وكما زيدتِ الفاء فيما ذكرناه، وفي غير ذلك ممَّا يطولُ ذكرُه، كذلك حُذِفَتْ أيضاً اختصاراً وهي مرادة" ³¹⁹. وحذفُها عموماً "ضعيفٌ في العربية، وبابُه الشعرُ لا القرآن" ³²⁰. وتُحذفُ في موضعين:

الأول: في جواب الشرط:

كقول الشاعر:

³¹⁷ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/272.

³¹⁸ ابن جني، الخصائص، 3/320.

³¹⁹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/274.

³²⁰ ابن جني، المحتسب، 1/193.

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلاًن
"أراد: فالله يشكرها، وحذف الفاء تخفيفاً"³²¹.

وقد تُحذف في جواب الشرط مع المبتدأ. كما في قول الشاعر:
بني³²² ثعلٍ لا تتكعوا العنز شربها بني ثعلٍ من ينگع العنز ظالمٌ
"فكانه قال: فهو ظالمٌ، فحذف الفاء والمبتدأ جميعاً"³²³.

الثاني: في جواب ما يشبه الشرط:

أي: في جواب (أما)، كما في قول الشاعر:
فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيراً في عراض المواكب
وقوله:

فأما الصدور لا صدور لجعفر ولكن أعجازاً شديداً ضريرها
أراد: فلا قتال لديكم، فلا صدور لجعفر³²⁴.

³²¹ابن جني، المُحتسب، 1/193.

³²²في النسخة المعتمدة: بنو، والصواب ما أثبت.

³²³ابن جني، المُحتسب، 1/193.

³²⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/276.

3-4-الكاف المفردة

3. 4. 1-أنواعها: وهي ضربان: جارة وغير جارة.

3. 4. 1. 1-الكاف الجارة: وهي كذلك نوعان: حرفية واسمية.

3. 4. 1. 1-الكاف الحرفية

يعرفها بأنها التي لا تقع موقع الأسماء، وهذا تمييز لها عن الاسمية التي يمكن أن تقع موقع الأسماء. ومن المواضع التي يتعين فيها حرفيتها أن تقع صلة لاسم موصول. نحو: (مررت بالذي كزيد). يقول: "والكاف هنا حرف لا محالة"³²⁵. وسبب جزمه بحرفيتها أننا لو عدناها اسماً لأعربناها خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: (بالذي هو مثل زيد)، وهذا ما عبر عنه بكونه "خلفاً وقبيحاً في الكلام"³²⁶، ويزول هذا القبح عنده إذا أظهر المبتدأ في مثل هذا المقام، ولم يُقدّر. والمعنى الأساسي لهذه الكاف هو التشبيه³²⁷.

ويجوز أن تأتي بمعنى (على) في رأي الأخفش، أو بمعنى الباء. كما في قول أحدهم: (كخير)، جواباً على سؤال: كيف أصبحت؟ قال أبو الحسن: فالكاف في معنى (على). وقد يجوز

³²⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/291.

³²⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/291.

³²⁷ابن جني، اللمع في العربية، تح: سميح أبو مغلي، ط1، (الأردن، دار مجدلاوي، 1988)، 61.

عندي أن تكونَ في معنى الباء. أي: بخير. قال أبو الحسن: ونحو منه قولهم: كن كما أنت. أي: كن على الفعل الذي هو أنت عليه³²⁸.

3. 4. 1. 1- الجارة الاسمية

فيما يتعلق بمجيء الكاف اسماً ينقل رأيين بصريين³²⁹:

أولهما للأخفش الذي يرى جواز مجيء الكاف اسماً في غير الضرورة، والثاني لسيبويه الذي لا يجعل الكاف اسماً إلا في الضرورة.

وتتعيَّن اسميَّة الكاف عنده إذا وقعت مَوْقِعَ الأسماء. وذلك في المواضع التالية:

3. 4. 1. 1- إذا اجتمعت بكاف أخرى

كقول الشاعر:

وصالِيَاتٍ كَمَا يُؤْتَفَنُ

فالأولى حرفٌ والثانيةُ اسمٌ؛ وذلك "الدخولِ حَرْفِ الجَرِّ عليها"³³⁰.

³²⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 325/1. وأحسب أنه لم يُحَسِّنِ الصياغة في قوله: (كن على الفعل الذي هو أنت عليه). ثم إنَّ هذا السوء في الصياغة قد يكون من عمل الناسخ؛ لأن حاذقاً مثله لا يقع بمثل ذلك. وكان الأفضل لو قال: (الذي أنت عليه)؛ إذ لا حاجة لوجود عائدين للصلة يجعلان التركيب ركيكاً.

³²⁹ابن جني، التنبيه، 280.

³³⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 291/1.

وهو لا يعني هنا أن حرف الجرّ إذا دخل على حرف جرّ آخر صار اسماً؛ فاللام مثلاً دخلت على لامٍ أخرى في قول الشاعر:

فلا والله لا يُلْفَى لِمَا بي ولا لِمَا بهم أبداً دواء

لكننا لا نَعُدُّ اللامَ الثانيةً اسماً، لعدم وجود موضعٍ آخر يُثَبِّتُ اسميّة اللام، أما الكاف فقد ثَبَّتَ لها مواضعُ أخرى في الاسمية، وهذا هو الحدُّ بين الأمرين.

3. 4. 1. 1. 2. 2- إذا دخل عليها حرف جرّ آخر

كقول الشاعر:

وَزَعْتُ بِكَالْهَرَاوَةِ أَعُوجِي إِذَا وَنَّتِ الرِّكَابُ جَرَى وَثَابَا

وقول الآخر:

قَلِيلُ غِرَارِ الْعَيْنِ حَتَّى تَقْلَصُوا عَلَى كَالْقَطَا الْجُونِيِّ أَفْزَعَهَا الْقَطْرُ

وقول ذي الرُّمَّة:

أَبَيْتُ عَلَى مَيِّ كُنْبِيًّا وَبَعْلُهَا عَلَى كَالنَّعَا مِنْ عَالِجٍ يَتَبَطَّحُ

وكذلك قول الآخر:

على كالخَنِيفِ السَّحْقِ يَدْعُو بِهِ الصَّدَى لَهُ قُلُوبٌ عَفَى الْحِيَاضِ أَجْـوونُ

فمثّل هذه الأبيات "يشهدُ بكونِ الكافِ اسماً"³³¹.

³³¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/298- ابن جني، الخصائص، 2/368.

3. 4. 1. 1. 2. 3- إذا أمكن إسناد الفعل إليها أو وقوعه عليها

فمن الأول قول الأعشى:

هَلْ تَنْتَهَوْنَ وَلَا يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ

فالكاف هنا اسمٌ في محلِّ رَفْعٍ فاعلٌ، فكأنه قال: ولن ينهى ذوي شَطَطٍ مثْلُ الطعن³³².

ومن الثاني قولُ الشاعر:

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيِّنٍ كَانَ مِيعَادُهُ الْحَشْرُ؟

"أجرى الكاف اسماً"³³³، والتقدير: أرى مثْلَ الموت.

وهو هنا يردُّ رأيَ مَنْ افترض أنَّ الكافَ حرفُ جرٍّ، وأنَّ الجارَّ والمجرورَ نابا منابَ صفةٍ لموصوفٍ محذوفٍ. والتقدير: شيءٌ كائنٌ كالطَّعْنِ، أو: أرى شيئاً كائناً كالموت. ويقول: "حذف الموصوفِ وإنابةُ الصفةِ مقامه على كلِّ حال قبيح"³³⁴. وهو أمرٌ "لا يجبُ أن يُرتكبَ إلا عن ضرورةٍ أو ضيقٍ من الكلام"³³⁵.

ومثلما جاءتِ الكافُ فاعلةً في هذا البيت، يمكنُ عنده أن تأتي مبتدأً نحو: (كزید جاءني) أي: مثلُ زید جاءني، أو اسماً للناسخ نحو: (إنَّ كَبْرَ غلامٍ لمحمَّد) أي: إنَّ مثلَ بكرٍ.

³³²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/292 - ابن جني، الخصائص، 2/368.

³³³ابن جني، التنبيه، 280.

³³⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/293.

³³⁵ابن جني، التنبيه، 280.

ويرى أبو الفتح أنَّ من المواضع ما يجوز فيه الوجهان الحرفية والاسمية. نحو: أنتَ كزيد.
على أنه يفضل حال جواز الأمرين أن تكون الكاف حرفاً؛ فهذا أقيس الوجهين لأسبابٍ ذكرها³³⁶،
وهي:

- أنها مُبَيَّنَّة.

- وأنها على حرف واحد.

- وأنَّ استعمالها حرفاً أكثر من استعمالها اسماً.

3. 4. 1. 2-الكافُ غيرُ الجارة

هي على صَرَبَيْنِ كتلك الجارة: اسمية وحرفية.

3. 4. 1. 2-غيرُ الجارةِ الاسمية

يعني بها الضمير الذي يقع موقعَ النصب أو الجرِّ للمذكر والمؤنث. "فكافُ المذكرِ مفتوحة،
وكافُ المؤنثِ مكسورة. نحو: ضربتك يا رجل، وضربتُكِ يا امرأة. فهذه اسمٌ بدلالة دخول حرفِ
الجرِّ عليها، نحو: مررتُ بكِ وبكِ"³³⁷.

3. 4. 1. 2-غيرُ الجارةِ الحرفية

وهي التي تأتي للخطاب أو لتوكيد الخطاب. في المواضع التالية:

³³⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/300.

³³⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/317.

فمن الأول: الكاف اللاحقة لأسماء الإشارة وغيرها. نحو: (ذلك، وذاك، وتيك، وتلك، وأولئك، وأبصرَكَ زيداً. أي: أبصر زيداً، وكاف النَّجاءَكَ، إذا أردت: أنجُ، والكاف في قوله - عَزَّ اسمُهُ: "قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ" (الإسراء 62/17).

فهذه الكاف في هذه المواضع كُلِّها حرفٌ يفيدُ الخطاب، وليست باسمٍ. والدَّلالةُ على ذلك: أنَّ الكافَ لو كانت في (ذلك) ونحوه من أسماء الإشارة -نحو تلك وأولئك- اسماً، لم تخلُ من أن تكونَ مرفوعةً أو منصوبةً أو مجرورةً، فلا يجوزُ أن تكونَ مرفوعةً؛ لأنَّ الكافَ ليست من ضمائر الرفع، ولا يجوزُ أيضاً أن تكونَ منصوبةً؛ لأنك إذا قلتَ: ذلك زيدٌ، فلا ناصبَ هنا للكافِ، ولا يجوزُ أيضاً أن تكونَ مجرورةً؛ لأنَّ الجرَّ إنما هو في كلامهم من أحد وجهين: إما بحرف جرٍّ، وإما بإضافة اسمٍ، ولا حرفَ جرٍّ هنا، ولا يجوزُ أيضاً أن يُضافَ اسمُ الإشارةِ من قَبْلِ أنَّ العَرَضَ في الإضافةِ هو التعريفُ³³⁸، وأسماءُ الإشارةِ معارفُ كُلِّها، فقد استغنت بتعريفها عن إضافتها³³⁹.

ومن الكاف الحرفية للخطاب كذلك، الكاف في قوله تعالى: "وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ"³⁴⁰ (القصص 82/28)، ف(وي) اسم سُمِّيَ به الفعل في الخبر، وهو معنى (أعجب)، والكاف حرف خطابٍ، وَفَقَ رَأْيِي نَقَلَهُ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ³⁴¹.

ومن الثاني: الكاف في قول بعض العرب: (ليسَكَ زيداً). أي: ليس زيداً. والكاف لتوكيد الخطاب³⁴².

338 قصده الإضافة المعنوية أو الحقيقية؛ وثمة نوع للإضافة ليست الغاية منه التعريف، وهو الإضافة اللفظية. يُنظر في: ابن هشام الأنصاري، *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*، تح: محمد نوري بارتجي، ط1، (الرياض، دار المغني، 2008)، 211.

339 ابن جني، *سر صناعة الإعراب*، 317/1.

340 يذكر هنا رأياً ثانياً للخليل وسيبويه تكون فيه (وي) اسم فعل، و(كأنه) كلمة واحدة.

341 ابن جني، *الخصائص*، 170/3.

3. 4. 2-زيادتها

وهي عنده نوعان:

3. 4. 2. 1-زيادة غير لازمة: وهذه تأتي إما لتأكيد الشبه، أو لغير ذلك:

فأما تأكيد الشبه: فيكون إذا دخلت الكاف على كلمة (مثل)، أو إذا دخلت كلمة (مثل) عليها:

فمن الأول: قوله عز وجل: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى 11/42) "تقديره والله أعلم -: ليس مثله شيء، فلا بد من زيادة الكاف ليصح المعنى؛ لأنك إن لم تعتقد ذلك أثبت له -عز اسمُه- مثلاً، فرعمت أنه ليس كالذي هو مثله شيء. فيفسد هذا من وجهين: أحدهما: ما فيه من إثبات المثل له - عز اسمُه، وعلا علواً عظيماً -، والآخر: أن الشيء إذا أثبت له مثلاً فهو مثل مثله؛ لأن الشيء إذا ماثله شيء فهو أيضاً مماثل لما ماثله. ولو كان ذلك كذلك -على فساد اعتقاد معتقديه - لما جاز أن يقال: ليس كمثل شيء؛ لأنه -تعالى- مثل مثله، وهو شيء"³⁴³.

ومن الثاني قول الرازي:

فصَيِّروا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

"فلا بد فيه من زيادة الكاف. فكأنه قال: فصَيِّروا مثل عصفٍ مأكول، فأكد الشبه بزيادة الكاف كما أكد الشبه بزيادة الكاف في قوله تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى 11/42)؛ إلا

³⁴²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/317.

³⁴³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/300.

أنه في الآية أدخل الحرف على الاسم - وهذا شائع، وفي البيت أدخل الاسم - وهو مثل - على الحرف - وهو الكاف - فشبه شيئاً بشيء³⁴⁴.

ومن ذلك ما جاء في قول الشاعر:

وصالياتٍ كَكَمَا يُؤَثِّقُنْ

فقد قرّر سابقاً أنّ الكاف الثانية اسمٌ بمعنى (مثل) لدخول الكاف الأولى عليها، وإذا كان ذلك فالتقدير: وصالياتٍ كمثل ما يؤثّقين³⁴⁵، فيكون البيت كالآية السابقة، وبالتالي يكون الوجهُ بزيادة الكاف لتأكيد الشبه.

ولعلّ سائلاً يسأل: لم لا تكون الكاف أصليةً وكلمة (مثل) هي الزائدة في مثل هذه المواضع؟ فالجواب عند أبي الفتح: أنّه لا بدّ من زيادة الكاف أو (مثل) لأنهما بمعنى واحدٍ، "وإذا ثبتّ ذلك فلا يجوزُ أن تكون (مثل) هي الزائدة لأنها اسمٌ، والأسماء لا تُزادُ، وإنما تُزادُ الحروفُ، فإذا لم يجزُ أن تكون (مثل) هي الزائدة، ولم يكن بدّ من زائدٍ، ثبتّ أنّ الكاف هي الزائدة"³⁴⁶.

وأما زيادتها لغير توكيد الشبه: فقد ذكر لها قول ربيعة:

لواحقُ الأقاربِ فيها كالمَقَّقْ

³⁴⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/305.

³⁴⁵ابن جني، الخصائص، 2/369.

³⁴⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/310.

"والمق هو الطول، ولا يقال: في الشيء كالطول، وإنما يقال: فيه طول. فكأنه قال: فيها مَقَّقْ أي: طول"³⁴⁷.

ومنه قول الشاعر:

من كان أسرع في تفرق فالج فلبؤسه جربت معاً وأعدت
إلا كناشرة الذي ضيعتُ كالغصن في غلواته المتنبت

وقول الشاعر:

لولا ابن حارثة الأمير لقد أغضيت من شتمي على رغم
إلا كمعرض المحسّر بكره عمداً يسبني على ظلم

وكذلك قول الآخر:

إلا كخارجة المكلف نفسه وابني قبيصة أن أغيب ويشهدا

الكاف في جميع هذه الشواهد زائدة، والتقدير: إلا ناشرة، إلا معرضاً، إلا خارجة. "وهذا كله من الاستثناء المنقطع عن الأول. معناه لكن"³⁴⁸.

وزيادتها لغير توكيد الشبه أحد الوجهين الذين أجازهما في قوله تعالى: "أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا" (البقرة 259/2). يقول: "ذهب أبو الحسن إلى أن الكاف زائدة، وعطف (الذي) على (الذي) من قوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 285/2)،

³⁴⁷ ابن جني، الخاطريات، 113-المؤلف نفسه، سر صناعة الإعراب، 302/1.

³⁴⁸ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 311/1.

وأجاز أبو عليّ أن يكون الكلام معطوفاً على المعنى؛ وذلك أن معنى قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ): أَرَأَيْتَ كَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، أو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ، فلا تكونُ الكافُ على هذا زائدةً. وهذا وجّهٌ حَسَنٌ³⁴⁹.

3. 4. 2-زيادة لازمة

ذكر لهذا النوع من الزيادة موضعين:

3. 4. 2. 1- في قولنا: لي عليه كذا وكذا، "فالكاف هنا زائدة؛ لأنه لا معنى للتشبيه في هذا الكلام، إنما معناه: لي عليه عددٌ ما، فلا معنى للتشبيه هنا، وإذا لم يكن هنا تشبيهٌ فالكاف زائدة؛ إلا أنها زائدة لازمة"³⁵⁰.

ونفهم من قوله هذا ثلاثة أمور:

أولها: أنَّ مذهبه في (كذا) أنه يَعُدُّها مركَّبةً من الكاف (الزائدة) واسم الإشارة (ذا).

ثانيها: أن معنى الكاف الأساسي هو التشبيه.

ثالثها: أنها إذا خرجت عن معنى التشبيه فهي زائدة حُكماً.

3. 4. 2. 2- زيادتها في (كأيّ). كقوله تعالى: "وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا" (الطلاق 8/65). "فالكاف في (كأيّ) هي الكاف في كذا وكذا"³⁵¹، فهي " (أيّ) دخلت عليها الكاف"³⁵².

³⁴⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/305.

³⁵⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/312.



³⁵¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 312/1.

³⁵²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 316/1.

3-5- الملام³⁵³

وهي حرفٌ مجهورٌ عنده³⁵⁴. ولأنه ذَكَرَ لها عِدَّةَ أنواعٍ فسأبيِّنُ آراءه في بنيتها عندَ ذِكرِ بعض الأنواع.

3. 5. 1- الأنواع والمعاني

يذكرُ ابنُ جني ثلاثةَ مواضعَ تَلَحُّقُ بها اللام، فيقول: "وأما اللام التي زِيدت³⁵⁵ لمعنى وهي غيرُ مَصوغة في الأمثلة فلحقت في ثلاثة مواضع: الاسم والفعل والحرف"³⁵⁶.

3. 5. 1. 1- لحاقها للأسماء

وهذه أيضاً نوعان: أحدهما العاملة، والثاني غيرُ العاملة.

3. 5. 1. 1. 1- اللاحقة للأسماء عاملة

وهي لامُ الجرِّ "وموضِعُها في الكلام الإضافة"³⁵⁷.

3. 5. 1. 1. 1. 1- معانيها

3. 5. 1. 1. 1. 1. 1- الملك

نحو: المال لزيد. أي هو في ملكه.

³⁵³حديثه عن اللام كان ينبغي أن يتصل في البحث مع حديثه عن (أل) لأن مذهبه -كما سيَتضح- أن (أل) التعريف حرفان: همزة الوصل واللام. لكنِّي اخترتُ الفصلَ بينهما لأسبابٍ فنيةٍ في البحث.

³⁵⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 5/2.

³⁵⁵ لا يعني بلفظ (زيدت) الزيادة المعهودة في حروف المباني أو في حروف المعاني، بل يعني (اللاحق) كما يتبيَّن في كلامه التالي.

³⁵⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 8/2.

³⁵⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 9/2.

3. 5. 1. 1. 1. 2-الاستحقاق والملابسة³⁵⁸

نحو: هذا الجل للدابة. أي: قد استحقته ولا يسته. ونحو: هذا الباب للدار³⁵⁹.

3. 5. 1. 1. 1. 3-الاستغاثة والتعجب:

وذلك في قول الشاعر³⁶⁰:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يحدث لي بعد النهى طرباً

وهو يعدُّ الأولى (يا للرجال) هي لام الاستغاثة، والثانية (ليوم) هي لام التعجب. والمعروف أنَّ اللام في الموضعين هي للاستغاثة. ولعله مذهب له في هذه اللام. ومن شواهد الأخرى على هذين المعنيين³⁶¹ قول قيس بن ذريح:

تكتفني الوشاة فأزعجوني فيا للناس للواشي المطاع

وقول الشاعر:

ينبئك ناء بعيد الدار مغترباً يا للرجال وللفرسان للعجب

3. 5. 1. 1. 1. 4-وتأتي كذلك بمعنى (من أجل) للتعليل

ويسمّيها أيضاً لام المفعول له³⁶². كما في تفسيره قول أبي نواس:

قلن له ما تأتمرن وهن إذ قلن أشرن

³⁵⁸ تسمى عند بعضهم أيضاً "لام الإضافة". يُنظر في: علي بن عيسى الرّماني، معاني الحروف، تح: عرفان سليم العشاء، د.ط، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ت). 201.

³⁵⁹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 9/2.

³⁶⁰ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 12/2.

³⁶¹ ابن جني، التفسير، 351/1.

³⁶² ابن جني، المحتسب، 298/2 - المؤلف نفسه، التنبيه، 174.

"ومعنى (له) أي: من أجله، كما تقول: ضربتُ لكَّ زيداً. أي: من أجلك"³⁶³.

3. 5. 1. 1. 1. 1. 5- ويذكر كذلك من معانيها أنها تأتي بمعنى (عند أو مع)

وذلك في توجيهه قراءة الجحدري قوله تعالى: "بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ"³⁶⁴ (ق 5/50). قال أبو الفتح: "معنى (لَمَّا جَاءَهُمْ) أي: عند مجيئه إياهم. كقولك: أعطيتُه ما سأل لطلبه. أي: عند طلبه ومع طلبه، وفعلتُ هذا لأول وقتٍ. أي: عنده ومعهُ، وكقولك في التاريخ: لِحَمْسٍ خلونَ، أي: عند خمسٍ خلونَ، أو مع خمسٍ خلونَ، فرجع ذلك إلى قراءة العامة: "بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ" (ق 5/50) أي: وقت مجيئه إياهم. قال:

شَنَنْتُ العَقْرَ عَقْرَ بَنِي شُلَيْلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِيهَا الرِّيحُ

أي: عند وقتها. وقال تعالى: "لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ" (الأعراف 187/7) أي: عند وقتها"³⁶⁵.

3. 5. 1. 1. 1. 1. 6- تأتي كذلك بمعنى (إلى)

كما في قوله تعالى: "بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا" (الزلزلة 5/99) "أي: إليها"³⁶⁶. ومجيئها بهذا المعنى هو أحد التوجيهات التي قالها في قول الشاعر:

رُويقَ إني وما حجَّ الحبيجُ له وما أهلَّ بجنبي نخلةَ الحُرْمِ

فرأى أن اللام في (له) تحتلُّ أن تكونَ "بمعنى: إليه"³⁶⁷.

³⁶³ابن جني، تفسير أرجوزة أبي نواس، تح: محمد بهجة الأثري، ط2 (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ت). 112.

³⁶⁴قراءة حفص عن عاصم: "بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ".

³⁶⁵ابن جني، المُحتسب، 2/282-323.

³⁶⁶ابن جني، التنبيه، 339.

3. 5. 1. 1. 1. 2-بنيتها

اللام الجارة مكسورة مع الأسماء الظاهرة (الغلام لمحمد)، ومفتوحة مع الضمائر (الغلام له).

ويوضح ابن جني مستخدماً مذهبه في القياس، أنه كان ينبغي أن تكون مفتوحة، وألا تخرج اللام عن نظام الحروف التي تقع مفردة في أول الكلمة مثل واو العطف وهمزة الاستفهام³⁶⁸.

وهذا الإشكال يحله مستخدماً طريقته القائمة على التعليل المنطقي المُمثل له. فيرى أنها كُسِرَتْ مع الاسم الظاهر للتفريق بينها وبين لام الابتداء. فعندما نقول: إنَّ زيدا لهذا، أي: هو في ملكه، وإذا قلنا: إنَّ زيدا لهذا، أي: هو هذا. "فلو فُتِحَتْ في الموضعين لالتبس المعنى"³⁶⁹.

ولعلَّ مُعْتَرِضاً يقول: إنَّ (هذا) مبنيٌّ فاحتيجَ إلى كسر اللام للتفريق، فماذا لو كانت الكلمة التي اتصلت اللام بها مُعْرَبَةً مثل: إنَّ زيدا لأمير، وإنَّ زيدا لأمير، فما هنا زال اللبس؟! فالردُّ على هذا الاعتراض يكون من ناحيتين بحسب ابن جني:

فمن جهة: الوقف على الكلمة يُزيل حركتها، وبالتالي لم يُفِدِ الإعراب شيئاً، ومن جهة أخرى: فإنَّ كثيراً من الأسماء لا يبيِّن فيها إعراب كالمبنيات والاسم المقصور، "فاحتاطوا وأخذوا بالحزم، فكسروا اللام فيما يَظْهَرُ إعرابه، ليكونَ ذلك أنفى للشكِّ وأحسَمَ للشبهة. فهذا وجهُ كسرها مع المُظْهَر"³⁷⁰.

³⁶⁷ابن جني، التنبيه، 339.

³⁶⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 10/2.

³⁶⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 10/2.

³⁷⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 10/2.

وَأَمَّا الْمُضْمَرُ فَتُرِكَتْ مَعَهُ مَفْتُوحَةٌ لِأَحَدِ قَوْلَيْنِ³⁷¹:

الأول: أَنَّ الْكَسَرَ اسْتُدْعِيَ فِيهَا طَارِئاً خَشِيَةَ اللَّبْسِ الْمَذْكُورِ سَابِقاً؛ أَمَا مَعَ الضَّمائِرِ فَلَا لِبَسَ لِأَنَّ الضَّمِيرَ الْمَجْرُورَ خِلَافُ الْمَرْفُوعِ، فَلَا لِبَسَ فِي قَوْلِنَا: إِنَّ هَذَا لَكَ، وَقَوْلِنَا: إِنَّ هَذَا لَأَنْتَ، فَلَمَّا اخْتَلَفَتْ عَلَامَتَا الضَّمِيرِ زَالَ الشُّكُّ، فَلَزِمَتْ اللَّامُ أَصْلُهَا وَهُوَ الْفَتْحُ.

القول الثاني: أَنَّ الْإِضْمَارَ يَرُدُّ الْأَشْيَاءَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهَا إِلَى أَصُولِهَا، وَالْأَصْلُ فِيهَا هُوَ الْفَتْحُ كَمَا نَقَدَّمْ.

ويذكرُ ابنُ جَنِّي أَنَّهُ قَدْ يَقَعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ خِلَافُ الْأَصْلِ فِي فَتْحِهَا مَعَ الظَّاهِرِ وَكُسْرِهَا مَعَ الْمُضْمَرِ.

أما الأول (فتحتها مع الظاهر)، فيقول فيه: "واعلم أَنَّ هَذِهِ اللَّامَ الْجَارَةَ قَدْ تَفْتُحُ مَعَ الْمُظْهَرِ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ، فَيُقَالُ: الْمَالُ لَزِيدٍ"³⁷². وهو ينقل هذه اللغة مكتوبةً عَنِ ابْنِ السَّرَّاجِ بِخَطِّ يَدِهِ. وَيُنْقَلُ عَنِ الْفَارِسِيِّ عَنِ الْمُبَرِّدِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ كَانَ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: "وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ" (إبراهيم 46/14) بفتح اللام (لِتَزُولَ).

وينقل كذلك عن أبي زيد الأنصاري أَنَّهُ سَمِعَ مَنْ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ" (الأنفال 33/8) بفتح اللام (لِيُعَذِّبَهُمْ). وابن جني على كلِّ يَرَى أَنَّ فَتْحَ اللَّامِ الْجَارَةَ مَعَ الظَّاهِرِ "مِنَ الشُّذُوزِ بَحِيثٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ"³⁷³.

وموقفه هذا من فتحها مع الظاهر يتغيَّر حين يتذكَّرُ فَتْحَها مَعَ الْمُسْتَغَاثِ بِهِ نَحْو: يَا لَبَكْرٍ، وَيَا لِلَّهِ، فَيَرَى أَنَّهَا فُتِحَتْ هُنَا لِئَلَّا أَمِنَ اللَّبْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ لَامِ التَّعَجُّبِ.

³⁷¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 10/2.

³⁷² ابن جني، سر صناعة الإعراب، 12/2.

³⁷³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 13/2.

وأما الثاني (كسرُها مع المضمَر):

فيرى أنه أشدُّ شذوذاً من الأول؛ لأنَّ العُدولَ من الكسرِ إلى الفتح مع الظاهر هو عدولٌ نحو الأصل، "قله وجهٌ من القياس"³⁷⁴، أما كسرُها مع المضمَر ففرعٌ، "والحملُ على الأصولِ أجوزُ من النزولِ إلى الفروع"³⁷⁵.

واللامُ الجارَةُ هذه لا تدخلُ على الأسماء فقط، بل تدخلُ على المضارع المنصوبِ على تقدير أن المضمرة بينهما، فيكونُ المجرورُ باللام هو المصدرُ المؤولُ من أن المضمرة وما بعدها. ويسمِّيها أبو الفتح تمييزاً لها "لام كي، النائبة في أكثر الأحيان عن (أن)"³⁷⁶، ويسمِّيها أيضاً "لام المفعول له"³⁷⁷، نحو: جنْتُ لأكرمَكَ، وقوله تعالى: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" (الفتح 1/48، 2)، وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) (الأنفال 33/8)، واللام في الآية الأخيرة اصطُلِحَ على تسميتها بـ"لام الجُود"³⁷⁸.

ويُلمَحُ في المحتسب³⁷⁹ إلى أنَّ اللام الداخلة على المضارع المنصوب قد تتخلَّى عن معنى التعليل، كما في قوله تعالى: "فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرًّا" (القصص 8/28) "أي: فإذا هو عدوٌّ لهم"، والمشهور أن هذه اللام تسمى "لام العاقبة"³⁸⁰.

3. 5. 1. 1-2-اللاحقة للأسماء غير عاملة:

³⁷⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 13/2.

³⁷⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 13/2.

³⁷⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 12/2-المؤلف نفسه، المحتسب، 227/1.

³⁷⁷ابن جني، المحتسب، 274/1.

³⁷⁸هكذا ورد اسمها عند مُعاصِرِ ابن جني، أبي القاسم الزجاجي. يُنظر في: أبو القاسم الزجاجي، اللّامات،

تح: مازن المبارك، ط2، (دمشق، دار الفكر، 1985). 68.

³⁷⁹ابن جني، المحتسب، 225/1.

³⁸⁰الزجاجي، اللّامات، 119.

وهي على ضربين:

3. 5. 1. 1. 2. 1-لام التعريف

في نحو: الغلام، الجارية. وهي ساكنة قطعاً، فاللام هي حرفُ التعريف، وإنما دخلتِ الهمزة (همزة الوصل) عليها لأنها ساكنة، فتوصلوا بها إلى الابتداء بالسّاكن.

3. 5. 1. 1. 2. 2-لام الابتداء

وهي من خواصّ الأسماء، وتأتي مفتوحة مع الظاهر ومع المضمّر. نقول: لَزَيْدٌ أفضلُ من عمرو، ولَأَنْتَ أَكْرَمُ من محمّدٍ.

وعندما شَرَعَ ابنُ جَنِّي في الحديث عن هذه اللام في (سر صناعة الإعراب)، ذَكَرَ أَنَّ بعض متأخري البغداديين³⁸¹ أَلَفَ كتاباً في اللامات عدّد فيه أنواعاً كثيرةً للام منها (لام التفضيل)، كقوله تعالى: "إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا" (يوسف 8/12).

وهو يرفض تسمية لام الابتداء بأسماء المقامات التي تردّ فيها؛ "لأنها لام الابتداء كيف شاءت فَلْتَنَعُ، من تفضيل أو نقص أو مدح أو ذم أو تقريب أو تبعيد أو تكبير أو تصغير ونحو ذلك من وجوه الكلام"³⁸²، ويرى أن تسمية لام الابتداء بحسب المقامات التي تردّ فيها تؤدّي إلى كثرة معانيها؛ إذ يمكن أن تُسمّى بلام (النقص والتحقيق) في قول الشاعر:

ظأرناكم بالبيض حتى لأنتم أدلُّ من السّقبان بين الحلائب

ويمكن أن تسمّى بلام (التطوّل والإنعام) في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ" (البقرة 243/2) وهذا أوسع من أن يُخصّى³⁸³.

³⁸¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 47/2.

³⁸²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 48/2.

³⁸³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 49/2.

وهو يقصد بالتَّحْوِي الذي لم يُسمَّه أبا جعفر النَّحَّاس (ت 338 هـ)، الذي أَلَف رسالة صغيرة في اللامات، وفي أحد عناوينها ذكر (لام الابتداء) وقال: "وهي لام التفصيل"³⁸⁴ مثل: "أَلْخُلُقُ السماوات والأرض" (غافر 57/40)، و"أَلْيُوسُفُ وأخوه" (يوسف 8/12)³⁸⁵، وبعد تعداد الأمثلة قال: "وهذا وضع قطرب في لام الابتداء".

والموقع الوحيد لهذه اللام عنده هو الاسم المبتدأ نحو: لزيد كريم، ولمحمَّد عاقل. "ولا تدخل هذه اللام في الخبر إلا على أحد وجهين كلاهما ضرورة"³⁸⁶.

أما الضرورة الأولى:

فلا يقصدُ بها ابنُ جني الضرورةَ الشعرية؛ لأنَّ القرآنَ والكلامَ الفصيحَ جاء بها، بل هي ضرورةٌ "مقيسٌ عليها" كما قال، وهذه الضرورة هي أن تدخل لام الابتداء على الجملة التي في أولها (إنَّ) المثقلة. في نحو قولنا: إنَّ زيدا لمُنْطَلِقٌ. وأصلُ هذه العبارة على الرأي المشهور من أقوال النحاة هو: إنَّ لزيداً مَنْطَلِقٌ، أما عند ابن جني فأصلُ العبارة: لَإِنَّ زيدا مَنْطَلِقٌ، فلما اجتمع حرفان لمعنى واحد هو التحقيق والتوكيد، كره اجتماعهما لأنه ليس في الكلام حرفان لمعنى واحد مجتمعان³⁸⁷ فأخربت اللام إلى الخبر، فصار الكلام: إنَّ زيدا لمُنْطَلِقٌ. ويبدو أنَّ ابن جني استدلَّ على هذا الرأي من شيخه أبي علي.

³⁸⁴ هكذا وردت في النسخة المُحقَّقة.

³⁸⁵ أبو جعفر النَّحَّاس، رسالة في اللامات، تح: طه محسن. (العراق، مجلة المورد، العددان 1-2، 1971).

³⁸⁶ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 49/2.

³⁸⁷ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 51/2.

وفيما يسمّى (أسلوب الفنقلة) يفترض أبو الفتح قولَ قائلٍ: لم قامت العربُ بتأخير اللام ولم يؤخّروا إنّ فيقولوا: لزيداً إنّ قائمٌ؟³⁸⁸.

والجوابُ عنده من عدّة أوجه. أهمّها ما يتعلق بعمل (إنّ) في الاسم المتقدّم المرتبط بلام الابتداء؛ فمن ناحية: اللام لو تقدّمت وأخّرت إنّ لما جازَ عملُ إنّ في اسمها، بل سيظلُّ مرفوعاً (لزيد إنّ قائم)؛ لأنّ لام الابتداء قوّت الاسم وجعلت سلطان (إنّ) عليه ضعيفاً. ومن ناحية أخرى: (إنّ) لا تعملُ أبداً إلا فيما بعدها.

ونُجملُ لابن جني في اللام الداخلة على خبر (إنّ) عدّة ملحوظاتٍ

1- أنّ سبيلَ هذه اللام أن تدخلَ على كلِّ ضَرْبٍ من الأخبار؛ سواءً في ذلك الخبرُ المفرد، والجملةُ الاسميّةُ، والجملةُ الفعليةُ التي فعلها مضارعٌ، وشبهُ الجملة. نحو: إنّ زيداً لقائمٌ، إنّ زيداً لأبوه منطلقٌ، إنّ زيداً ليقومُ أخوه، إنّ زيداً لفي الدار.

2- أنّه لا يجوزُ دخولُها على الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ. فلا يجوزُ قولنا: إنّ زيداً لقامَ. وإنما جاز دخولُها على المضارع لأنه يشبهُ الاسمَ، ولم يَجُزْ دخولُها على الماضي لانعدام الشبه. لكنْ يجوزُ دخولُها على الماضي المسبوق بـ (قد) نحو: إنّ زيداً لقد قام؛ لأنّ (قد) تجعلُ زمنَ الماضي قريباً من الحاضر.

3- يمكنُ دخولُ هذه اللام على معمولِ الخبرِ الذي يسمّيه ابنُ جنيّ "فضلة الخبر"³⁸⁹، نحو: إنّ زيداً لفي الدار قائمٌ، وإنّ بَكراً لطعامك آكلٌ، وإنّ محمداً لقياماً حسناً قائمٌ، وإنّ أخاك لبك مأخوذٌ. قال أبو زُبَيْدٍ الطائيّ:

³⁸⁸ابن جني، الخصائص، 314/1.

إِنَّ امْرَأً حَصَّنِي عَمداً مَوَدَّتُهُ عَلَى التَّنَائِي لَعِنْدِي غَيْرُ مَكْفُورٍ

أي: لغير مكفورٍ عندي.

وهنا يُعَقَّبُ على مسألةٍ جِدِّ مهمَّةٍ، وهي أَنَّ لَامَ التوكيدِ المتأخِّرةَ تدخلُ على معمولِ الخبرِ شرطاً تقدِّمه على الخبرِ نفسه؛ فهي لا تدخلُ على المعمولِ حالَ تقدُّمِ الخبرِ عليه. فيجوزُ قولُنا: إِنَّ زَيْداً لَعِنْدَكَ قائمٌ، ولا يجوزُ: إِنَّ زَيْداً قائمٌ لَعِنْدَكَ³⁹⁰.

4- يرى أنه ربما دخلت هذه اللامُ على الخبرِ وعلى فضلتِه، فيجوزُ عنده أن نقول: إِنَّ زَيْداً لَبِكَ لَمَأخُودٌ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَفَيْكَ لِرَاغِبٍ، "وحكى قُطْرُبٌ عن يُونُسَ: إِنَّ زَيْداً لَبِكَ لَوَاتِقٌ"³⁹¹.

5- ذَكَرَ أَنَّ لَامَ التوكيدِ دخلتُ على خبرٍ (إِنَّ) دونِ سائِرِ أَخَوَاتِهَا لَشَبِّهِه جَامِعٍ بَيْنِهَا وَبَيْنِ (إِنَّ). والشبُّهُ هو وقوعُ كُلِّ مِنْهُمَا في جوابِ القسمِ. فنقول: وَاللهُ إِنَّ زَيْداً قائمٌ، وَاللهُ لَزَيْدٌ قائمٌ. "ولمَّا لم يكنْ في أَخَوَاتِ (إِنَّ) شيءٌ يُجَابُ به القَسَمُ كما يُجَابُ بها - أي: إِنَّ - لم تدخلِ اللامُ خبرَه كما دخلتْ خبرَهَا"³⁹².

6- لا يمكنُ أن تدخلَ هذه اللامُ على اسمِ (إِنَّ) إِلا إِذَا فُصِّلَ بَيْنِهَا وَبَيْنَهُ. كقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة: 248)، وقوله تعالى: "إِنَّ فِي هَذَا لَبَلْغاً لِّقَوْمٍ غَبِيْنٍ" (الأنبياء 106/21).

7- يرى أَنَّ المتكلمَ مُخَيَّرٌ بَيْنِ إِدْخَالِ اللامِ على الخبرِ وعدمِهِ إِذَا كانتِ (إِنَّ) مُشَدَّدةً. نقول: إِنَّ زَيْداً قائمٌ، وَإِنَّ زَيْداً لِقائِمٍ. وهذا حُكْمٌ لا خِلافَ فيه؛ لَكِنَّ الإِشْكَالَ في تَتَمَّةِ رَأْيِهِ الَّذِي يَبِينُ فِيهِ أَنَّهُ

³⁸⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 52/2.

³⁹⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 53/2.

³⁹¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 53/2.

³⁹²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 53/2.

إِذَا حُقِّقَتْ (إِنَّ) وَجِبَ دُخُولُ هَذِهِ اللَّامِ عَلَى الْخَبَرِ فِي نَحْوِ قَوْلِنَا: إِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ، وَفِي قِرَاءَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ"³⁹³ (الطَّارِقُ 4/86)، إِذْ "فَعَلُوا ذَلِكَ لئَلَّا تَلْتَبَسَ (إِنَّ) الْمُؤَكِّدَةُ بِـ (إِنَّ) النَّافِيَةِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: "إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ" (الْمُلْكُ 20/67)، فَهَذِهِ بِمَعْنَى (مَا)³⁹⁴.

فَيَعُدُّ اللَّامَ الَّتِي تَرافِقُ (إِنَّ) الْمُخَفَّفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ لَامَ التَّوَكِيدِ، بَيْنَمَا هِيَ اللَّامُ الَّتِي اصْطَلَحَ النُّحَوِيُّونَ عَلَى تَسْمِيَتِهَا (اللَّامُ الْفَارِقَةُ).

8- يُوضِّحُ ابْنُ جَنِّي شَرْطاً مُهِمّاً فِي لَامِ الْإِبْتِدَاءِ الدَّخِلَةِ عَلَى خَبَرٍ (إِنَّ)، وَهُوَ أَنَّهَا لَا تَدْخُلُ عَلَى الْكَلَامِ الْمُنْفِيِّ؛ فَهِيَ مِنْ خَوَاصِّ الْكَلَامِ الْمُوجِبِ. أَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَسْلِيماً وَتَرْكاً لَا مُتَشَابِهَانِ وَلَا سَوَاءَ

فَيَجِيبُ عَنْهُ أَبُو الْفَتْحِ بِأَنَّ اللَّامَ دَخَلَتْ عَلَى (لَا) لِشَبْهِهَا بِـ (غَيْرِ)، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَغَيْرِ مُتَشَابِهَيْنِ³⁹⁵.

وَأَمَّا الضَّرُورَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي تَدْعُو إِلَى تَأَخُّرِ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ عَنِ الْمُبْتَدَأِ: فَهِيَ دُخُولُهَا عَلَى غَيْرِ خَبَرٍ (إِنَّ) فِي "ضَرُورَاتِ الشَّعْرِ"³⁹⁶ الَّتِي لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا. وَذَكَرَ مِنْ هَذِهِ الضَّرُورَاتِ:

أ- دُخُولُهَا عَلَى خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ غَيْرِ الْمَنْسُوخِ بِـ (إِنَّ) كَقَوْلِ الرَّاجِزِ:

أُمُّ الْخُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ تَرْضَى مِنَ الشَّاةِ بَعْظُمَ الرَّقَبَةِ

³⁹³قِرَاءَةُ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ: "إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ".

³⁹⁴ابْنُ جَنِّي، سِرُّ صَنَاعَةِ الْإِعْرَابِ، 54/2.

³⁹⁵ابْنُ جَنِّي، سِرُّ صَنَاعَةِ الْإِعْرَابِ، 55/2 - الْمُؤَلَّفُ نَفْسَهُ، بَقِيَّةُ الْخَاطِرِيَّاتِ، 54. وَفِيهِ (لَا) مُتَقَارِبَانِ (بَدَلِ مُتَشَابِهَانِ).

³⁹⁶ابْنُ جَنِّي، سِرُّ صَنَاعَةِ الْإِعْرَابِ، 55/2. وَهُوَ يَصْرُحُ بِلَفْظِ (ضَرُورَاتِ الشَّعْرِ) رَغْمَ أَنَّهُ سَيَذَكُرُ أَمْثَلَةً نَثْرِيَّةً.

والوجه أن يُقال: لأُمّ الحُلَيْسِ عَجُوزٌ شهريّة.

ومن ذلك قولُ الشّاعِرِ:

خالي لأنّك ومن جريز خاله ينل العلاء ويكرم الأخوالا

يقول: "وأخبرني أبو عليّ أنّ أبا الحسنِ حكى (إنّ زيدا وجهه لحسن)، فهذه أيضاً ضرورة"³⁹⁷.

ب- دخولها في خبر (أنّ) المفتوحة:

كقول الشاعر:

ألم تكن خلّفت بالله العليّ أنّ مطاياك لمن خير المطيّ

يقول ابن جني: "والوجه الصّحيح هنا كسر (إنّ) لتزول الصّروّة، إلا أنا سمعناها مفتوحة الهمزة"³⁹⁸.

د- دخولها في خبر (أمسى) الفعل الناقص: كقول الشاعر:

مرّوا عجالاً فقالوا: كيف صاحبكم قال الذي سألوا أمسى لمجهوداً³⁹⁹

د- دخولها في خبر (ما زال) الفعل الناقص:

كقول الشاعر:

وما زلت من ليلي لدن أنّ عرفتُها لكألهائم المقصى بكلّ سبيل⁴⁰⁰

³⁹⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/56.

³⁹⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/57.

³⁹⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/57.

هـ- دخولها على خبر (لكنَّ):

كقول الشاعر:

يلومونني في حُبِّ ليلي عاذلي ولكنني من حُبِّها لَكَمِيدٌ⁴⁰¹

و- العجيبُ عنده أنه ذَكَرَ مِنْ مواطنِ الصَّرورةِ الشَّعريةِ أمثلةً نثريةً، منها ما نقله عن أبي عليٍّ من قولهم: (إنَّ زيداَ وَجْهَهُ لَحَسَنٌ)، قائلًا: "فهذه أيضاً ضرورةٌ"، وروى كذلك عن قُطْرُبٍ أنَّ بعضَهم قال: فإذا أتى لِبِهِ، ونقل عن قطرب أيضاً أنَّ يونسَ قال: زيدٌ - والله - لَواثِقٌ بِكَ⁴⁰².

وبعد سرده للشواهد التي دخلت لام الابتداء فيها ضرورةً يقول: "وهذا كُلُّه شاذٌّ".

ويرى ابنُ جنِّي أنَّ لامَ الابتداءِ هي أحدُ الحرفينِ المُوجِبينِ الذين يُتَلَقَّى بهما القسم. وهما: اللام، وإنَّ. نحو: والله لزيدٌ عاقلٌ. ويبين أنَّ اللامَ الداخلةَ على ألفاظِ القسمِ تتعرَّى من معنى جوابِ القسمِ كما في (لَعَمْرُكَ، لَيُؤْمِنُ اللهُ)؛ إذ من المُحالِ أن يُجابَ القسمُ بالقسم⁴⁰³.

إذاً: اللام في قولنا (والله لزيد عاقل) ليستِ اللامُ الواقعة في جوابِ القسمِ بل هي لامُ الابتداء، وهذا ليس من سِهاءِ ابنِ جنِّي، إنما هو مذهبه في أن لامَ الابتداء هي اللام التي تلحق المبتدأ أينما وقعت.

3. 5. 1-2-لحاقُها للأفعال

⁴⁰⁰ابن جنِّي، سر صناعة الإعراب، 2/57.

⁴⁰¹ابن جنِّي، سر صناعة الإعراب، 2/58.

⁴⁰²ابن جنِّي، سر صناعة الإعراب، 2/56-57.

⁴⁰³ابن جنِّي، سر صناعة الإعراب، 2/61.

اللاحقة للأفعال ضربانٍ كذلك اللاحقة للأسماء: عاملة، وغير عاملة.

3. 5. 1. 2. 1-اللام العاملة في الأفعال

هي لامُ الأمر، وهي مكسورةٌ جازمةٌ. نحو قولنا: لِيَقُمْ زيدٌ، وَلِيَقْعُدْ عمرو.

وينقلُ ابنُ جنِي رأياً للفرّاء ذكرَ فيه أنَّ من العرب مَنْ يفتحُ هذه اللامَ لفتحِ الياءِ بعدها⁴⁰⁴. وهذا ما يبرِّره ابنُ جنِي بأنَّ اللامَ حرفٌ مفرَّدٌ جاء لمعنى كواوِ العطفِ وفائه، "وقد كان ينبغي أن تُفتحَ كما فُتِحَ"⁴⁰⁵، وعِلَّةُ كسرها أنها في الأفعال نظيرةُ حرفِ الجرِّ في الأسماء من حيث الاختصاصُ بالعمل، فمن حيثُ وجبَ كسرُ لامِ الجرِّ مع الأسماء الظاهرة للفرق بينها وبين لامِ الابتداء كما تقدّم، فكذلك وجبَ كسرُ هذه اللامِ لأنها في الأفعال نظيرةُ تلك في الأسماء.

وفي تسكينِ لامِ الأمرِ عنده موقفان:

-في أحدهما التسكينُ جائزٌ (للتخفيف). وذلك إذا سُبِقَتِ اللامُ بحرفي العطفِ (الواوِ والفاء). نحو: وَلِيَقُمْ زيدٌ، فَلِيَقْعُدْ جعفرٌ.

-وفي الثاني التسكينُ مردودٌ. وذلك إذا سُبِقَتِ بحرفِ العطفِ (ثمَّ). ولهذا يُعلّقُ على قراءة الكسائي وغيره قوله تعالى: "ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَنَّهُمْ" (الحج 29/22) بقوله: "مردودةٌ عندَ أصحابنا"⁴⁰⁶.

وهو كعادته يعلّلُ الإجازةَ والمنعَ؛ فإجازةُ التسكينِ بعد الواوِ والفاءِ أنَّ كلَّ حرفٍ منهما منفردٌ ضعيفٌ لا يمكنُ الوقوفُ عليه دون اللامِ، أما (ثمَّ) فحرفٌ يمكنُ الوقوفُ عليه؛ لأنه جاء على ثلاثة أحرفٍ، وإذا أمكنَ الوقوفُ عليه لزمَ الابتداءُ بالساكنِ، وهذا غيرُ جائزٍ بالإجماع.

3. 5. 1. 2. 2-اللام غير العاملة في الأفعال

⁴⁰⁴ابن جنِي، سر صناعة الإعراب، 63/2.

⁴⁰⁵ابن جنِي، سر صناعة الإعراب، 66/2.

⁴⁰⁶ابن جنِي، سر صناعة الإعراب، 63/2.

وهي لَمْ الْقَسَمِ التي تدخلُ على الأفعال في موضعين: أحدهما الماضي، والآخرُ المستقبلُ.
فأما الماضي فكقولك: والله لقد قُمتُ، وقوله تعالى: "قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا" (يوسف 91/12). وهذا ممَّا اقترنت فيه اللامُ بقَد، وربما جاءت اللامُ وحدها دون قد، كقول امرئ القيس:

حلفتُ لها باللهِ حلفَةً فاجرٍ لَنَامُوا فما إن مِنْ حديثٍ ولا صالي

أي: لقد ناموا⁴⁰⁷.

ونقفُ هنا على رأيِ لابنِ جَنِّي⁴⁰⁸ يَعدُّ فيه اللامُ الواقعةَ في جوابِ (لو) و(لولا) واقعةً في جوابِ قسمٍ ظاهرٍ أو مُقدَّرٍ في المعنى.

فَمِنْ الأوَّلِ قولهم: والله لو قمتَ لَقُمتُ. وقولُ الشَّاعِرِ:

والله لو كنتَ لهذا خالِصاً لكنْتُ عبداً آكِلَ الأبارِصا

فاللامُ في (لكنْتُ) واقعةٌ عنده في جواب القسمِ لا في جوابِ (لو).

ومنه كذلك قولُ الشاعر:

فَوَ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ لَزَعَزَعَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ

"فهذه اللامُ التي في جوابِ (لولا) إنما هي جوابُ الْقَسَمِ"⁴⁰⁹.

ومن الثاني: قولهم: لو قعدتَ لقعدتُ، وقولُ الشاعر:

فلو أَنَّ قومي لم يكونوا أَعَزَّةً لَبَعُدْ لَقَدْ لَاقَيْتُ لَا بَدَّ مَصْرَعَا

⁴⁰⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 71/2.

⁴⁰⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 71/2.

⁴⁰⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 72/2.

يقول: "ولا يبعدُ أن يكونَ هذا الكلامُ على معنى القسم. كأنه قال: والله لو أن قومي"⁴¹⁰. ومنه كذلك قوله تعالى: "وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتُكَ" (هود 91/11).

ويُفهم من رأيه هذا أنه يقدّر القسمَ دون دليلٍ واضحٍ عليه سوى وجودِ هذه اللام التي لو أعربها أحدُ هُواةِ الإعرابِ واقعةً في جواب القسم لبالغنا في تخطئته، إذ يمكنُ للدارس أن يفهم حكمه على أن اللامَ جوابٌ للقسم رغمَ وجودِ الشرط، حالَ وجودِ القسمِ الصريح؛ لكنَّ غيرَ المفهوم أن يحكم بذلك حالَ انعدامِ وجودِ القسمِ وصراحةً تقرّد الشرط في الكلام.

ولعلَّ رأيَ أستاذِه الفارسيّ أقلَّ غرابةً من رأيه في اللام الواقعة في جواب لو ولولا؛ إذ كان يرى أن هذه اللام زائدة مؤكّدة، واستدلَّ على ذلك بجواز سقوطها⁴¹¹.

وأما الداخلة على المستقبل:

فتلزمُها النونُ للتوكيد، ولإعلام السامع أن هذا فعلٌ مستقبلٌ وليس للحال. نحو: والله لأقومنَّ ولأقعدنَّ. "فإن زال الشكُّ بغيرِ النونِ استغنيَ عنها. قال الله تعالى: "لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفَ" (الشعراء 49/26)"⁴¹².

واستشهادُه بالآية الأخيرة جاء بلا وجودِ صريحٍ للقسم، فالقسم يُحتملُ أن يكونَ مقدّراً، أما لو جاءت هذه اللام قبل فعلٍ دالٍّ على المستقبل فلحقته النونُ لم تأتِ إلا على نيّة القسم. قال سيبويه: سألتُ الخليلَ عن (ليفعَلن) إذا جاءت مبتدأة، فقال: هي على نيّة القسم"⁴¹³.

⁴¹⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 71/2.

⁴¹¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 73/2.

⁴¹²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 73/2.

⁴¹³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 74/2.

3. 5. 1. 3-لحاقها للحروف⁴¹⁴

يقول: "وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّامَ قَدْ لَحِقَتْ مِنَ الْحُرُوفِ مَوْضِعَيْنِ. جَاءَتْ فِي أَحَدِهِمَا لِلتَّوَكِيدِ، وَفِي الْآخَرِ لِلتَّوَسُّلِ إِلَى النُّطْقِ بِالسَّاكِنِ"⁴¹⁵.

فَأَمَّا السَّبَبُ الْأَوَّلُ فَبَسْطَ يَكْرَهُ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ زِيَادَةِ اللَّامِ. وَأَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي: فَيَعْنِي بِهِ اللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ لِلتَّمَكُّنِ مِنْ نَطْقِهَا.

وَمِنْ أَنْوَاعِ اللَّامِ الَّتِي لَمْ يَذْكُرْهَا فِي تَقْسِيمِهِ السَّابِقِ مِنْ كِتَابِ (سِرِّ صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ) مَوْضِعٌ يُحْتَمَلُ فِيهِ أَنْ تَدْخَلَ عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ. وَهَذَا النَّوعُ هُوَ مَا يَسْمَى بِ(اللَّامِ الْفَارِقَةِ) أَوْ (الْفَاصِلَةِ)، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهَا تَلَازِمُ (إِنْ) الْمَخْفَفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ، فَصَلًّا بَيْنَهَا وَبَيْنَ (إِنْ) الَّتِي لِلنَّفْيِ⁴¹⁶، كَمَا فِي قِرَاءَةِ الْكِسَائِيِّ قَوْلَهُ تَعَالَى: "وَإِنْ كَانُمْ كُرْهُمُ لَتَرْوُلُ مِنْهُ الْجِبَالُ"⁴¹⁷ (إِبْرَاهِيمُ 46/14)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: "إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا" (الْفِرْقَانُ 42/25)، وَكَقَوْلِ الشَّاعِرَةِ:

شُلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ⁴¹⁸

وَيَقُولُ عَنْ هَذِهِ اللَّامِ إِنَّهَا "لَيْسَتْ لَامُ الْإِبْتِدَاءِ كَمَا يَظُنُّ مَنْ لَا خَبَرَ لَهُ"⁴¹⁹. وَدَلِيلُهُ الْوَاضِحُ عَلَى ذَلِكَ دَخُولُهَا فِي الْمَفْعُولِ بِهِ فِي الشَّاهِدِ الْآخِرِ.

3. 5. 2-زيادةُ اللام

⁴¹⁴ ليس دخول اللام على الحروف في الواقع إلا زيادتها كما يتضح من الشواهد.

⁴¹⁵ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2-82.

⁴¹⁶ ابن جني، المحتسب، 19/1-365، 2/255.

⁴¹⁷ قراءة حفص عن عاصم: "إِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ".

⁴¹⁸ ابن جني، الخاطريات، 56-57.

⁴¹⁹ ابن جني، الخاطريات، 57.

تُرَادُّ اللامُ لمعنى أساسي هو التوكيد. وتتنوعُ عنده أنواعُ التوكيدِ وَفَقَ ما يأتي:

3. 5. 2. 1-توكيدُ الإضافة

وذلك إذا زِيدت بين المتضايين، وهي التي اصْطُلِحَ على تسميتها فيما بعد (اللامُ المُقْحَمَة)⁴²⁰. "نحو قولهم: لا أبا لك، ولا يدي لك بالظلم. أي: لا أباك، ولا يديك، ونحو قول النابغة:

قالت بنو عامرٍ خالوا بني أسد
يا بؤسَ للجهلِ ضراراً لأقوام
أي: يا بؤسَ الجهلِ⁴²¹.

ومن الشواهد التي ذكرها لزيادة اللام بغرض توكيد الإضافة قولُ الشاعر:

يا بؤسَ للحربِ التي وَضَعْتَ أراهُطَ فاستراحوا
أي: يا بؤسَ الحربِ⁴²².

3. 5. 2. 2-توكيد التعدي

وهي الداخلة على المفعول به. ونجدُ لهذه اللام مع المفعول أحوالاً عدة من خلال الشواهد التي ذكرها:

- فقد يكون الفعل متعدياً إلى مفعولين، فتدخل اللام على المفعول الثاني. كما في بيت المتنبي:

⁴²⁰أحمد بن عبد النور المألقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد خرّاط، د.ط، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ت). 244.

⁴²¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 14/2-المؤلف نفسه، المُحتسب، 211/2-215-المؤلف نفسه، التنبيه، 152-438.

⁴²²ابن جني، المُحتسب، 93/2-المؤلف نفسه، التنبيه، 151.

وسوق عليّ من معدّ وغيرها قبائل لا تعطي القُفّي لسائق

"زاد اللام في (لسائق). والأصل: لا تعطي القُفّي سائقاً، وقد تفعل العرب هذا تأكيداً للتعدي⁴²³."

- وقد يكون الفعل متعدّياً إلى مفعولٍ واحدٍ صريح، فتدخل اللام على المفعول المؤخّر عن الفعل. كما في قول الشاعر:

وملكت ما بين العراق ويشرب ملكاً أجار لمسلم ومُعاهد

أي: أجار مسلماً ومُعاهداً⁴²⁴. وقول الشاعر:

وقد كنا نقولُ إذا التقينا لذي حسبٍ يُعدُّ وذو بيانٍ

أي: إذا التقينا ذا حسبٍ. وقال تعالى: "قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ" (النمل 72/27) أي: ردفكم⁴²⁵. وقال الشاعر:

عَمَلَسُ أَسْفَارٍ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ لَهُ سَمُومٌ كَجَمْرِ النَّارِ لَمْ يَتَلَثَّمْ

"أراد: إذا استقبلته، فزاد اللام"⁴²⁶.

- وقد يكون المفعولُ مصدرًا مؤوَّلاً من أن وما بعدها، فتدخل اللام على ذاك المصدر. كما في قول الشاعر:

أريد لأُنسى ذِكْرَهَا فكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

⁴²³ابن جني، الفسر، 508/2.

⁴²⁴ابن جني، التنبيه، 141.

⁴²⁵ابن جني، التنبيه، 141.

⁴²⁶ابن جني، التنبيه، 415.

أي: أريدُ أن أنسى⁴²⁷. ومثله قراءة عبد الله والأعمش قوله تعالى: "يَرِيدُ لِيُنْقَضَ"⁴²⁸(الكهف 77/18). قال: "إن شئت قلت إنَّ اللام زائدة"⁴²⁹. أي: يريد أن يُنْقَضَ.

- وقد يكون المفعول واحداً متقدماً على الفعل. كما في قوله تعالى: "إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ" (يوسف 43/12)، "معناه -والله أعلم-: إن كنتم تعبرون الرؤيا"⁴³⁰، ويضيف: "وهذا أحسن من غيره؛ لأنه لما قَدَّمَ المفعول حَسَنَ دخول اللام"⁴³¹.

وقد سَمِيَ النحاة اللامَ في هذا الموضع تحديداً (لامَ التقوية)⁴³²، فكأنَّ الفعلَ ضَعُفَ عن العمل عندما تأخَّرَ عن مفعوله فجاءت هذه اللامُ لتقويته. ولعلَّ معنى (التقوية) قريبٌ من معنى (توكيد التعدية) الذي ذكره ابنُ جني.

ومن قبيح المواضع التي جاءت فيها لامُ توكيد التعدية قولُ المتنبي:

نحنُ من ضايِقِ الزمانِ له فيد لكِ وخانته قَرِيبُكِ الأيامُ

ويبدو أنَّ المتنبي كفى صاحبه ابنَ جَنِّي التفكيرَ في أمر اللامِ في الشطر الأول، فتولى التفسيرَ قال: أردتُ (ضايقه)، فزدتُ اللامَ⁴³³.

⁴²⁷ابن جني، الفسر، 345/3.

⁴²⁸قراءة حفص عن عاصم: "يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ".

⁴²⁹ابن جني، المحتسب، 34/2.

⁴³⁰ابن جني، الفسر، 344/3.

⁴³¹ابن جني، الفسر، 508/2.

⁴³²ابن هشام، مغني اللبيب، 242/1.

⁴³³ابن جني، الفسر، 344/3. وفي الحاشية يورد المحقق تعليقاً للوحيد يقول فيه: "بئس اللغة للشعر اختار". وربما قَبِحَ الزيادة هنا لطول الفصل بين الفعل واللام.

3. 5. 2. 3- التوكيد المحض

تدخل اللام على بعضٍ من الحروف لتوكيدها. نحو:

أ- اللام الزائدة في (لعل):

نحو قولك: لعلّ زيداً قائمٌ "إنما هو: علّ، واللام زائدة مؤكّدة"⁴³⁴. وكأنه يستدلّ على زيادتها في (لعلّ) أنها جاءت خلواً من اللام في كثير من الشواهد، كقول الراجز:

يا أبّتا علّك أو عساكا

أي: لعلك. وقال الآخر:

علّ صروف الدهر أو دُولَاتِهَا يُدِلُّنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِهَا

فتستريح النفس من زفّراتها

ومذهبه في ذلك هو مذهب الكوفيين؛ لأنّ البصريين يروون اللام في لعلّ من أصل الحرف.

ب- الزائدة في (كان) المخففة:

قال الراجز:

فباد حتى لكأنّ لم يسكنِ فالיום أبكي ومتى لم يبكيني

"فأكّد الحرف باللام"⁴³⁵.

ج- الزائدة في (لولا)⁴³⁶:

⁴³⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/82.

⁴³⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/84.

⁴³⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/84.

كقول الشاعر:

لَلّوَلَا حَصِين عَيْنُهُ أَنْ أُسْرَهُ وَأَنْ بَنِي سَعْدٍ صَدِيقٌ وَوَالِدُ

وقال الآخر:

لَلّوَلَا قَاسِمٌ وَبَدَا بِسِيلٍ لَقَدْ جَرَّتْ عَلَيْكَ يَدُ غَشُومٍ

3. 5. 2. 4-زيادة التوطئة

وهي التي تُرَادُّ قبل (إن) الشرطية. والنحويون قالوا: هي التي تدخل حين اقتران القسم بالشرط إيداناً بأنّ الجواب ينبغي أن يُعطى للقسم لأسبقيته على الشرط. لكنّ أبا الفتح يرى فيها أنها "زائدة مؤكّدة"⁴³⁷، و"مُوطّئة للام الجواب وليست بواجبة"⁴³⁸. كما في قوله تعالى: "وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ" (الإسراء 86/17)، وقول الشاعر:

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ لَّيْنٌ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجَلْ

رأى "أن اللام زيدت هنا لتوكيد الكلام"⁴³⁹.

ودليل زيادتها ورودُ شواهد قرآنية وشعرية خلّت من هذه اللام، فجاءت فيها (إن) وحدها. كقوله تعالى: "وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (المائدة 73/5)، وقول الشاعر:

فَأَقْسَمْتُ لَا أُحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٍ عَلَيَّ رَمْلُهُ وَشَقَائِقُهُ

فَإِنْ لَمْ تَغْيِرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لِأَنْتَحِينَ لِلْعَظَمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ

⁴³⁷ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 74/2.

⁴³⁸ ابن جني، التنبيه، 186-270.

⁴³⁹ ابن جني، التنبيه، 83.

ولم يقل: فلئن لم تغيّر.

ومن مواضع زيادتها موضع وصفه بالشذوذ، وهو دخولها على لام أخرى. قال: "وقد زادوها في أشد من هذا. قال:

فلا والله لا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً

أي: لما بهم⁴⁴⁰.

وبعدُ فله رأيٌ بزيادتها في قوله تعالى: "هَيَّاهُتْ هَيَّاهُتْ لِمَا تُوعِدُونَ" (المؤمنون 36/23) إذ يقول: "ولا يحسنُ اعتقادُ زيادةِ اللام هنا حتى كأنه قال: بعدُ ما توعدون؛ لأنه لم تُؤلفْ زيادةُ اللام في نحو هذا"⁴⁴¹.

3. 5. 3- حذف اللام

تحدث عن حذف اللام التي تأتي لمعنى التعليل قبل (أن)، كما في قول المتنبي:

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلاً مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولاً

فيرى أن التقدير: "لأن عزم، ومن أجل أن عزم. ومثله من كلامهم: زُرْتُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي. أي: لأن تكرمني"⁴⁴².

وكذلك ذكر حذف اللام الجازمة للمضارع؛ لكنه قيّد ذلك "في ضرورة الشعر"⁴⁴³، ثم عاد ووصفه بأنه "شاذٌّ لا يحسنُ القياسُ عليه"⁴⁴⁴. ومن شواهد التي ذكرها⁴⁴⁵ نفهم أن منها ما حسن فيه حذف اللام وجود فعلٍ أمرٍ، كما في قول الشاعر:

⁴⁴⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/15.

⁴⁴¹ابن جني، المحتسب، 2/92.

⁴⁴²ابن جني، الفسر، 3/168.

على مثل أصحاب البعوضة فاخمشي لك الويل حرّ الوجه أو يبك من بكى
"أراد: وليبك. وحسن ذلك قليلاً أن قبله أمراً"، وكذلك قوله:
فقلت ادعي وأدع فإن أُندي لصوت أن ينادي داعيان
أي: ولأدع.

ومن الشواهد ما ليس فيه أمر، فيكون أقبح من الأول. كقول الشاعر:
فتضحى صريعاً ما تجيب لدعوة ولا تسمع الداعي ويسمّعك من دعا
أي: وليسمّعك. وقوله:

فلا تستطِلْ مني بقائي ومُدَّتِي ولكن يكن للخير منك نصيبُ
أي: وليكن. وقول الآخر:
من كان لا يزعم أنني شاعرُ فيدنُ مني تنهه المزاجُ
أي: فليدن. وقوله:

محمدٌ تقدِ نفسك كلُّ نفسٍ إذا ما خِفَتْ من شيءٍ تبالا
"أراد: لتقدِ نفسك، فحذف اللام. وهذا أقبح من الأول"⁴⁴⁶.

⁴⁴³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 68/2.

⁴⁴⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 70/2.

⁴⁴⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 68/2-69-70.

⁴⁴⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 69/2.

ومن حالات حذف اللام كذلك حذف لام القسم. يقول: "وربما حُذِفَتْ إذا لم يظهر القسم إلى اللفظ"⁴⁴⁷. ومن ذلك⁴⁴⁸ قوله تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" (الشمس 9/91، 10) أي: لقد أفلح من زكاها، ولقد خاب من دساها. ومنه قول الشاعر:

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقْتُ ولكنَّ الرماح أجرت
أي: لنطقْتُ. وقول الشاعر:

وكم موطنٍ لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي
أي: لطحت. وقول الشاعر:

فلو أنا على حجرٍ دُبْنَا جرى الدميان بالخبر اليقين
أي: لجرى الدميان.

3. 6- الواو

وهي حرف مجهور⁴⁴⁹، والقياس فيه أن يكون مفتوحاً.

3. 6. 1- أنواعها ومعانيها

يقول ابنُ جني: "فأما إذا لم تكن ممزوجةً بأنفسِ الأمثلة"⁴⁵⁰ فتأتي على أربعة أضربٍ، وهي: واؤ العطف، والواؤ التي بمعنى مع، وواؤ الحال، وواؤ القسم"⁴⁵¹.

⁴⁴⁷ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 72/2.

⁴⁴⁸ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 70/2-71-72-73.

⁴⁴⁹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 223/2.

⁴⁵⁰ أي إذا لم تكن حرف مبنى.

3. 6. 1. 1-واو العطف

نحو: قام زيدٌ وعمرٌ، والحديثُ عن واوِ العطفِ عنده غنيٌّ، ويكشفُ لنا وجهاً من أوجه تعامله مع الأدوات وأحكامها في مؤلفاته. وأهمُّ المسائل التي تتصلُ بواوِ العطفِ وأحكامها عنده ما يأتي:

3. 6. 1. 1. 1- واوِ العطفِ عنده "نظير التنثية"⁴⁵²، فهي طريقةٌ من طرق الاختصارِ عند العرب، فعندما يقولون: جاء زيدٌ وعمرٌ، فإنهم يجعلونها مُغْنِيَةً عن إعادة العامل في: جاء زيدٌ وجاء عمرٌ. كما تكونُ التنثيةُ اختصاراً في قولنا: جاء الرجلان، لقولنا: جاء الرجلُ والرجلُ.

وأبعدُ من ذلك أنَّ استخدامَها للعطفِ يقوِّي الاتصالَ بين المتعاطفين. وقَفَ على قول الشاعر:

وجدتُ أباهَا راضِيَةً وأُمَّهَا فَأَعْطَيْتُ فِيهَا الْحَكَمَ حَتَّى حَوَيْتُهَا

فرأى أن الأصل: وجدتُ أباهَا وأُمَّهَا راضِيَةً، وهذا يدلُّ على قوة اتصالِ المعطوفِ بالمعطوفِ عليه. ألا ترى أنه لما قَدَّمَ الأولَ منهما صار لقوة اتصالِ الثاني به كضَمِّه إليه؟. ونحوُ هذا قولُ أبي عثمانَ في (الألف واللام)⁴⁵³: إن ما عُطِفَ بالواوِ بمنزلة ما جُمِعَ في لفظة واحدة⁴⁵⁴.

3. 6. 1. 1. 2- ويصرِّحُ ابنُ جَنِّي بأنه مع الذين يَرَوْنَ فيها عَدَمَ التَّرتيبِ⁴⁵⁵ وليس فيها دليلٌ على المبدوء بالمعنى؛ لأنها ليست مُرتَّبَةً⁴⁵⁶. ويقول في موضعٍ آخر: "لأنَّ الواوَ تَخْلِطُ

⁴⁵¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/277.

⁴⁵² ابن جني، المحتسب، 2/311.

⁴⁵³ أحد مؤلفات أبي عثمان المازني.

⁴⁵⁴ ابن جني، التنبيه، 427.

⁴⁵⁵ هم الكوفيون.

الثاني بالأول فلا تجعل لأحدهما مزيةً على الآخر في التَّقدُّم والتَّأخُّر⁴⁵⁷. ثم يضربُ لذلك شواهدَ تؤيِّدُ الرأيَ من الشعر والقرآن. كقول لييد:

أغلي السِّبَاءَ بكلِّ أدكنِّ عاتقٍ أو جُونةٍ قُدِّحَتْ وفُضَّ خِتَامُهَا

الكلامُ في البيت على زِيٍّ الخمرةِ المفضَّلةِ عندَ الشَّاعر، والشاهدُ في قوله: (قُدِّحَتْ وفُضَّ خِتَامُهَا) أي: عُرِفَتْ وفُتِحَ خِتَامُهَا. ويتَّضحُ أنَّ الشاعرَ أراد عكسَ الترتيبِ لأنَّ فتحَ الخِتَامِ يأتي قبلَ العُزْفِ، وفي ذلك دليلٌ على أنَّ الواوَ العاطفةَ لا ترتيبَ فيها، وهنا أُطلقَ عليها معنى (الجمع المطلق، أو مُطلق الجمع)، وهكذا تكونُ خلافَ الفاءِ و(ثم) اللذينِ يقتضيان الترتيبَ حتماً. وعلى هذا يتوجَّه المعنى في قوله تعالى: "يُمَرِّمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرُّكَّعِينَ" (آل عمران 43/3). التقدير حَسَبَ المعنى المراد: اركعي واسجدي⁴⁵⁸.

ويجعل ابنُ جني من أمثلة الواوِ العاطفةِ التي حُوِّلَ فيها الترتيبُ قوله تعالى: "يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ" (المائدة 6/5)، وهو يعلِّلُ عدمَ اشتراطِ مذهبِ أبي حنيفةَ الترتيبَ في أركانِ الوضوءِ بأن الواوَ لا ترتيبَ فيها⁴⁵⁹.

على أنه يرى أيضاً أنَّ العطفَ بها قد يقعُ لترتيبِ المتعاطفينِ من الأدنى إلى الأعلى. قال الشاعر:

من عهدِ عادٍ كان معروفاً لنا أسرُّ الملوكِ وقتلُها وقتالُها

⁴⁵⁶ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 277/2.

⁴⁵⁷ ابن جني، الفسر، 39/1.

⁴⁵⁸ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 277/2.

⁴⁵⁹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 277/2.

يقول: "وقوله: وقتلها وقتلها، فقدّم القتل على القتال لفظاً، وهو ينوي به التأخير معنى؛ وذلك لأنه إنما يُبدَأُ بالأدنى ثم يُعقَّبُ عليه بالأعلى. نحو قول الله تعالى: "لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ" (النساء 172/4)، غير أنّ الواو لما كانت غير مرتبة جاز أن تتقدّم في لفظها ما هو مؤخّر في معناها. وأمّا قول ذي الرُّمّة:

وشفّف عن أجياد غزلانٍ رملةٍ حسانٍ فكان⁴⁶⁰ القتلُ أو شَبَهُ القتلِ

فإنما نزل عن الأعلى لأنه قد تدارك القصد بعدما اشتط⁴⁶¹.

وحكمُ عدم الترتيب بالواو هو حكمٌ عامٌّ، لكنها تكون للترتيب حتماً في حكم خاصٍّ حين تُسبقُ بفعل دالٍّ على الاشتراك كصيغة افتعل وتفاعل. وهو حكمٌ لطيفٌ في هذا الباب. يقول: "واو العطفِ وضعها لغير الترتيب، وأن تصلح للأوقات الثلاثة. نحو: جاء زيدٌ وعمرو، فيصلح أن يكونا جاءا معاً، وأن يكونَ زيدٌ قبلَ بكرٍ، وأن يكونَ بكرٌ قبلَ زيد. ثم إنك قد تنقلها من هذا العموم إلى الخصوص، وذلك في قولهم: اختصمَ زيدٌ وعمرو، فهذا لا يجوزُ أن يكونَ الواو فيه إلا لوقوع الأمرين في وقت واحدٍ. ففي هذا أيضاً إخراجُ الواو عن أول ما وُضعت له في الأصل من صلاحيتها للأزمنة الثلاثة"⁴⁶².

3. 6. 1. 1. 3- ومن المسائل المهمّة المتعلقة بالواو العاطفة مسألة تقدّمها على

المتعاطفين. كما في قول الشاعر:

ألا يا نخلَةً مِنْ ذاتِ عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السَّلامُ

⁴⁶⁰ في النسخة المُعتمدة (فَكُنْ)، والصواب ما أثبت.

⁴⁶¹ ابن جني، /التنبيه، 131.

⁴⁶² ابن جني، الخصائص، 320/3.

أراد: عليكِ السلام ورحمةُ الله⁴⁶³. وقد تناقضَ الرجلُ في هذا الباب تناقضاتٍ عدةً، فلم يُعرَفْ له رأيٌ ثابتٌ في هذه القضية، ونلخّصُ آراءه كما اتضحت فيما يأتي:

الرأي الأول: قرّرَ فيه أنّ تقدّمَ الواوِ على المتعاطفين "جائز في ضرورة الشعر"⁴⁶⁴.

الرأي الثاني: قاله عند وقوفه على قول الشاعر:

لَعَنَ الْإِلَهَ وَزَوْجَهَا مَعَهَا هَذَا الْهُنُودِ طَوِيلَةَ الْفَعْلِ

إذ لم يرَ الضرورةَ هنا كما رآها في الشاهد السابق بل قال: "لمّا لم تكن الواوُ مُرتَبَةً هَجَمَ على لفظ ما في نفسه"⁴⁶⁵، فقدّمه لفظاً كما كان يعتقدُه معنى"⁴⁶⁶. ويدلّ هذا القولُ على أنه لا يرى بأساً أو ضرورةً في التقديم، بل يراه من باب تقديم الأهمّ في النفس على ما هو دونّه أهميّةً. وهو مذهبٌ مُستحبٌّ في كلام العرب.

الرأي الثالث: يُفصّلُ فيه المسألةَ بحسبِ المتعاطفين. ذكرَ ذلك في حلّه الإشكالَ في قول

الشاعر:

ثم اشتكيتُ لأشكاني وساكنهُ قَبْرٌ بسنْجَارٍ أو قَبْرٌ على قَهْدٍ

فذكر أن الشاعر "أراد: ثم اشتكيتُ لأشكاني قَبْرٌ بسنْجَارٍ وساكنهُ، فقدّمَ المعطوفَ على المعطوف عليه، وحسّنَ ذلك شيئاً أن الفعلَ مع الفاعلَ يجرّيانِ في كثيرٍ من المواضع مَجْرَى الجِزءِ الواحدِ فقوْلُكَ إِذَا: (قامَ زَيْدٌ عمرو) أقوى من قولك: ضربْتُ وعمراً زَيْداً؛ وذلك أنه ليس اتصالُ المفعولِ بالفعلِ في قوة اتصالِ الفاعلِ به..... ومن تقديمِ المفعولِ به قولُ يزيد:

⁴⁶³ابن جني، الخصائص، 161/2.

⁴⁶⁴ابن جني، الفسر، 163/4.

⁴⁶⁵يعني أنه يُبغض زوجها أكثر من بُغضها.

⁴⁶⁶ابن جني، الخاطريات، 125.

جمعتْ وبُخلاً غيبةً ونميمةً ثلاثَ خصالٍ لستَ عنها بمُرَعوي

ومنه قولُ الآخر:

لَعَنَ الإلهُ وزوجَهَا معها هَنَدَ الهنودِ طويلةَ الفعلِ

ولكن الذي لا يجوزُ: وفحشاً جمعتْ غيبةً ونميمةً⁴⁶⁷.

يُفهم من هذا أنَّ تقديمَ الواوِ مقبولٌ إذا كان المعطوفُ عليه فاعلاً لقوة الاتصالِ بين الفعلِ والفاعلِ؛ فكأنه لم يَفصلْ بينهما حرفُ العطفِ، بينما التقديمُ ضعيفٌ إذا كان المعطوفُ عليه مفعولاً به لضعف اتصاله بالفعل. والتقديمُ ممنوعٌ البتة إذا تقدَّمَ حرفُ العطفِ على الفعلِ والمتعاطفين.

الرأي الرابع: ذكره في (الخصائص) في باب (شجاعة العربية)، ولأهمية كلامه في هذا المقام نوردُه كما جاء: "ولا يجوزُ تقديمُ الصلةِ ولا شيءٍ منها على الموصولِ، ولا الصفةِ على الموصوفِ، ولا المُبدلِ على المُبدلِ منه، ولا عطفِ البيانِ على المعطوفِ عليه، ولا العطفِ الذي هو نسقٌ على المعطوفِ عليه، إلا في الواوِ وحدَها، وعلى قَلَّتْه أيضاً. نحو: قام وعمرُّو زيدٌ. وأسهلُ منه: ضربتُ وعمرُّاً زيدٌ⁴⁶⁸. اتَّسعت في الكلام قبل الاستقلالِ والتمام. فأما قوله:

ألا يا نخلةً مِنْ ذاتِ عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السَّلامُ

فحملته الجماعةُ على هذا؛ حتى كأنه عندها: عليكِ السَّلامُ ورحمةُ اللهِ. وهذا وجهٌ؛ إلا أنَّ عندي فيه وجهاً لا تقديمَ فيه ولا تأخيرَ من قِبَلِ العطفِ⁴⁶⁹، وهو أن يكونَ (رحمةُ اللهِ) معطوفاً على الضميرِ في (عليكِ)؛ وذلك أنَّ (السَّلامُ) مرفوعٌ بالابتداء، وخبرُهُ مُقدَّمٌ عليه وهو (عليكِ)، ففيه إذاً ضميرٌ مرفوعٌ بالظرفِ، فإذا عطفتْ (رحمةُ اللهِ) عليه ذهبَ عنك مكروهُ التقديمِ؛ لكنَّ فيه العطفَ

⁴⁶⁷ابن جني، التنبيه، 211.

⁴⁶⁸يجعل هذا المثال في مقام سابق من باب المفعول معه.

⁴⁶⁹ابن جني، التنبيه، 212.

على المضمَر المرفوع المتصل من غير توكيد له. وهذا أسهل عندني من تقديم المعطوف على المعطوف عليه..... ومما يُضَعَفُ تقديم المعطوف على المعطوف عليه من جهة القياس أنك إذا قلت: قام زيدٌ عمروٌ فقد جمعتُ أمام زيدَ عاملين: أحدهما (قام)، والآخر الواو، ألا تراها قائمةً مقامَ العاملِ قبلها، وإذا صرتَ إلى ذلك صرتَ كأنك قد أعملتَ فيه عاملين⁴⁷⁰.

نراه في الموضع نفسه يتناقض، ففي البداية جعل التقديم غير جائز في باب عطف النسق، ويستثني الواو فنهم إجازته ذلك، ثم لا يلبث أن يصفه ب(القليل)، ثم في النهاية يصفه بالمكروه ثم بالمُضَعَّف، ويفضل عليه وجهاً يرفضه البصريون، وهو العطف على المضمَر المرفوع المتصل من غير توكيد له⁴⁷¹.

والخلاصة أنه تخبَّط في هذه المسألة أيما تخبَّط فراه: ضرورة، ومُستحباً، وجائزاً (على قلة)، ومكروهاً، ومضعفاً. فإن قال قائل: لا مُشاحَة في الاصطلاح. كان الجواب من طريقين:

الأول: أن ابنَ جني ليس سيبويه كي نقول إنه أَلَفَ في بدايات النحو أزمان كان النحو مجنوناً ولم يَعْقِلْ، ومن المشهور أن النحو كان مجنوناً حتى عَقَلَهُ ابنُ السراج في أصوله، وصاحبنا تلميذُ تلميذِ ابنِ السراج!.

والثاني: أن هذا القول لا ينطبق على الأحكام الدقيقة التي نختلف فيها على الجواز والمنع، ثم إنه لا مُشاحَة في الاصطلاح حين تكون المصطلحات متقاربة ومتألّفة، لا حين تكون متضادة. ومن غريب رأيه أنه خلط بين تقديم حرف العطف وتأخيرهِ حين وقفَ على قول المتنبي:

قبيلُ أنتَ أنتَ وأنتَ منهم وجدُّكَ بشرُ الملكِ الهُمَامُ

⁴⁷⁰ ابن جني، الخصائص، 2/161.

⁴⁷¹ ابن الأنباري، الإنصاف، 380.

"أي: قبيل أنت منهم وأنت أنت، فأخّر حرف العطف، وهذا قبيح جداً؛ لأنه جعل حرف العطف بعد ما عطفه به". وكلامه واضح إلى هذا المقام؛ إذ يُفهم منه أن ما فعله المتنبي عكس ما جاء في الشاهدين السابقين (ألا يا نخلة)، (لعمري الإله)؛ لأنه هناك قدّم حرف العطف على المتعاطفين وهنا أخره، لكنّ كلامه يختلّ عندما يقول: "ونظير هذا: قامت وزيدٌ هندٌ، وهذا لا يجوز"⁴⁷²، فكيف يكون تأخير حرف العطف كتقديمه على المتعاطفين؟. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نتساءل: هل الواو هنا للعطف؟ أليس التقدير: قبيل أنت منهم وأنت أنت؟، الواو هنا - أحسب - حاليّة لا عاطفة.

3. 1. 1. 4- لا يجوزُ عنده الفصلُ بين الواوِ والمعطوفِ عليه، وإن كان الفاصلُ بينهما شبه الجملة التي اتّسع العربُ في أحكامها اتساعاً كبيراً فجاءت في مواضع لا يجوزُ فيها غيرها. ولذلك وقفَ على قول الشاعر:

يوماً تراها كمثلِ أرديةِ العصـبِ بـ ويوماً أديمها نغلا

فقال: "أراد: تراها يوماً كمثلِ أرديةِ العصب، وأديمها يوماً آخر نغلاً، ففصل بالظرف بين حرفِ العطفِ والمعطوفِ به على المنصوب قبله، وهو (ها) من (تراها)..... وليس كذلك قوله:

فَصَلَقْنَا فِي مَرَادٍ صَلَقَةً وَصُدَاءِ أَحَقَّتْهُم بِالثَّلَالِ

فليس منه⁴⁷³؛ لأنه لم يفصل بين حرفِ العطفِ وما عطفه، وإنما فيه الفصلُ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه بالمصدر الذي هو (صلقة)⁴⁷⁴.

⁴⁷² ابن جني، التفسير، 512/3.

⁴⁷³ ربما وهم هنا أنه قال من قبل: (وأما قول الشاعر.....)، فقال: فليس منه.

⁴⁷⁴ ابن جني، الخصائص، 396/2.

3. 6. 1. 1. 5- ويرى أنّ هذه الواو العاطفة قد أنابوها مُناب حرف الجرّ الشبيه بالزائد

(رُبّ) في شواهد كثيرة جداً، منها قول رُبّة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق مُشْتَبِه الأعلام لَمَاعِ الحَقِّق

وقوله أيضاً:

وَبَلَدٍ عامِيّة أَعْمَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنِ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

وقوله:

وليلة ذاتِ ندى سريثُ

"تقديره: ورُبّ كذا، وهذه الواو حرفُ عطفٍ"⁴⁷⁵، وهذا يستلزم مسألتين:

الأولى:

أنّ الواو النائبة عن (رُبّ) تَرَدُّ أحياناً في مطالع القصائد كما في قول رُبّة السالفِ ذِكْرُهُ (وبلدٍ) فكيف تكونُ للعطف ولا معطوف عليه في الكلام؟ "فالجواب: أنّ القصيدة تجري مجرى الرسالة، وإنّما يُؤتى بالشعر بعد خُطْبٍ يجري أو خطابٍ يتّصل، فيأتي بالقصيدة معطوفةً بالواو على ما تقدّمها من الكلام"⁴⁷⁶، وقد أعاد الرأي نفسه في شرحه قول أبي نواس:

وَبَلَدَةٍ فِيهَا زَوْرٌ صَعْرَاءُ تُحْطَى فِي صَعْرٍ

"قوله: وبلدة، قيل في هذه الواو قولان: أحدهما أنها للعطف، والآخر أنها عَوْضٌ من ربّ. فكأنهم إنما هربوا من أن يجعلوها عاطفة؛ لأنها في أول القصيدة، وأول الكلام لا يُعْطَفُ، ولا يمتنعُ

⁴⁷⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/281.

⁴⁷⁶ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/282.

العطفُ على ما تقدّم من الحديث والقَصَصِ، فكأنه كانَ في حديث ثم قال: (وبلدةٍ)، فكأنه وكلّ الكلام إلى الدلالة في الحال..... وهذا في كلام العربِ واسعٌ فاشٍ⁴⁷⁷.

الثانية:

الجرُّ الواقعُ على الاسم التالي للواو، أبالواو وقعَ أم ب (رُبَّ) المحذوفة؟

هو يرى أنّ الجرَّ واقعٌ ب (رُبَّ) المحذوفة لا بالواو؛ لأنّ الواو إنما هي نائبةٌ عن العامل دالّةٌ عليه، وليست مُتَوَلِّيةً للعملِ دونه⁴⁷⁸. والدليل الذي يثبت ذلك، كما ذكر، أننا نقول: قام زيدٌ وقام عمرو، فلو كانت واوُ العطفِ عاملةً لما كانت حاجةٌ إلى إعادة العاملِ قام. فإذا قلنا: قام زيدٌ وعمروُ "فالعملُ إذاً إنما هو للعامل المُراد لا الحرفِ العاطفِ"⁴⁷⁹.

ويقول: "وهذا يدفعُ قول أبي العباس⁴⁸⁰ إنّ الواو في نحو قوله (وبلدٍ تحسبُه مكسوحاً) هي التي جرّت (بلدٍ) لما خلفت (رُبَّ) ، فكانت عوضاً منها"⁴⁸¹.

ويرى الكوفيون ومعهم أبو العباس المبرّد من البصريين أن الواو هي التي تعمل الجرّ في هذه الجملة، بينما يرى البصريون أن العمل لـ "رُبَّ" المُقدّرة⁴⁸².

3. 6. 1. 2-الواو بمعنى (مع)

⁴⁷⁷ابن جني، تفسير أرجوزة أبي نواس، 10.

⁴⁷⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/282.

⁴⁷⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/282.

⁴⁸⁰أي: المبرّد.

⁴⁸¹ابن جني، التنبيه، 165.

⁴⁸²ابن الأنباري، الإنصاف، 322.

كما في قولنا: استوى الماء والخشبة، وجاء البرد والطَّيَّالسة، وما زلتُ أسيّر والنَّيل.... "ومن أبيات الكتاب قولُ الشاعر:

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكانَ الكَلِيتَيْنِ مِنَ الطُّحَالِ

أي: مع بني أبيكم، فلما حذف (مع) وأقام الواو مقامها، أفضى الفعل الذي قبل الواو إلى الاسم الذي بعدها، فنصبه بواسطة الواو؛ وذلك أن الواو قوّته فأوصلتهُ إليه⁴⁸³.

ويتضح في كلامه أن ناصب المفعول معه ليس الواو، إنما هو الفعل الذي قبلها، وما كانت الواو إلا مُقَوِّيةً للفعل على النصب. وهذا يعني أن المفعول معه بحكم المفعول به؛ لكنَّ الفعل ضَعُفَ عن الوصول إليه لتقييده بالظرف (مع) الذي نابت الواو منابه، فتقوى الفعل بواسطة الواو على نصب الاسم بعدها.

وإضافةً إلى هذه الرأي في باب واو المفعول معه، ثمة آراء مهمة:

3. 6. 1. 2. 1- نفهم من كلامه السابق أن النصب لا يحصل إلا في حال وجود فعل قبل الواو يُقَوِّيهَا على النصب، أما إذا لم يكن فعل فلا نصب لأن الواو وحدها غير قادرة عليه دون فعل؛ ولذلك يُختار الرفع في مثل ذلك. وهذا ما جاء به حين علّق على قول المتنبّي:

وما الحياة ونفسي بعد ما عرفت أن الحياة كما لا تشتهي طبع

"وقوله: (ونفسي) في موضع رفع عطفاً على الحياة، ومعناه: مع الحياة، كما نقول: ما أنت وزيد؟ أي: ما أنت مع زيد. وأنشد سيبويه:

يا زبرقانُ أخوا بني خَلَفٍ ما أنت ويبُ أبيك والفخر؟⁴⁸⁴

⁴⁸³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/284.

⁴⁸⁴ ابن جني، التفسير، 2/322.

3. 6. 1. 2. 2- أنه يجوزُ عنده تقديمُ المفعولِ معه وواوهِ على ما قبلهما، فيجوزُ قولنا:
(جاءَ والطَيَّالسةُ البردُ) كما تقول: ضربتُ وزيداً عمراً. قال:

جمعتُ وفُحشاً غيبةً ونميمةً ثلاث خصال لست عنها بمرعوي⁴⁸⁵

وإذا أمعنا النظر في الشاهد الأخير نرى أنَّ الواوَ فيها ليست إلا واوَ العطفِ تقدّمت هي والمعطوفُ على المعطوف عليه، وقد ذكرَ هذا البيتُ على هذا الأساسِ في القسم الأولِ من أنواع الواوِ (واوِ العطفِ) كما تقدّم سابقاً. فالأصلُ في البيتِ: جمعتُ غيبةً ونميمةً وفُحشاً، فيكونُ هذا البيتُ وأضرابه من باب (عليكِ ورحمةُ اللهِ السَّلامُ) الذي سبق الكلامُ عليه. أمّا قوله: ضربتُ وزيداً عمراً، فيجعلُهُ من باب تقدّمِ واوِ العطفِ⁴⁸⁶.

3. 6. 1. 2. 3- أنه يرى رأيَ أبي الحسن الأَخفشِ في إجراء واوِ المعيةِ مُجرى الواوِ العاطفة. يقول في تعريف المفعولِ معه: "وهو كلُّ ما فعلتَ معه فعلاً وجازَ أن يكونَ معطوفاً"⁴⁸⁷؛ ولذلك يجوزُ برأيهما أن نقول: انتظرْتُكَ وزيداً، لجواز: انتظرْتُكَ وانتظرْتُكَ زيدً، ولا يجوزُ: انتظرْتُكَ وطلوعَ الشمسِ؛ لأنه لا يجوزُ: انتظرْتُكَ وانتظرْتُكَ طلوعَ الشمسِ؛ "لأنَّ طلوعَ الشمسِ لا يجوزُ منه انتظارُ أحدٍ"⁴⁸⁸، وإنما "ذلك لأنَّ الواوَ التي بمعنى مع لا تُستعملُ إلا في الموضع الذي لو استُعْمِلت فيه عاطفةً لجاز"⁴⁸⁹،

ورأيه هذا يستلزمُ منا الوقوف على أمرين اثنين:

⁴⁸⁵ابن جني، الخصائص، 383/2.

⁴⁸⁶ابن جني، الخصائص، 385/2.

⁴⁸⁷ابن جني، الألمع، 51.

⁴⁸⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 137/1.

⁴⁸⁹ابن جني، الخصائص، 313/1.

الأول: أن رأيه في إجراء واو المعية مُجْزَى واو العطف مخالف لما ذهب إليه الجمهور الذين حكموا بأن واو المعية تجب في الموضع الذي لا يجوز فيه العطف⁴⁹⁰.

الثاني: لو افترضنا صحة رأي أبي الفتح السابق لبطلت بعض الأمثلة التي ذكرها، مثل: (انتظرتك وطلوع الشمس)، فقد حكم بأن طلوع الشمس لا يمكن أن ينتظر أحداً، فهل يمكن للطيايسة أن يكون منها مجيء في قولنا (جاء البرد والطيايسة)؟!.

3. 6. 1. 3- واو الحال

كقولنا: مررت بزيد وعلى يده باز، أي مررت به وهذه حاله. ولقيت محمداً وأبوه يتلو. أي: لقيته وهذه حاله. ومن سمات هذه الواو كما ذكر:

- أنها منصوبة الموضع لأن الجملة الحالية كذلك⁴⁹¹.

- أنها لا تدخل إلا على جملة اسمية، ولا يقع بعد هذه الواو إلا جملة مركبة من مبتدأ وخبر⁴⁹²، يقول: "ولهذا قال سيبويه (واو الابتداء) يعني هذه الواو، إذ كان ما بعدها سبيله أن يكون جملة مؤلفة من مبتدأ وخبر"⁴⁹³، فإن جاء بعدها فعل والمعنى مقطوع به للحال لزم ذلك تقدير (قد) كقولنا: كلمت محمداً وقام أخوه "فكأنك قلت: كلمت محمداً وقد قام أخوه"⁴⁹⁴.

⁴⁹⁰ عبد الله بن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ط20، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، (القاهرة، دار التراث، 1980). 1-206.

⁴⁹¹ ابن جني، التنبيه، 296.

⁴⁹² ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/285.

⁴⁹³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/288.

⁴⁹⁴ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/285.

وقد ذكر النحاة حلاً آخر لهذا الإشكال غير ما ذكر ابن جني، وهو أن نجعل الفعل خبراً لمبتدأ محذوف حتى نعود إلى التركيب الاسمي الذي ينبغي أن يلي واو الحال. كما في قول عنتره:

عُلّقْناها عَرَضاً وأَقْتُلْ قومَهَا رَعِماً لَعَمْرُ أُبَيْكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ

فتقدير (قد) هنا يُبعد المعنى تماماً، فيلزم تقدير مبتدأ يكون الفعل (أقتل) خبراً له. والتقدير: وأنا أقتل قومها⁴⁹⁵.

- أن هذه الواو تُغني عن وجود الرابط اللازم ذكره في جملة الحال، فإذا وجدت هذه الواو فلنا الخيار في حذف الضمير، كقولنا: جاء زيد وعمرؤ يقرأ، أو ذكره كقولنا: جاء زيد وتحتَه فرس. "وإن جئت به فيها فحسن جميل؛ لأن فيه تأكيداً لارتباط الجملة بما قبلها"⁴⁹⁶.

- أن واو الحال هذه يمكن أن تدخل على حرف الشرط (إن)، شريطة حذف جواب الشرط في هذه الحالة، فإن أُجيب الشرط كانت عاطفة لا حالية. يقول: "إذا دخلت على حرف الشرط واو الحال لم يُجب. بذلك ورد كلامهم. وذلك قولنا: أحسن إلى زيد وإن كفر، واشكره وإن أساء إليك. أي: أحسن إليه كافرًا لك، واشكره مُسيئًا إليك. فإن أُجيب الشرط كانت الواو عاطفة لا للحال. وذلك كقولنا: أحسن إليه وإن كفر فلا تدع الإحسان إليه، واشكره وإن أساء إليك فأقم على شكره، ونحو ذلك. فالواو للعطف لا للحال"⁴⁹⁷.

- أن هذه الواو تشبه في معناها (إذ) كما قال سيبويه. "قال أبو علي: إنما فعل ذلك من حيث كانت (إذ) مُنتصبة الموضع في الحال، ولأن ما بعد إذ لا يكون إلا جملة كما إن ما بعد الواو

⁴⁹⁵ علي بن محمد الأشموني، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1955). 1-256.

⁴⁹⁶ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/286.

⁴⁹⁷ ابن جني، بقية الخاطريات، 447.

لا يكون إلا جملة..... ولأجل أن بين الحال والظرف هذه المصاقبة ما⁴⁹⁸ ذهب الكسائي إلى أن نصب الحال إنما هو لشبهها بالظرف...⁴⁹⁹.

3. 6. 1. 4-واو القسم

كقولك: والله لأقومنَّ. وهذه عنده بدلٌ من باء القسم كما تقدّم.

3. 6. 2-زيادة الواو

نكر ابنُ جني أن من يقولُ بزيادة الواو هم البغداديون الذين يعني بهم الكوفيين كما صرح في (المحتسب)⁵⁰⁰، حين تحدّث عن التوجيهات الإعرابية لقراءة طلحة قوله تعالى: "نختم على أفواههم ولتكلمنا أيديهم ولتشهد أرجلهم"⁵⁰¹ (يس 65/36)، فالتقدير قد يكونُ على زيادة الواو بين الفعل (نختم) وشبه الجملة المتعلقة به (لتكلمنا). ويشبهُ الزيادة هنا بالزيادة في قوله تعالى: "حتّى إذا جاءوها وفُتحتْ أبوابُها" (الزمر 73/39)، وهنا زيدت الواو بين الشرط وجوابه.

ويبدو من خلال ما طرح من الأمثلة أن زيادتها كثيرة في جواب الشرط. كما في قوله تعالى: "فلما أسلما وتلّهُ للجبين ونديتُهُ أن يَبرّهيم.." (الصافات 103/37، 104)، فجواب (لما) هو (ناديناه)، والواو زائدة.

واحتجوا لجواز ذلك بقول الشاعر:

حتى إذا امتلأت بطونكمُ ورأيتمُ أبناءنا شَبُّوا

⁴⁹⁸ ما: زائدة.

⁴⁹⁹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/288-289.

⁵⁰⁰ ابن جني، المحتسب، 2/216.

⁵⁰¹ قراءة حفص عن عاصم: "نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم".

وَقَلْبْتُمْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ لَنَا إِنَّ الْعَدُورَ الْفَاجِشَ الْخُبُّ

جواب (إذا) هو (قلبتم) والواو زائدة.

وقد صرَّحَ الفراءُ شيخُ الكوفيين بزيادتها في كتاب (معاني القرآن) وذكرَ الشواهدَ السابقة قائلاً:
"فهذه الواوُ معناها السقوط"، أي الزيادة⁵⁰².

يُعلِّقُ ابنُ جني على هذه الشواهدِ وأضرابها بالقول: "فأما أصحابنا فيدفعونَ هذا التأويلَ، ولا يجيزونَ زيادةَ الواوِ، ويرونَ أنَّ أجوبةَ هذه الأشياءِ محذوفةٌ للعلم بها والاعتقاد في مثلها"⁵⁰³. ويقولُ في موضعٍ آخرَ: "وعلى أنَّ زيادةَ الواوِ لا يَعْرِفُهَا البصريونَ، وإنما هو للكوفيين خاصةً"⁵⁰⁴.

فالتقديرُ في الآيةِ الكريمة: فلما أسلما وتلَّه للجبين وناديناه.. أدركَ ثوابنا، والتقديرُ في البيتين:
لما قَمِلَت بطونُكم ورأيتم أولادنا شبَّوا وقلبتُم ظهرَ المجنِّ لنا استحققتُم صرفَ اللائمةِ إليكم.

ثم يدافعُ عن مذهب منع الزيادةِ بقوله: "وذهب أصحابنا إلى أن حذفَ الجوابِ في هذه الأشياءِ أبلغُ في المعنى من إظهاره، وأنه لذلك ما حُدِّثَت هذه الأجوبةُ"⁵⁰⁵.

لكنه في موضعٍ آخرَ ينسبُ زيادتها لنفسه دون أن يذكرَ رأيَ الكوفيين. وذلك في قول

الشاعر:

أضافتُ إليه طُرْقَةً الليلِ ما فتى ثباتاً إذا ظلَّ الفتى وهو أوجلُّ

⁵⁰² أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، د.ط، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1955). 238/1.

⁵⁰³ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/290.

⁵⁰⁴ ابن جني، المحتسب، 2/216.

⁵⁰⁵ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/293.

"زاد الواو في خبر ظلّ، والذي يُعرّف من هذا زيادتها في خبر كان. كقولك: كان ولا شيء له. ذكر زيادتها في خبر كان أبو الحسن"⁵⁰⁶.

والظاهر أنه لا يمنع زيادة الواو في خبر كان وأخواتها كما منعها قبلاً في أسلوب الشرط؛ لأنه يراها هنا تشبّه وَاو الحال للمشابهة بين خبر كان والحال. يقول: "وقد زيدت في نحو قولهم: كنت ولا مال لك، وكان زيد ولا أحد فوقه. وكأنهم استجازوا زيادتها هنا لمشابهة خبر كان للحال. ألا ترى أنّ قولك: كان زيد قائماً، مُشَبَّه من طريق اللفظ بقولهم: جاء زيد راكباً، وكما جاز أن يُشَبَّه خبر كان بالمفعول فينصب، فغير مُنكَر أيضاً أن يُشَبَّه بالحال في نحو قولهم: جاء زيد وعلى يده باز، فتزاد فيه الواو"⁵⁰⁷.

3. 6. 3- حذف الواو

يبدو في شواهد وأمثله أن حذف الواو مقصورٌ على كونها عاطفةً. وحذف هذه الواو عنده "من الشاذّ، لا ينبغي لأحد أن يقيس عليه غيره"⁵⁰⁸. ومن هذا الشاذ ما حكاه أبو عثمان المازني: أكلت لحماً، سمكاً، تمرّاً. يريد: لحماً وسمكاً وتمرّاً. ومنه قول الشاعر:

مالي لا أبكي على عِلّاتي صباّحي غباّقي قَيْلاتي

أراد: صباّحي وغباّقي وقيلاتي، "فحذف حرف العطف. وهذا عندنا ضعيفٌ في القياس، معدومٌ في الاستعمال"⁵⁰⁹. ومنه⁵¹⁰ قول الشاعر:

⁵⁰⁶ابن جني، الخاطريات، 175.

⁵⁰⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/294.

⁵⁰⁸ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/279.

⁵⁰⁹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2-280.

كيف أصبحت كيف أمسيّت ممّا يزرعُ الودّ في فؤاد الكـــــــريم

ويعلّل ضعفَ القياس في حذف الواو بأمرين:

الأول: الإجحاف في الاختصار:

وذلك "أنَّ حرفَ العطفِ فيه ضربٌ من الاختصار، وذلك أنه أقيم مقامَ العامل. ألا ترى أن قولك: قام زيدٌ وعمروٌ. أصلُه: قام زيدٌ وقامَ عمرو، فحذفتَ قامَ الثانيةَ، وبقيتِ الواو كأنها عوضٌ منها. فإذا ذهبتَ تحذفُ الواوَ النائيةَ عن الفعل تجاوزتَ حدَّ الاختصارِ إلى مذهب الانتهاك والإجحاف؛ فلذلك رَفَضَ ذلك"⁵¹¹.

الثاني: الإشكال:

فقد ذكرَ أنَّ حذفَ الواو يُبعدُ الكلامَ عن العطف ليدخله في باب البدلِ أو عطفِ البيان. كما في قولنا: ضربتُ زيداً وأبا عمرو. الكلامُ هنا على العطف، ويُفهمُ منه أنَّ زيداً غيرُ أبي عمرو، "فلو حذفتِ الواو.....فقلت: ضربتُ زيداً أبا عمرو، لأوهمتُ أن زيداً هو أبو عمرو.... فلمَّا اجتمع إلى الإجحاف الإشكال، قُبِحَ الحذفُ جداً".

وإذا كان صرّح في (سر الصناعة) بأن حذف الواو شاذٌّ، فهو في كتابٍ آخر لا يصفه بالشذوذ بل بالقلة⁵¹²، وفي مقامٍ آخر لا يصفه بالشذوذ ولا بالقلة⁵¹³.

⁵¹⁰ابن جني، التنبيه، 131.

⁵¹¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 280/2.

⁵¹²ابن جني، الخاطريات، 147.



⁵¹³ابن جني، *التتبيه*، 131-341.

4- الأدوات المركبة

1-4 أَل

كان ينبغي أن تُدرَسَ (أَل) مع دراستنا لِلام، لكن أُجِلَّتْ إلى هذا الموضع لغايات تنظيمية في البحث من جهة، ولخصوصية دراستها من جهة أخرى.

فمذهبُ ابنِ جَنِّي المُستَقَرُّ في نفسه أنَّ (أَل) مركبةٌ من همزة الوصل ولام التعريف، فهو بذلك يخالف مذهب الخليل في (أَل)، فالخليل يَعُْدُّها قطعةً واحدةً بمنزلة (قد) و(هل).

وأبو الفتح يعطي لرأيه هذا أدلةً، منها أنَّ العربَ أوصلوا حرفَ الجرِّ إلى ما بعدَ حرفِ التعريفِ في نحو قولهم: عَجِبْتُ مَنْ الرَّجُلِ، ومررْتُ بِالْغُلَامِ، وهذا يدلُّ على أنَّ حرفَ التعريفِ غيرُ فاصلٍ عندهم بينَ الجارِّ والمجرور، وإنَّما كان ذلك كذلك لأنَّه في نهاية اللطافة والاتِّصال بما عرّفه⁵¹⁴.

وبيِّنُ أنه لو صحَّ مذهبُ الخليل لكانت (أَل) قطعةً واحدةً مَبْنِيَّةً من حرفين، وهذا يعني عدمَ صحَّةِ الفصلِ بينَ الجارِّ والمجرور⁵¹⁵.

⁵¹⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/18.

⁵¹⁵اللافئ من أبي الفتح أنه عندما ذكر رأي الخليل ذكر له من الحجج أكثر مما ذكر لرأيه، وكرَّر عباراتٍ تجعل القارئ يحسب أنه يتبنَّى مذهب الخليل من مثل: (ويَقْوِي هذا المذهب، ...ويؤكِّدُ هذا القول، فهذا كلُّه يؤكِّدُ أن همزة (أَل) ليست بهمزة وصل)، ثم يعود فيذكر أدلته على رأيه، وبعد ذكر أدلته على صحة مذهبه يعود ليفنِّد رأي الخليل بالرد على الحجج التي وضعها هو نفسه له!.

ولم يكتفِ الرجلُ بِسَوْقِ الأدلّةِ على قوّةِ رأيهِ، بل إنه بالغَ في التعليلِ إلى حدِّ كبير، فسأل نفسه أسئلةً عن هذه اللام: لِمَ جعلوها أوّلَ الحروف لا آخرها؟، ولِمَ جاءت ساكنة؟، ولِمَ اختاروا للتعريفِ حرفاً واحداً هو اللامُ دونَ غيرها؟، ثم أجاب عن هذه الأسئلة.

ويكادُ الدارسُ يجزمُ بأنَّ استقصاءَ هذا لم يُسبقْ إليه، وأنّه جاء من باب الترفّيفِ العقليّ والبذخِ الفكريّ المنطقي، فلعمري لو أنّ العربَ اختارت للتعريفِ غيرَ اللام، ولو جعلوها آخرَ الأسماء، ولو جعلوها متحركةً، إذاً لوجدَ أبو الفتح تعليلاتٍ أخرى لا تقلُّ عما ذكره.

وقد بيّنَ في حديثه عنها أنّه أغنى القولَ فيها بما لم يُسبقْ إليه فقال: "وما علمتُ أحداً من أصحابنا - رَحِمَهُمُ اللهُ - وصل من كشف أسرارها إلى هذه المواضع التي شرحناها وأوضحناها".

4. 1. 1- أقسامها

يذكر في (سرّ الصناعة)⁵¹⁶ أقسامَ لامِ التعريفِ عنده. وهي سبعة:

4. 1. 1. 1- تعريفُ الواحدِ بعهد

نحو قولك لمن كنتَ معه في ذِكْرِ رجلٍ: قد وافى الرجلُ. أي: الرجل الذي كُنّا في حديثه ونذكره⁵¹⁷.

4. 1. 1. 2- تعريفُ الواحدِ بغيرِ عهدٍ

⁵¹⁶ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 30/2.

⁵¹⁷ سُميت لاحقاً (اللام العهدية الذكورية).

نَحُو قَوْلِكَ لِمَنْ لَمْ تَرَهُ قَطُّ وَلَا نَكَرْتَهُ: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ أَقْبِلْ. فهذا تعريفٌ لم يتقدّمه ذِكْرٌ ولا عهدٌ⁵¹⁸.

4. 1. 1. 3-تعريف الجنس⁵¹⁹

نَحُو قَوْلِكَ: الرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَلِكُ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ. "أي هذا الجنسُ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ"⁵²⁰، وَالْعَسَلُ حُلْوٌ، وَالْخَلُّ حَامِضٌ، وَأَهْلَكَ النَّاسَ الدَّرْهَمُ وَالْدِّينَارُ. "فهذا التعريفُ لا يجوزُ أَنْ يَكُونَ عَنْ إِحَاطَةٍ بِجَمِيعِ الْجِنْسِ وَلَا مُشَاهَدَةٍ لَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُتَعَذِّرٌ غَيْرُ مُمَكِّنٍ"⁵²¹.

وقد جاءت اللامُ للجنس في قول الشاعر:

دَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعُودُ

"المرادُ بلامِ التعريفِ في (الرُّقَادِ) تعريفُ الجنس"⁵²².

4. 1. 1. 4-بدل إضافة

وهو معنًى نسبه إلى الكوفيين حين وقف على قول المتنبي:

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَةً رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامُ ضِرَابُ

⁵¹⁸ سُمِّيَتْ لاحقاً (اللام العهدية الذهنية).

⁵¹⁹ سُمِّيَتْ لاحقاً (اللام الجنسية)، وأنواعها كثيرة.

⁵²⁰ ابن جني، الخصائص، 1/395.

⁵²¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/32.

⁵²² ابن جني، التنبيه، 99.

قال: "ونصب الأمام على الظرف، وإن كانت فيه الألف واللام..... فكأنه قال: وأمامه، فجعل الألف واللام بدلاً من الإضافة على مذهب الكوفيين"⁵²³.

ومنه أيضاً قول المتنبي:

وفينا السيف حملته صدوق إذا لاقى وغارت له لجوج

"السيف: يريد: سيف الدولة. عزفه باللام لما كان معرّفاً بالإضافة"⁵²⁴.

4. 1. 1. 5- اللام اللازمة في الأعلام التي تكون في الأصل إما صفات (مشتقات) أو

مصادر

يقول: "واعلم أنك لا تجد في كلامهم اسماً يغلب على واحد من أمته، وفيه لام التعريف لازمة له، إلا وهو مشتق أو مشتق منه، صفة كان أو مصدراً. فالصفة نحو: الحارث والعباس والحسن والمظفر. ألا ترى أن أصل هذا أن تقول: مررت برجل حارث، ونظرت إلى آخر عباس، وجاءني الحارث. والمصدر نحو: الفضل والعلاء، وإنما دخلتهما اللام لأنك قدزتهما قبل على قول من قال: مررت برجل فضل، وكلمني رجل علاء، كما يقال: ماء غور، ورجل عدل، ثم صار التقدير: مررت بالرجل الفضل والعلاء، ثم نقلته إلى العلم وفيه اللام"⁵²⁵.

وله في المحتسب حين وقف عند قراءة سعيد بن جبير شذوذاً "ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس"⁵²⁶ (البقرة 199/2)، كلام جد مهم على هذه اللام. ولأهميته أنقله دون تصرف. يقول: "في

⁵²³ ابن جني، الفسر، 604/1.

⁵²⁴ ابن جني، الفسر، 709/1.

⁵²⁵ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 40/2-المؤلف نفسه، المحتسب، 224/2.

⁵²⁶ قراءة حفص عن عاصم: "ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس".

هذه القراءة دلالة على فساد قول من قال: إِنَّ لَامَ التعريفِ إنما تدخلُ الأعلامَ للمدح والتعظيم، وذلك نحو: العباس والمظفر وما جرى مجراهما. ووجهُ الدلالة من ذلك أَنَّ قولَه (الناسي) إنما يعني به آدم - عليه السلام -، فصارت صفةً غالبيةً كالنابغة والصَّعِق، وكذلك الحارثُ والعباسُ والحسنُ والحسين. هي - وإن كانت أعلاماً - فإنها تجري مجرى الصفات؛ ولذلك قال الخليل: إنهم جعلوه الشيءَ بعينه، أي: الذي حرثَ والذي عبَسَ، فمحمولُ هذا أن في هذه الأسماء الأعلام التي أصلها الصفاتُ معاني الأفعال؛ ولذلك لحقتها لَامُ المعرفة كما تُعرَّفُ الصفاتُ. وإذا كان فيها معاني الأفعال وكانت الأفعال كما تكون مدحاً، فكذلك ما تكون ذمّاً، فهي تحقّق في العَلَمِ معنى الصفة، مدحاً كانت الصفة أو ذمّاً⁵²⁷.

ويبدو أنه لا يقصّر دخول هذه اللام على المشتقات الصريحة، بل قد تدخل على اسم جامد لتضمينه معنى المشتق. "ومنه قولهم: فلان بن الثعلب. فدخلته اللام - وهو علم - لما فيه من معنى الخبِّ والخُبث"⁵²⁸.

وفي (المبهج) وقف يبين اشتقاق اسم الحماسي (أبو الغول الطهوي) فقال: "دخول اللام في الغول هنا - وهو علم - كدخولها في أبي العباس وأبي القاسم. وهذه اللام في الأعلام إنما بابها الصفات... والغول في الحقيقة ليست صفة؛ لكنها لما كانت إلى النكر والدعارة دخلت طريق الوصف في هذا الوجه..... كما إن الفند دخله اللام لما فيه من معنى الصفة. ألا تراه مُشَبَّهاً بالفند من الجبل، فكأنه الضخم أو العظيم"⁵²⁹.

⁵²⁷ ابن جني، المحتسب، 1/119.

⁵²⁸ ابن جني، المحتسب، 1/119.

⁵²⁹ ابن جني، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، تح: حسن هنداي، ط1، (دمشق، دار القلم، 1987). 41.

وأحياناً يكونُ الوصفُ مأخوذاً من بنية الكلمة. ففي الكتاب نفسه (المُبْهَج) وقف عند اسم الشاعر (توبة بن الحُمَيْر) فقال: "دخولُ اللامِ على الحُمَيْرِ أمثلُ منه في دخولِهِ على الثعلب؛ وذلك أن التحقيرَ ضربٌ من الوصفِ يَلْحَقُ الكلمةَ..... فإذا ثَبَّتْ أَنَّ التحقيرَ ضربٌ من الوصفِ في المعنى كان لحاقُ اللامِ في (الحُمَيْرِ) نحواً من لحاقها في (الصَّغِيرِ)، فتكونُ اللامُ فيه مع تعريفه مثلاً في (الوَلِيد) ونحوه. وليس كذلك في (الثعلب)؛ لأنه لا تحقيرَ فيه فيضارعُ به الصفة، وإنما بابُ لحاقِ اللامِ في العلمِ الوصفِ. نحو: الحارِثِ والعبّاس⁵³⁰."

ويدخلُ في هذا البابِ اللامُ في كلمة (الاثنتين). يقولُ عن هذه اللام: "فليست بزائدة، وإن لم يكن الاثنان صفةً. قال أبو العباس: وإنما جازَ دخولُ اللامِ عليه لأنَّ فيه تقديرَ الوصفِ. ألا ترى أن معناه: اليومُ الثاني. وكذلك أيضاً اللامُ في الأحدِ والثلاثاءِ والأربعاءِ ونحوها؛ لأنَّ تقديرها: الواحدُ والثالثُ والرابعُ والخامسُ والجامعُ والسابتُ، والسَّبْتُ: القطعُ"⁵³¹.

4. 1. 1 - 6 - الاسميّة الموصولة

يقولُ في (اللُّمع) من باب (الموصول والصلة): "الكَلِمُ الموصولةُ على ضربين: اسمٌ وحرفٌ. فالأسماءُ الموصولة: الذي والتي وأي، والألف واللامُ في معنى الذي والتي"⁵³². وهذه لها دُخولاتٌ:

⁵³⁰ابن جني، المُبْهَج، 174.

⁵³¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 43/2.

⁵³²ابن جني، اللُّمع، 124.

4. 1. 1. 6-1 على الأسماء المشتقة

كما في قولنا: عجبْتُ من الجالسةِ أختُ، أي: من الذي جلست أخته. قال الله - سبحانه: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا" (النساء 75/4)، أي: التي ظلم أهلها⁵³³.

وقال المتنبي:

دار المَلَمِّ بها طَيْفٌ تَهْدَدُنِي ليلاً فما صدقت عيني ولا كذبا

"الألف واللام في (المَلَمِّ) بمعنى (التي). كأنه قال: هذا الربع الذي هو دارُ المرأةِ التي أَلَمَ بها طَيْفٌ"⁵³⁴.

4. 1. 1. 6-2 على الجملة الفعلية

ذَكَرَ أَنَّ "الامَ المعرفة قد أُدْخِلَتْ في بعض المواضع على الفعل المضارع لمضارعة اللام (الذي)"⁵³⁵، ومن شواهد قول الشاعر:

فَيُسْتَخْرَجُ الْيَرْبُوعُ مِنْ نَافِقَائِهِ وَمِنْ بَيْتِهِ ذِي الشَّيْحَةِ الْيُتَقَصَّعُ

أي: الذي يُتَقَصَّعُ فيه.

يقولُ الخنا وأبغضُ العُجْمِ ناطقاً إلى رَبِّنا صوتُ الحِمَارِ يُجَدَّعُ

أي: الذي يُجَدَّعُ.

⁵³³ابن جني، اللُّمع، 125. وكان الأجدرُّ به أن يجعلَ التقدير: الذي تجلسُ أخته، والتي يظلمُ أهلُها؛ لأنَّ المقرَّرَ أنَّ اسمَ الفاعلِ لا يعملُ عملَ فعلِهِ إلا إذا كان بمعنى المضارع، اللهمَّ إلا إذا كان أبو الفتح قد أخذ بمذهب بعض الكوفيين الذين يرون جوازَ دلالتِهِ على الماضي أحياناً.

⁵³⁴ابن جني، الفُسر، 369/1.

⁵³⁵ابن جني، سر صناعة الإعراب، 46/2.

4. 1. 1. 6. 3- على الجملة الاسمية

إذ يرى أنهم قاسوا الاسمية على الفعلية، فأدخلوا هذه اللام عليها، فقد "حكى الفراء أن رجلاً أقبل فقال آخر: ها هو ذا، فقال السامع: نعم الها هو ذا. فأدخل اللام على الجملة المركبة من المبتدأ والخبر تشبيهاً لها بالجملة المركبة من الفعل والفاعل"⁵³⁶.

وإذا أردنا التفصيل نقول: يمكن أن تكون في النوعين الأول والثاني اسمية كما ذكر؛ لكن الأولى في النوع الأول أن تسمى (حرفية موصولة)، وتبعد اسميتها - بحسب الباحث - لأمرين:

أولهما: أنها لو كانت اسماً لاحتاجت إلى إعراب. ففي قول الشاعر:

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقاً إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

قالوا: أل: في محل جر، صفة لـ(الحمار)، ولم يقل أحد إن (أل) في (الظالم) من قوله تعالى: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا" (النساء 75/4)، في محل جر صفة لـ(القرية). وهذا واضح؛ إذ ليس في العربية اسم لا يحتاج إلى إعراب.

ثانيهما: أنها لو كانت اسماً لما أمكن تقديم جزء من صلتها عليها. كما وقع في قوله تعالى: "وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" (يوسف 20/12). فالمعنى: من الذين يزهدون؛ لكن الصناعة النحوية تأبى أن تكون (أل) اسماً؛ لأنها لو كانت كذلك لما أمكن تعليق (فيه) باسم الفاعل (الزاهدين)، فكون (أل) هنا حرفاً موصولاً أهون من كونها اسماً موصولاً؛ لضعف الحرف عن أن يحجز بين الموصول وصلته، وقوة الاسم على ذلك.

4. 1. 1. 7- الزائدة

536 ابن جني، سر صناعة الإعراب، 47/2.

وزيادتها عنده أنواع:

4. 1. 1. 7. 1- الزيادة اللازمة

وهذه لها عدّة مواضع. منها كلمة (الآن)؛ فاللام فيها "ليست للتعريف، بل هي زائدة كما يُزادُ غيرها من الحروف"⁵³⁷، وكذلك الداخلة على بعض الأسماء الموصولة كالذي والتي والذين واللواتي.... فاللام هنا زائدة "إلا أنها زيادة لازمة"⁵³⁸.

ويعلّل زيادة العرب اللام في أمثال (الذي والتي) تعليلاً طريفاً، فيرى أن الاسم الموصول كالذي والتي: "إنما وقع في الكلام تَوْصُلاً إلى وصف المُعرّف بالجُمْل؛ وذلك أنَّ الجملَ نكراتٌ. ألا تراها تجري أوصافاً على النكراتِ في نحو قولك: (مررتُ برجلٍ أبوه كريمٌ).... فلما أريد مثلُ هذا في المعرفة لم يُمكن أن تقول: (مررتُ بزيدٍ أبوه كريمٌ) على أن تكونَ الجملةُ وصفاً لزيد..... فإذا كان الوصفُ جملةً نحو: مررتُ برجلٍ أبوه كريمٌ، لم يُمكن إذا أرادوا وصفَ المعرفة بنحو ذلك أن يُدخلوا اللامَ على الجملة؛ لأنَّ اللامَ من خواصِّ الأسماء، فجاءوا بـ(الذي) متوصّلين به إلى وصف المعارفِ بالجُمْل..... فألزموا اللامَ هذا الموضعَ لما أرادوا التعريفَ للوصف؛ ليُعْلَموا أن الجملةَ الآن قد صارت وصفاً لمعرفةٍ، فجاءوا بالحرف الذي وُضِعَ للتعريف - وهو اللام-، فأولّوه (الذي) ليتحصّل لهم بذلك لفظُ التعريفِ الذي قَصَدوه، ويطابق المعنى الذي حاولوه"⁵³⁹.

ومن هذا زيادتها في بعض الأعلام غير المُحتاجة إلى التعريف، مثل (اللات والعزى)، فهما "عَلَمَانِ بمنزلة يَغوثَ ويعوقَ ونسِرٍ ومناة، وغير ذلك من أسماء الأصنام، فهذه كلّها أعلامٌ وغيرُ محتاجةٍ في تعريفها إلى اللام، وليست من باب الحارثِ والعبّاسِ من الأوصاف التي نُقِلَتْ

⁵³⁷ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/32 - المؤلف نفسه، الخصائص، 1/389.

⁵³⁸ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/34.

⁵³⁹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/34.

فَجُعِلَتْ أَعْلَامًا، وَأُقِرَّتْ فِيهَا لَامُ التَّعْرِيفِ عَلَى ضَرْبٍ مِنْ تَوْهُمِ رَوَائِحِ الصِّفَةِ فِيهَا، فَتَحَمَلَ عَلَى ذَلِكَ، فَوَجِبَ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ فِيهَا زَائِدَةً، وَيُؤَكِّدُ زِيَادَتَهَا فِيهَا أَيْضًا لَزُومُهَا إِيَّاهَا كَلْزُومِ لَامِ الْآنَ وَالَّذِي وَبَّاهُ⁵⁴⁰.

4. 1. 1. 2- الزائدة للضرورة

وَحَدُّهَا أَنْ تَدْخَلَ عَلَى أَعْلَامٍ لَيْسَ فِيهَا أَلٌ بِغَيْرِ بَابِ الشَّعْرِ. كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُوًّا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ

نَقَلَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ (أَل) فِي (بَنَاتِ الْأَوْبَرِ) زَائِدَةٌ لِلضَّرُورَةِ⁵⁴¹. وَذَكَرَ أَبُو الْفَتْحِ مِنَ الْأَمْثَلَةِ كَذَلِكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

بَاعَدَ أُمُّ الْعَمْرِو مِنْ أَسِيرِهَا حُرَّاسُ أَبْوَابٍ عَلَى قُصُورِهَا

وَقَوْلَ الشَّاعِرِ:

يَا لَيْتَ أُمُّ الْعَمْرِو كَانَتْ صَاحِبِي مَكَانَ مَنْ أَنْشَى عَلَى الرِّكَائِبِ

"يُرِيدُ: أُمُّ عَمْرِو"⁵⁴². وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَمَّا وَدِمَاءٍ لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا عَلَى فُتَّةِ الْعُزَّى وَبِالنَّسْرِ عِنْدَمَا

"قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَاللَّامُ فِي النَّسْرِ زَائِدَةٌ، وَهُوَ كَمَا قَالَ؛ لِأَنَّهُ نَسْرًا بِمَنْزِلَةِ عَمْرِو"⁵⁴³.

⁵⁴⁰ابن جني، سر صناعة الإعراب، 39/2.

⁵⁴¹ابن جني، سر صناعة الإعراب، 45/2.

⁵⁴²ابن جني، سر صناعة الإعراب، 45/2.

وشبّه (نسرًا) بـ(عمرو) من حيث إنه - حال كونه علماً- لا يحتاج إلى اللام في غير الشعر. قال تعالى: "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" (نوح 23/71)، فيلاحظ أن الشاعر جمع في البيت نوعين من زيادة اللام في الأعلام: الزيادة اللازمة في (العزى)، وزيادة الضرورة في (النسر).

ومنه قول الشاعر:

يقول المُجْتَلُونَ عَرُوسَ تَيْمٍ شَوَى أُمِّ الْحُبَيْنِ وَرَأْسِ فَيْلٍ

"يريد: أم حُبَيْن، وهي معرفة، واللام فيها زائدة"⁵⁴⁴.

4. 1. 1. 3- الزائدة للتعويض

لم يذكر مصطلح (التعويض) هنا صراحةً، لكنه يُفهم عند حديثه عن اللام في (الأمس) من قول زهير:

وإني وقفتُ اليومَ والأمسِ قبلَه
ببَابِكَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ

فقال: "وإنما تُعرَّف (الأمس) بلام أخرى مُرادَةٍ غيرِ هذه مقدَّرة، وهذه الظاهرة مُلقاة زائدةً للتوكيد"⁵⁴⁵.

⁵⁴³ابن جني، سر صناعة الإعراب، 40/2.

⁵⁴⁴ابن جني، سر صناعة الإعراب، 46/2.

وَيَجْعَلُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضاً اللّام فِي (الآن)، "فهو مُعَرَّفٌ بلامٍ مقدّرة، وهذه الظاهرة فيه زائدة"⁵⁴⁶.

على أنّ من أنواع زيادتها ما لم يضع له وصفاً ولا حداً على مثال ما سبق. قال: "ومن زيادة اللام ما أخبرني به أبو عليّ أن أبا الحسن حكى عنهم: الخمسة العشر درهماً، فاللام في (العشر) زيادة؛ إلا أنها ليست لازمة لزومها في (الآن) و(الذي) ونحو ذلك"⁵⁴⁷.

4. 2-أو

4. 2. 1-المعاني

4. 2. 1. 1-عاطفة لأحد الشيئين

يقول: "إنما أصل وضعها أن تكون لأحد الشيئين أين كانت وكيف تصرّفت، فهي عندنا على ذلك، وإن كان بعضهم قد خفي عليه هذا من حالها في بعض الأحوال، حتى دعاه إلى نقلها عن أصل بابها"⁵⁴⁸.

وواضح أنّ أبا الفتح يشدّد على أمرين: أنّ معناها الأصلي (وجوب أحد الشيئين)، وأنها لا تخرج عن هذا المعنى البتّة.

⁵⁴⁵ابن جني، الخصائص، 3/58.

⁵⁴⁶ابن جني، الخصائص، 3/58.

⁵⁴⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/44.

⁵⁴⁸ابن جني، الخصائص، 2/457.

والرجل خالف الأمرين كما سيّضح؛ إذ جعل معنى الشكّ في مقام آخر هو المعنى الأصل لها، وشتان بين الشكّ ووجوب أحد الشيئين، ثم إنه أقرّ خروجها إلى معنى الواو في بعض الشواهد.

4. 2. 1. 2-الشكّ

جعل هذا المعنى أيضاً أصلاً لوضعها. يقول في (اللّمع) مُعِدِّدًا حُرُوفَ العطف ومعانيها: "ومعنى (أو) الشكّ.."⁵⁴⁹.

وهو المعنى الذي حاول به أن يُخرِج مجموعة من الشواهد خَرَجَتْ فيها (أو) إلى معانٍ أُخَرَ وَفَقَ ما سيأتي.

4. 2. 1. 3-التخيير

تقول: إضرب زيدا أو عمرا. أي: أحدهما⁵⁵⁰. ويتّضح أنه لم يُحسِن اختيار المثال؛ لأن معنى التخيير يقع عندما لا يجوز الجمع بين المتعاطفين، نحو: تزوّج هنداً أو أختها، وقوله تعالى: "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا" (البقرة 135/2)، والمثال الذي ذكره يجوز فيه الجمع بين المتعاطفين؛ اللهم إلا إن اقترن مثاله هذا بقرينة لفظية أو حالية تدلّ على عدم جواز ضربهما معاً.

4. 2. 1. 4-الإباحة

⁵⁴⁹ابن جني، اللّمع، 70.

⁵⁵⁰ابن جني، اللّمع، 70.

تقول: جالس الحسن أو ابن سيرين. أي: قد أبحثك مجالسة هذا الضرب من الناس. ومنه: كل سمكاً أو تمرّاً. أي: أنت مُحَيَّر بين ذينك⁵⁵¹. وفرق ما بين التخيير والإباحة عدم إمكانية الجمع بين المتعاطفين في الأول، وإمكانية ذلك في الثاني.

4. 2. 1. 5-بمعنى الواو

والمقصودُ خروجُها عن معنى عطف (أحد الشيئين) إلى معنى (التشريك في الحكم). وقد نسب ابنُ جني هذا المعنى فيها إلى (قطرب) الذي أنشد قولَ النابغة:

قالت ألا ليئماً هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد

التقدير: ونصفه. ونراه يُعجَب بهذا الوجه من التقدير قائلاً: "ولعمري إنَّ كذا معناه، وكيف لا يكونُ كذلك وقد كثرت فيه الرواية أيضاً بالواو: ونصفه"⁵⁵².

ومع إعجابه بتقدير (قطرب)، إلا أنه يرى وجهاً يمكنُ معه بقاء (أو) للشك "على أصل وضعها"، وهو أن يكونَ الشاعرُ حذفَ حرفِ العطفِ مع المعطوف عليه، والتقدير: ليئماً هذا الحمام لنا أو هو ونصفه. ومثلُ ذلك قول الشاعر:

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالث إلى ذا كما ما غيبتني غيابيا

"أي: شهرين أو شهرين ونصف ثالث"⁵⁵³.

ويتضحُ التكلفُ في تخريج البيتين، ويعترفُ هو بهذا التأوّل والتكلفِ محافظةً منه على إبقاء أو "على أولِ أحوالها"، أي على معناها الأصلي (الشك).

⁵⁵¹ابن جني، الأمع، 71.

⁵⁵²ابن جني، الخصائص، 460/2.

⁵⁵³ابن جني، الخصائص، 460/2.

وكذلك ينفي مجيئها بمعنى الواو في قول الشاعر:

حتى خضبتُ بما تحدَّرَ من دمي أكنافَ سَرجي أو عنانَ لِجامي

فيقول: "أو ها هنا على معناها وموضعها من إيجابها أحدَ الشيئين، وليست بمعنى الواو كما يدَّعي قوم⁵⁵⁴".

ويُقرُّ بأن تُستخدم (أو) بمعنى الواو لسببين:

الأول: سبب معنوي:

ويظهرُ هذا السببُ في بعض الأمثلة والشواهد التي يجوزُ فيها معنى التشريك في الحكم بقرينة واضحة. ويكونُ في الأمر والنهي.

أما الأمرُ ففي قولهم: جالسِ الحسنُ أو ابنُ سيرينَ، "ولو جالسهما جميعاً لكان مُصيباً مُطيعاً لا مُخالفاً.....؛ وذلك لأنه قد عَرَفَ أنه إنما رُغِبَ في مجالسة الحسنِ لما لمُجالسه في ذلك من الحظِّ، وهذه الحالُ موجودةٌ في مُجالسة ابنِ سيرينَ أيضاً، وكأنه قال: جالسِ هذا الضربِ من الناس⁵⁵⁵".

وأما النهيُ ففي قوله تعالى: "وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا" (الإنسان 24/76)، فليس النهيُ مُنصَبّاً على أحدهما بل على كليهما، وكأنه -والله أعلم- قال: لا تُطِعْ هذا الضربَ مِنَ الناسِ. ثم إنه لما رأى (أو) في هذا الموضع قد جرت مَجْرى الواوِ تدرّج من ذلك إلى غيره....⁵⁵⁶. وواضحُ هنا أنه اضطربَ بين جعلها للإباحة وجعلها بمعنى الواو.

الثاني: سبب صناعي:

⁵⁵⁴ابن جني، التنبيه، 62.

⁵⁵⁵ابن جني، الخصائص، 348/1.

⁵⁵⁶ابن جني، الخصائص، 348/1.

علامته أن تَرَدَ (أو) بعد ألفاظٍ لا يليقُ معها إلا الواو. مثل كلمتي (سَيَّان) و(سواء). كما في قول الشاعر:

وكان سَيَّانٍ ألا يُسرحوا نَعْمًا أو يُسرحوه بها واغْبَرَّتِ السُّوْحُ

التقدير: "فكان سَيَّانٍ ألا يسرحوا نَعْمًا وأن يسرحوه بها"⁵⁵⁷، وعليه قول الآخر:

فسيَّانٍ حربٌ أو تبوءوا بمثله وقد يقبل الضيم الذليلُ المُسَيَّرُ

أي: "فسيَّانٍ حربٌ وبواؤكم بمثله"⁵⁵⁸.

جليّ أنه اضطرب في قضية مجيء أو بمعنى الواو، ففي بعض الشواهد اضطُرَّ إلى التأويل وتكلّف في التقدير حتى يُبقيها على معناها الأصلي، وفي شواهد أخرى يُقرُّ بهذا المعنى ولا يجدُ مندوحةً عنه.

4. 2. 1. 6-بمعنى (بل)

ذكرها عندما وقفَ يوجّه قِراءة ابنِ مجاهد شذوذاً: "أو كلما عاهدوا"⁵⁵⁹(البقرة 100/2). يقول: "معناها معنى (بل) للترك والتحوّل. بمنزلة (أم) المنقطعة.... حتى كأنه قال: وما يكفرُ بها إلا الفاسقون بل كلما عاهدوا عهداً نبذه فريقٌ منهم. يؤكد ذلك قوله تعالى: "بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 100/2)⁵⁶⁰.

ويرى صاحبنا أن (أو) بمعنى (بل) "موجودة في الكلام كثيراً. يقول الرجلُ لمن يتهدّدُه: والله لأفعلنَّ

⁵⁵⁷ابن جني، الخصائص، 348/1.

⁵⁵⁸ابن جني، الخصائص، 348/1.

⁵⁵⁹قراءة حفص عن عاصم: "أَوَكَلَّمَا عَهْدُوا عَهْدًا".

⁵⁶⁰ابن جني، المُحتسب، 99/1.

بك كذا، فيقول: أو يُحسِنُ اللهُ رأيكَ، أو يغيِّرُ اللهُ ما في نفسك. معناه: بل يحسِنُ اللهُ رأيكَ، بل يغيِّرُ اللهُ ما في نفسك⁵⁶¹، وقد نسبَ هذا المعنى فيها إلى الفراء، الذي وقف عند بيت ذي الرُّمَّة:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصَوْرَتَهَا أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ

وقال: معناه: بل أنتِ في العين أملح. لكنَّ أبا الفتح يرى أنها في موضعها وعلى بابها من الشكِّ، وأنها "إذا كانت هنا على بابها كانت أحسنَ معنًى وأعلى مذهباً... ألا ترى أنه لو أرادَ بها معنى بل... لم يفِ بمعنى (أو) في الشكِّ؛ لأنه إذا قَطَعَ بيقينِ أنها في العين أملحُ كان في ذلك سَرَفٌ منه... وإذا أخرجَ الكلامَ مَخْرَجَ الشكِّ كان في صورة المُقتصدِ غيرِ المُتحمِّلِ ولا المتعجرفِ، فكان أعذبَ للفظه وأقربَ إلى تقبُّلِ قوله"⁵⁶².

ويرى الرأيَ نفسه في قوله تعالى: "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" (الصافات 147/37)، فليس المعنى (بل يزيدون) كما رأى الفراء⁵⁶³، أو (ويزيدون) كما رأى قطرب، لكنها "على بابها في كونها شكًّا؛ وذلك أنَّ هذا كلامَ خَرَجَ مَخْرَجَ حكايةٍ من الله - عز وجل - لقول المخلوقين. وتأويله عند أهل النظر: وأرسلناه إلى جمعٍ لو رأيتُمُوهم لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مئة ألفٍ أو يزيدون"⁵⁶⁴.

4. 2. 1- للاستثناء (بمعنى إلا)

وهو أخذُ المعاني التي تكون (أو) عليها حينما تُضمَرُ أن بعدها. وقد بيَّنَ هذا المعنى عند وقوفه على بيت لبيد:

تَرَاكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النُّفُوسِ حِمَامُها

⁵⁶¹ابن جني، المُحتسب، 99/1.

⁵⁶²ابن جني، الخصائص، 2/ 458 -المؤلف نفسه، المُحتسب، 99/1.

⁵⁶³الفراء، معاني القرآن، 2/393.

⁵⁶⁴ابن جني، الخصائص، 2/461.

ففي قوله (أو يرتبط) قولان، أحدهما أن يكون "معناه: إلا أن يرتبط فأسكن المفتوح...."⁵⁶⁵، وجاءت كذلك في قول الشاعر:

فلئن بقيت لأرحلنَّ بغزوةٍ تحوي الغنائم أو يموت كريمُ
"يروى: (يموت) بالرفع والنصب، فالنصب على الجواب، كقوله:
..... أو نموت فنُعْذِرًا⁵⁶⁶
أي: إلا أن يموت كريم"⁵⁶⁷.

4. 3-على

4. 3. 1-معانيها

4. 3. 1-الاستعلاء:

المعنى الأصلي فيها كما ذكر في (الخصائص) هو الاستعلاء⁵⁶⁸. ويقول في موضع آخر: "وعلى أننا من بعد قد وجدنا في بعض الحروف ضرباً من معنى الاشتقاق، ألا تراهم قالوا في (على) إنها من معنى الاستعلاء"⁵⁶⁹.

⁵⁶⁵ابن جني، المحتسب، 1/111.

⁵⁶⁶ في النسخة المتعمدة ورد: (أو نموت فنُعْذِرًا)، والصواب ما أثبت.

⁵⁶⁷ابن جني، التنبيه، 186.

⁵⁶⁸ابن جني، الخصائص، 2/271.

وهو يجعل الاستعلاء نوعين:

-استعلاء مادي حقيقي: من أمثله: زيدٌ على الدار، وركبتُ على الدابة.

- واستعلاء مجازي: إذ قال إنَّ (على) تُستعمل مع الأفعال الشاقة المستقلة. ذكر ذلك⁵⁷⁰

عند تعليقه على قوله تعالى: "فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ"(النحل 26/16)، فيقول: "قد يكونُ قوله: (من فوقهم) مفيداً؛ وذلك أن (على) "قد يُستعملُ في الأفعال الشاقة المستقلة، على قول من يقول: قد سِرنا عشراً وبقيت علينا ليلتان، وقد حفظتُ القرآنَ وبقيت عليّ منه سورتان، وقد صُمنا عشرين من الشهر وبقينا عشرين، وكذلك يقال في الاعتداد على الإنسان بذنوبه وقبيح أفعاله: قد أخرج عليّ ضيعتي، وموتَ عليّ عواملي، وأبطلَ عليّ انتفاعي. فعلى هذا لو قيل: (فخرَ عليهم السقفُ)، ولم يقل (من فوقهم) لجازَ أن يُظنَّ به أنه كقولك: قد خربتُ عليهم دارهم، وقد أهلكْتُ عليهم مواشيهم وغلاتهم، وقد تَلَقَّتُ عليهم تجارتهم. فإذا قال (من فوقهم) زال ذلك المعنى المحتمل، وصار معناه أنه سقط وهو من تحته. فهذا معنى غير الأول".

ويُفهَّم من حديثه أنَّ قوله (من فوقهم) دفع عن (على) معناها المجازي، وأقرَّ معنى الاستعلاء الحقيقي الذي تأكَّد بذكر الفوقية بعدُ.

ويتابع في الموضع نفسه "وإنما اطردت (على) في الأفعال التي قدَّمنا ذِكْرَها من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء، فلما كانت هذه الأحوال كُلفاً ومشاقَّ تخفيض الإنسان وتضعفه، وتعلوه وترفعه حتى يخضع لها ويخنع لما يتسدها منها؛ كان ذلك من مواضع (على). ألا تراهم يقولون: هذا لك، وهذا عليك؟، فتستعملُ اللام فيما تؤثره، و(على) فيما تكرهه. قالت:

سأحملُ نفسي على آلةٍ فأما عليها وأما لها

569 ابن جني، الخاطريات، 116. وفي مته: (أنها)، والصواب بكسر الهمزة.

570 ابن جني، الخصائص، 271/2.

وقال ابن حِلِزَة:

فله هنالك لا عليه إذا دنعث أنوفُ القوم للتعس

فمن هنا دخلت (على) هذه في هذه الأفعال التي معناها إلى الإخضاع والإذلال.

ومن معنى الاستعلاء المجازي غير ذلك. فقد ذكر معنى (على) في قوله تعالى: "قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ" (الحجر 41/15) -وَفَقَ ما رآه أبو الحسن الأخفش- "هو كقولك: الدلالة اليوم عليّ. أي: هذا صراطٌ في ذمتي وتحت ضمانِي، كقولك: صحّة هذا المال عليّ، وتوفية عُدّته عليّ. وليس معناه عنده أنه مستقيمٌ عليك قولنا: قد استقام عليّ الطريق، واستقرّ عليّ كذا. وما أحسن ما ذهب إليه أبو الحسن"⁵⁷¹.

4. 3. 1. 2-المعينة (بمعنى مع)

جاء ذلك في شرحه قول الشاعر:

رُويَدَ بني شيبانَ بعضَ وعيدكم تلاقوا غداً خيلي على سفوان

تلاقوهم فتعرّفوا كيف صبرهم على ما جنت منهم يدُ الحدثان

إذ يُجيزُ في (على ما جنت.. وجهين:

الأول: أن تكونَ على بابها للاستعلاء المجازي، كقولك: عجبت من صبرك على الضرب.

والآخر: أن تكونَ (على) هنا بمنزلة (مع)، كقول الأعشى:

وأصفدني على الزمانة قائداً

571 ابن جني، المُحتسب، 3/2.

ف(عليه) في موضع (عنه). أراد: دام كشفنا عنه. كقوله تعالى: "فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ" (ق 22/50). وقد قال النابغة:

إِذَا رَضِيْتُ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا
يريد: عني.

وبعد ذكر هذه الشواهد قال: "وقد اتسعت العرب في إقامة بعض حروف الجرّ مقام بعضٍ. واستقصاء هذا يطول جداً"⁵⁷⁶.

4. 3. 2-زيادتها

ذكر أنها زيدت للتعويض في قول الشاعر:

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلُ إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَّكِلُ

"أراد: من يتكل عليه، فحذف (عليه) من آخر الكلام استغناءً عنها بزيادتها في قوله: على من يتكل. وإنما يريد: إن لم يجد يوماً من يتكل عليه"⁵⁷⁷.

وهو لم يذكر معنى التعويض صراحة في هذا الشاهد؛ لكنه شبه الزيادة هنا بزيادة (عن) في قول الشاعر:

أَتَدْفَعُ عَنْ نَفْسٍ أَتَاهَا حِمَامُهَا فَهَلَا الَّتِي عَنْ بَيْنِ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ؟

4. 3. 3-حذفها

حُذِفَتْ عنده في قول الشاعر:

وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذِبْتُ وَلَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

⁵⁷⁶ابن جني، *الفسر*، 2/443.

⁵⁷⁷ابن جني، *المحتسب*، 1/281.

أي: "ولم أبخل عليه؛ لأنه لا بدّ من إرادة حرف الجر هنا؛ لأن المعنى عليه"⁵⁷⁸.

وقد تُحذفُ لذكرها سابقاً كما في قولنا: على من تنزل أنزل. فالأصل: على من تنزل أنزل عليه، وحُذِفَتْ لتقدّم ذكرها⁵⁷⁹.

4-4 في

4.4.1-المعاني

4.4.1.1-الظرفية

وهو المعنى الأساسي فيها؛ ولذلك سمّاها "حرف الظرف"⁵⁸⁰ أو "الوعاء" في مثل قولنا: زيدٌ في الدار، والمالُ في الكيس⁵⁸¹.

4.4.1.2-بمعنى (على) للاستعلاء

ذكر هذا المعنى حين علّق على قول المتنبي يهجو كافوراً:

فلا تُرَجِّ الخير عند امرئٍ مرّت يدُ النَّحَّاسِ في رأسه

فقوله: في رأسه بمعنى: (على رأسه)، ويذكر في هذا المقام قوله تعالى: "وَلَأَصْلَبَنَّهُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ" (طه 71/20)، أي: عليها، وكقولهم: فلان في الجبل أي: عليه⁵⁸².

4.4.1.3-التجريدية

⁵⁷⁸ابن جني، التنبيه، 220.

⁵⁷⁹ابن جني، الخصائص، 285/1.

⁵⁸⁰ابن جني، التنبيه، 162.

⁵⁸¹ابن جني، اللّمع، 156.

⁵⁸²ابن جني، الفسر، 274/2.

سبق الحديث عن التجريد عند الحديث عن (الباء)، وأن التجريد منه ما يكون بغير حروف التجريد، ومنه ما يكون بها. وحروف التجريد هي: الباء التي سبق الكلام عليها، و(من) التي سيأتي نكرها، و(في).

قال تعالى: "لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْآخِلَةِ" (فصلت 28/41). فيها: أي في جهنم، "وهي نفسها (دار الخلد)"⁵⁸³، فكأنه جرّد من جهنم داراً أخرى غيرها.

وقال الشاعر:

أفادت بنو مروان ظلماً دماءنا وفي الله إن لم يحكموا حكّم عدل
فالله هو الحكم العدل. يقول ابن جني: "وهذا غاية البيان والكشف؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن يُعتدّ أن الله - سبحانه - ظرفٌ لشيءٍ ولا متضمّنٌ له"⁵⁸⁴.

4. 4. 1-4- بمعني (مع)

هو يذكر مجيء (في) بمعني (مع) في المواضع التي تأتي فيها الباء بهذا المعنى. وهذا كقولنا: سار الأمير في غلمانته، أي: وغلمانته معه، وكذلك قول الهذلي:

يعثرن في حدّ الطُّبَاتِ كأنما كسيت بروء بني تزيّد الأذرعُ

"أي: يعثرن كإبياتٍ في حدّ الطُّبَاتِ، أو مجروحاتٍ في حدّ الطُّبَاتِ"⁵⁸⁵، وبتقدير آخر: "يعثرن وهنّ في حدّ الطُّبَاتِ"⁵⁸⁶. وإنما ذكرنا التقديرين معاً لأمرٍ ذي أهمية، وهو أن تقدير الحال المحذوفة ليس واحداً فيهما؛ ففي التقدير الأول الكون خاص، وفي الثاني الكون عام.

⁵⁸³ابن جني، الخصائص، 474/2.

⁵⁸⁴ابن جني، الخصائص، 475/2.

⁵⁸⁵ابن جني، المحتسب، 88/2.

ومن مجيء (في) بمعنى (مع) قوله تعالى: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ" (القصص 79/28) "أي: وزينته عليه"⁵⁸⁷.

4. 4. 1-5- بمعنى الباء

قد تأتي (في) بمعنى الباء مثلما وردت الباء من قبلُ بمعناها. جاء ذلك في قول الشاعر:

فخرجتُ أَعَثُّ في فضول ذلّالي لولا الحياءُ أطرْتُها إحضارا

"ففي هنا بمنزلة الباء"⁵⁸⁸، والتقدير: أَعَثُّ بفضول ذلّالي، وهذا يعني أن "في" هنا جاءت للاستعانة.

4. 4. 2- حذف (في) اختصاراً

ذكره في قول الشاعر:

فإن أنتَ لم تقدِرْ على أن تُهيئَهُ فدَعُهُ إلى اليومِ الذي أنتَ قادِرُهُ

"أراد: قادرٌ فيه، فحذف حرفَ الجر، وشبّهه بالمفعول..... وهذا ممّا يؤكد قولَ أبي الحسن في قول الله تعالى: "وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا" (البقرة 48/2)، وأنه أراد: تجزي فيه"⁵⁸⁹.

وجاء حذفها كذلك في قول الشاعر:

ألا ربَّ يومٍ لو رمتني رميُّها ولكنَّ عهدي بالنضالِ قديمٌ

⁵⁸⁶ابن جني، المُحتسب، 283/2.

⁵⁸⁷ابن جني، المُحتسب، 283/2.

⁵⁸⁸ابن جني، التتبيه، 35.

⁵⁸⁹ابن جني، التتبيه، 197.

"أي: لو رمتني فيه"⁵⁹⁰.

ونذكر حذفها في شرحه قول المتنبي:

فَقَدْ مَلَّ صَوُّ الصُّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاجِمُهُ

"أراد: تُغَيِّرُ فيه، فحذف حرفَ الظرف، وأوصل الفعل بنفسه اختصاراً، كما قال الآخر:

قد صبحت صبحها السلام بكبدٍ خالطَها سَنَامٌ

فيساعةٍ يُحَبُّها الطعامُ

أي: يُحَبُّ فيها. قال الآخر:

ويوماً شهدناه سُلَيْماً وعامراً قليلاً سوى الطعنِ النَّهالِ نوافِلُهُ

أي: شهدنا فيه.

وحكى أبو العباس أنَّ العربَ تقولُ: أقمت ثلاثاً ما أدوقهنَّ طعاماً. أي: ما أدوق فيهنَّ"⁵⁹¹.

وحُذفت كذلك في قول الشاعر:

والله ما يدري امرؤ ذو جناية ولا جار بيت أيُّ يوميك أجود؟

أيومٍ إذا أَلْفَيْتَهُ ذا يسارةٍ فأعطيتَه عفواً منك أو يوم تجهُدُ؟

يقول: "وأراد: أُلْفَيْتَ فيه، فحذف حرفَ الجرِّ"⁵⁹².

4. 5- لا

⁵⁹⁰ابن جني، التنبيه، 317.

⁵⁹¹ابن جني، التفسير، 338/3.

⁵⁹²ابن جني، التنبيه، 424.

4. 5. 1- الأنواع⁵⁹³

4. 5. 1. 1- النافية للجنس

أفرد لها في (اللُّمع) باباً سَمَّاه (باب لا في النفي)⁵⁹⁴. قال في مَطْلَعِه: "اعْلَمْ أَنَّ (لا) تنصبُ النكرةَ بغير تنوينٍ ما دامت تليها".

وهو لم يتطَرَّق إلى ما عُهد عند النحاة من ذكر شروط إعمالها في بابها، لكنه أَلَمَحَ في بعض المواضع إلى أهمِّ شرطين لعملها.

الأول منهما ذكره في المقبوس السابق، وأكَّده بعد أسطرٍ وهو: ألا يفصلَ بينها وبين اسمِها فاصل، "فإن فصلتَ بينهما بطلَ عملُها. تقول: لا لك غلامٌ، ولا عندك جارية"⁵⁹⁵.

وفي كتاب آخر يذكر أنَّها تختصُّ بالنُّكراتِ⁵⁹⁶، فلا يمكنُ أن يكون أحدُ معموليها معرفةً. ثم إنه يبيِّنُ الغايةَ من استخدامها وهي "نفيٌ للجنسِ أجمع"⁵⁹⁷، و"لا تدخلُ إلا نفيًا عامًّا"⁵⁹⁸، فهي عنده نقيضةٌ إنَّ⁵⁹⁹، فتلك لتأكيدِ الجملةِ الاسميةِ وهذه لنفيها. فكأنه يلمحُ إلى أنَّ عملَها من باب الحملِ على النقيض الذي تكلم عليه في مقاماتٍ كثيرة.

4. 5. 1. 1- إعراب اسمها وخبرها

⁵⁹³لم أذكر النافية والناحية لشيوعهما وشيوع أمثلتهما من جهة، ولأنه لم يتحدث عنهما في سياق التقعيد والتنظير من جهة أخرى.

⁵⁹⁴ابن جني، اللُّمع، 42.

⁵⁹⁵ابن جني، اللُّمع، 42.

⁵⁹⁶ابن جني، الخصائص، 374/2.

⁵⁹⁷ابن جني، التنبيه، 99.

⁵⁹⁸ابن جني، المُحتسب، 2-212.

⁵⁹⁹ابن جني، الخصائص، 374/2.

إذا كان اسمها مفرداً فإنه يُبنى على الفتح. يقول: "وُئِنِّي مَعَهَا"⁶⁰⁰ على الفتح خمسة عَشَرَ. تقول: لا رجلَ في الدار، ولا غلامَ لك، ولا جارية لك"⁶⁰¹. ولذلك وقف على اسمها في قول المتنبي:

وهَبَكَ سَمَحَتْ حَتَّى لَا جَوَادَّ فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لَا رَفِيعَا؟

فقال: "الألف في (رفيعا) ليست عوضاً من التتوين؛ لأن (لا) تتصّبُ النكرة بغير تتوين، وإنما الألف في (رفيعا) لإشباع فتحة العين"⁶⁰².

أما إذا كان شبيهاً بالمضاف فإنه يُعرَبُ وينَوَّن⁶⁰³. أمّا الخبر فإنه يكون حتماً مرفوعاً "كما تَرَفُّعَ خَبَرٍ إِنَّ"⁶⁰⁴.

4. 5. 1. 1-تكرارها مع العطف

إذا عُطِفَتْ وَكُرِّرَتْ جاز في ذلك عنده عدة أوجه⁶⁰⁵:

الوجه الأول: كقولنا: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله، وفي قراءة لقوله تعالى: "لا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ"⁶⁰⁶ (إبراهيم 31/14).

الوجه الثاني: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله. كقول الشاعر:

لا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةً اتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ

⁶⁰⁰ أي: يُبنى الاسم النكرة مع (لا).

⁶⁰¹ ابن جني، اللُّمع، 42.

⁶⁰² ابن جني، الفُسر، 387/2.

⁶⁰³ ابن جني، التتبيه، 106.

⁶⁰⁴ ابن جني، اللُّمع، 43.

⁶⁰⁵ ابن جني، اللُّمع، 42 وما بعدها.

⁶⁰⁶ قراءة حفص عن عاصم: "لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ".

الوجه الثالث: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال الشاعر:

وما هجرتك حتى قلت مُعْلِنَةً لا ناقة لي في هذا ولا جمل

الوجه الرابع: لا حول ولا قوة إلا بالله. كقول الشاعر:

هذا لَعْمُكُمْ الصَّغَارُ بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أب

الوجه الخامس: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال الشاعر:

فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به أبداً مُقِيمٌ

فإن حدث العطف دون تكرارها فالعطف بالتثنية لا غير. قال الشاعر:

فلا أب وابناً مثلاً مروان وابنه إذا هو بالمجد ارتدى وتأزراً⁶⁰⁷

4. 5. 1. 1-3 وصف اسمها

يقول: "فإن وصفت اسم (لا) كانت لك فيه ثلاثة أوجه: النصب بالتثنية. تقول: لا رجل

ظريفاً عندك، وبغير التثنية. تقول: لا رجل ظريف عندك. وبالرفع بالتثنية لا غير. تقول: لا غلام ظريف عندك"⁶⁰⁸.

4. 5. 1. 2-العاملة عمل ليس

علق على قول المتنبي:

وَلَوْ ضَرَبْتُمْ مَنْجَنِيْقِي وَأَصْلُكُمْ قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ

"ورفع أصل" بـ(لا) لأنها في معنى (ليس). قال سعد بن مالك:

⁶⁰⁷ابن جني، اللمع، 43.

⁶⁰⁸ابن جني، اللمع، 43.

مَنْ فَرَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاخُ

أي: ليس عندي براح⁶⁰⁹. فكذلك أراد: ولا أصل لكم، فحذف الخبر⁶¹⁰.

4. 5. 1. 3-بمعنى (لم)

ذكرها بهذا المعنى حين وقوفه على قول المتنبي:

يَطَّانَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَأَحْمَلْنَهُ وَمِنْ قِصْدِ الْمَرَانِ مَا لَا يُقَوِّمُ

"وقوله: لا حملنه، أي: لم يحملنه. قال -عز وجل-: "فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى" (القيامة 31/75)، أي لم يتصدق ولم يصل، وفي الحديث: رأيت من لا أكل ولا شرب أي لم يأكل ولم يشرب. وقال الراجز:

وَأَيُّ أَمْرٍ سَيِّئٍ لَا فَعْلُهُ

أي: لم يفعله. وقال الآخر:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

أي: لم يُلمِّم بالذنوب. وقال الأعشى:

أَيُّ نَارٍ حَرَبٍ لَا أَوْقَدَهَا حَطْبًا جَزَلًا فَأُورَى وَقَدَحٌ⁶¹¹

4. 5. 1. 4-بمعنى (غير)

وردت (لا) بمعنى غير عنده في قول الشاعر:

⁶⁰⁹ابن جني، التمام، 54.

⁶¹⁰ابن جني، التفسير، 209/3.

⁶¹¹ابن جني، التفسير، 355/3.

وأعلمُ أنَّ تسليمًا وتركًا لَّا متقاربين ولا سواء

فقال في البيت: "وفيه إدخالُ لامِ الإثبات⁶¹² مع (لا) النافية، وسببه أنه محمولٌ على معنى غير، فكأنه قال: لَعَيَّرُ متقاربين ولا سواء..... شُبِّهَتْ (لا) بـ(غير) أيضاً في قولهم: جُنْتُ بلا مالٍ أي بغير مالٍ⁶¹³.

4. 5. 2-زيادتها

تحدّث أبو الفتح عن زيادة (لا) تأكيداً في مواضع كثيرة، وقال عن أمر زيادتها: "وهو كثيرٌ"⁶¹⁴، وقال أيضاً: "وزيادَةُ لا قد شاعت عنهم واتَّسَعَتْ"⁶¹⁵.

منها ما ذكره في حين شرح قول المتنبي⁶¹⁶:

لا يَأْتَلِي في تَرْكِ أَلَّا يَأْتَلِي مقتحماً على المكان الأَهْوَلِ

وأراد: لا يأتلي في ترك أن يأتلي. أي: لا يقصِّرُ في ترك التقصير.... فزاد لا تأكيداً، كما قال الراجز:

في بئرٍ لا حورٍ سرى وما شَعَرَ

أي: في بئرٍ حورٍ، ومثله قوله تعالى: "لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ" (الحديد 29/57)، أي: ليعلم. وقال أبو النجم:

وما ألومُ البِيضَ أَلَّا تسخرأ وقد رأين الشَّمَطَ القَفَنَدرا

⁶¹²أي لام التوكيد.

⁶¹³ابن جني، بقیة الخاطريات، 54.

⁶¹⁴ابن جني، المحتسب، 116/1.

⁶¹⁵ابن جني، المحتسب، 180/1.

⁶¹⁶ابن جني، الفسر، 130/3.

وكذلك حُملت (لا) على الزيادة في قوله تعالى: "فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النَّجُومِ" (الواقعة 75/56)⁶¹⁷،

ومنه قوله تعالى: "وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ" (الأنعام 109/6)، أي: "وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون"⁶¹⁸، وقوله تعالى: "وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ" (الأنبياء 95/21)⁶¹⁹.

وزيادتها هي أحد الأوجه الإعرابية التي ذكرها في قول الشاعر:

أبى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله⁶²⁰

أي: أبى جوده البخل.

ويسمّيها "زائدة لتوكيد النفي" في قول الشاعر:

ولن يجد الناس الصديق ولا العدا أديمي إذا عدوا أديمي واهيا

قال: "زاد (لا) مؤكدة للنفي وفاصلة بين معنيين.... فإذا قلت: ما جاني الصديق والعدو، جاز أن يكون قد جاءك بعض أولئك، وإذا قلت: ما جاني الصديق ولا العدو، لم يجز أن يكون جاءك أحد منهم. فهذا هو الفرق"⁶²¹.

وكذلك زيدت في قول الشاعر:

من غير لا عصف ولا اصطراف

أي: من غير عصف⁶²².

⁶¹⁷ابن جني، المحتسب، 309/2.

⁶¹⁸ابن جني، المحتسب، 181/1.

⁶¹⁹ابن جني، المحتسب، 65/2.

⁶²⁰ابن جني، الخصائص، 35/2.

⁶²¹ابن جني، التنبيه، 135.

4. 5. 3- حذفها

وحذفها يكون في صورتين:

الأولى: أن تُحذف وحدها مع إمكانية تقدير حذف المضاف. كما في قول المتنبي:

ما يَنْقُمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ وَأَنْ تَكُونَ الْمُثُونُ آلافا

"وأراد: ألا تكون فحذف لا، أو يكون على حذف المضاف وكأنه قال: غير قتلهم وغير كون

المئين آلافا"⁶²³.

الثانية: أن تُحذف مع لام التعليل مع إمكانية تقدير حذف المضاف. كما في قول الشاعر:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلًا لِأَضْيَافٍ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا الْقَرَى أَنْتَشْتُمُونَا

"قالوا: معناه: لنلا تشتمونا"⁶²⁴، لكنه "حذف لا، وحسن ذلك أنَّ المعنى معروف"⁶²⁵، وهذا

يستلزم تقدير لام التعليل قبل (أن) كما هو ظاهر، "ويَحْتَمِلُ أن يكون: مخافة أن تشتمونا، فحذف المضاف"⁶²⁶.

⁶²²ابن جني، التنبيه، 152.

⁶²³ابن جني، الفسر، 456/2.

⁶²⁴ابن جني، الفسر، 456/2.

⁶²⁵ابن جني، الفسر، 169/3.

⁶²⁶ابن جني، الفسر، 456/2.

4. 6- ما

رغم أنَّ بابَ (ما) في الأدوات النحوية هو بابٌ واسعٌ جداً، إلا أنَّ أبا الفتح لم يُغنِ الحديث عنها بشكلٍ موسَّع، فمن أنواعها ما ذكره على عُجالةٍ في مَعْرِضٍ توجيهِه آيةً قرآنيةً أو تخريجه بيتاً من الشعر.

4. 6. 1-أنواعها ومعانيها

4. 6. 1. 1- ما النافية: ويسمِّيها "النافية للحال"⁶²⁷.

4. 6. 1. 2- ما الموصولة

ذكرها في الأسماء الموصولة في باب (الموصول والصلة) من كتاب (اللمع)⁶²⁸، والأصل أنها مختصةٌ بالعاقل؛ لكنها قد تخرج عن هذا الأصل لاعتذارٍ يتعلَّق بالمعنى. كما وقع في قوله تعالى: "إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ" (المؤمنون 6/23) وقوله تعالى: (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) (الشعراء 165/26، 166). فقد استُخدمت (ما) هنا للدلالة على العاقل "من حيثُ كان مؤنثاً، وليست للمرأة عِصْمَةُ الْمُذَكَّر. فكانَ المرأةُ لتأنيثِها - بالإضافة إلى الرجل - مَالٌ أو متاعٌ"⁶²⁹.

ولا يترك رأيه هذا دون دليل يعضد رأيه فيأتي بقوله تعالى: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ" (البقرة 223/2)، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: المرأة ضلع عوجاء. ثم يقول: "وهذا وإن كان مثلاً فقد أُشِمَّ رائحةٌ مما نحن عليه؛ لأنه عُفِيَ عنها كما يعفى عن البهائم، وكذلك قولهم: (المرأة

⁶²⁷ابن جني، الخصائص، 1/167.

⁶²⁸ابن جني، اللمع، 124.

⁶²⁹ابن جني، الخاطريات، 51.

لحم على وضم). وهذا ونحوه مما يكاد يخرج به المؤنث عن تمام العقل واستحكامه، ولم يذكره أحد من أصحابنا، وفيه ما تراه من صحة معناه".

وإذا كان في هذه الآية أطلال في تعليل مجيئها للعاقل، فهو في مقام آخر لم يقدم تعليلاً لذلك. نحو ما وقع في قول الشاعر:

رويق إني وما حجّ الحبيج له وما أهلاً بجنبي نخلة الحرّم

فقد أعطى (ما) في الشطر الأول عدّة أوجه. أحدها "أن تكون عبارة عن القديم - تعالى - على ما حكاه أبو زيد عن العرب في قولهم: سبحان ما سحرّكنّ لنا، وسبحان ما يسبح الرعد بحمده"⁶³⁰.

وفي شواهد أخرى لم يجزم بأنها موصولة بل أجاز فيها أنها موصولة أو استفهامية حيناً، وأنها موصولة أو مصدرية حيناً آخر.

فمن الأول قول الراجز:

قد علمت والدّة ما ضمت ما لففت في خرقٍ وشمّت

(ما) في الشطر الثاني يجوز فيها أنها موصولة، فتكون بدلاً من الموصولة في الشطر الثاني، أو تكون استفهامية، مفعولاً للفعل (لففت)، والجملة بدل من الجملة الأولى⁶³¹، وفي هذا الشاهد لا نراه يرجح وجهاً.

وفي شاهد آخر رجّح بين الوجهين. هو قول الشاعر:

لم أر مثلاً الفتيان في غبن الـ أيام ينسون ما عاقبها

⁶³⁰ابن جني، التنبيه، 339.

⁶³¹ابن جني، التنبيه، 153.

فيجوزُ أن تكونَ موصولةً على حذف المبتدأ من جملة الصلة، أو استفهاميةً علقتِ الفعلَ (ينسَوْنَ)، ويبدو أنه رجَّح أنها موصولةٌ؛ ولهذا قال: "وعلى الوجه الأول حملَه أصحابنا"⁶³².

ومن الثاني: قول الشاعر:

والمرءُ يبخل في الحقوق وللكاللةِ ما يُسيم

يقول: "إن شئتَ كانت (ما) مفعولاً به في المعنى. أي: للكاللة المال الذي يسيمه، وإن شئتَ كانت مصدرًا. أي: للكاللة إسامته"⁶³³.

4. 6. 1. 3-المصدرية

أفرد في (اللُّمع) باباً سمَّاه (باب الحروف الموصولة)⁶³⁴، ويعني بالحروف الموصولة الحروف المصدرية التي ذكر منها (ما). "كما في قولنا: سرَّني ما قمتَ. أي: قيامك، وعجبتُ مما قعدتَ. أي: من قعودك. قال الله سبحانه: "وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" (البقرة 10/2) أي: بتكذيبهم"⁶³⁵.

وفرق ما بينَ هذا النوعِ والذي سبقه، هو احتياجُ الموصولةِ إلى عائِدٍ للصلة، واستغناء المصدريةِ عن ذلك؛ ولهذا رجَّح المصدريةَ في بعض الشواهد التي خلت من العائد؛ لأن عدمَ التقديرِ أولى من التقدير. فعل ذلك حين ذكر قوله تعالى: "فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ" (الحجر 94/15)، إذ بيَّن أنَّ تقديرَ المصدريةِ يجعلُ الأمرَ سهلاً والخطبَ خفصاً⁶³⁶.

⁶³²ابن جني، المُحتسب، 1/ 235.

⁶³³ابن جني، التتبيه، 298.

⁶³⁴ابن جني، اللُّمع، 129.

⁶³⁵ابن جني، اللُّمع، 129.

⁶³⁶ابن جني، التتبيه، 231.

وغريبٌ من آرائه ما ذكره في قول الشاعر:

وَلَمَّا بَقِيَتْ لِيَبْقِيَنَّ جَوَى بين الجوانحِ مُضِرْعٌ جَسْمِي

فقد ذكر أن الشاعر في هذا البيت "جعل (ما) المصدرية شرطاً وأدخل عليها اللام الموطئة للام القسم..... ومثل ما في هذه من المجازاة بها ما أنشده أبو العباس -أظنه للفرزدق:-

فما تكُ- يابن عبد الله فينا - فلا ظلماً نخافُ ولا افتقاراً⁶³⁷

وقد ذكرنا (ما) واللام فيها في قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ۖ وَلَتَنْصُرُنَّهُ" (آل عمران 81/3) في مكان آخر⁶³⁸، فقد سمى (ما) هنا مصدرية حملت معنى الشرط.

4. 6. 1. 4-الاستفهامية

الشواهدُ عليها أكثر من العدِّ، والمهمُّ أنها قد تقتَرَنُ بمعنى التعجُّب، نحو ما جاء في قول المتنبي:

أَيَّنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ما قَوْمُهُ ما يَوْمُهُ ما الْمَصْرَعُ؟

قال: "وقوله: ما قَوْمُهُ ما يَوْمُهُ ما الْمَصْرَعُ؟ لفظُهُ استفهامٌ ومعناه التعجُّب"⁶³⁹.

ويَضْرِبُ من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: "الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ" (الحاقة 1/69، 2)، وقول الأعشى:

⁶³⁷ ورد هذا البيت في متن النسخة المعتمدة هكذا: فَإِنَّكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِينَا فلا ظلماً نخافُ ولا افتقاراً

وغريبٌ من محققي الكتاب أنهما غفلتا عن أنه بهذه الصورة لا شاهد فيه رغم أنهما وثقتا البيت من ثلاثة كتب! وفيه أيضاً إثبات الألف من (ابن) بعد (يا).

⁶³⁸ ابن جني، التنبيه، 304.

⁶³⁹ ابن جني، التفسير، 407/2. وجاء فيه: (لفظة استفهام ومعناه التعجب)، وإخال أن الصواب ما أثبت.

بانت لَتَحْرُنَّا عَفَارَةً يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَةٌ؟⁶⁴⁰

ومن خصائص (ما) الاستفهامية أَنْ أَلْفَهَا تُحَذَفُ إِذَا سَبَقَهَا حَرْفُ جَرٍّ. كما في قول

المتنبي:

حَتَامَ نَحْنُ نُسَارِي النَجْمَ فِي الظُّلْمِ؟ وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ؟

يقول: "حتام، أي: إلى متى، وحتى أي شيء، والأصل: حتى ما، فحذفت الألف؛ لأن (حتى) حُلِطَتْ بـ(ما) فصارت كالجاء الواحد، وكثُرَ به أيضاً الاستعمال. ومثله: فيمَ وعلامَ ومِمَّ وعمَّ، ويجوز: إلى ما، وعلى ما، وحتى ما، على الأصل. قال حسان:

على ما قام يشتمني لنيمٍ كخنزيرٍ تمرَّغَ في رَمَادٍ⁶⁴¹

هو في هذا المقبوس يذكر جواز إثبات الألف؛ لكنه يذكر ضعف ذلك في قراءة عكرمة وعيسى شذوذاً قوله تعالى: "عَمَّا يَتَسَاءَلُونَ" (النبأ 1/78)⁶⁴². قال أبو الفتح: "هذا أضعف اللغتين، أعني إثبات الألف في (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جَرٍّ، وروينا عن قطرب لحسان:

على ما قام يشتمني لنيمٍ كخنزيرٍ تمرَّغَ في دَمَانٍ⁶⁴³

4. 6. 1. 5- النكرة الموصوفة

نكر لها هذا الوجه في قوله تعالى: "هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ" (ق 23/50) "أي: هذا شيء لديّ

عتيدٌ"⁶⁴⁴.

⁶⁴⁰ابن جني، التفسير، 407/2.

⁶⁴¹ابن جني، التفسير، 606/3.

⁶⁴²قراءة حفص عن عاصم: "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ".

⁶⁴³ابن جني، المحتسب، 347/2.

⁶⁴⁴ابن جني، التفسير، 628/2.

4. 6. 1. 6-العامة عمل (ليس)

تعملُ (ما) عملَ (ليس) رفعاً ونصباً، "وُثِّبَهُ ما بـ(ليس) في لغة أهل الحجاز، فيقولون: ما زيدٌ قائماً، وما عمرو جالساً، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى (هل) فلا يُعملونها، فيقولون: ما زيدٌ قائمٌ"⁶⁴⁵.

ويرى أن القياس إهمالها على لغة بني تميم "من حيث كانت عندهم ك(هل) في دخولها على الكلام مباشرة كل واحد من صدرَي الجملتين: الفعل والمبتدأ"⁶⁴⁶، ولذلك "كانت عند سيبويه لغة التميميين أقوى قياساً من لغة الحجازيين"⁶⁴⁷.

ورغم ذلك، "أكثر المسموع عنهم إنما هو لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن"⁶⁴⁸، وهي "أسير استعمالاً"⁶⁴⁹، لكن مع كثرة استعمالها يبقى عملها ضعيفاً. يقول: "فكأنك من الحجازية على حرد، وإن كثرت في النظم والنثر"⁶⁵⁰.

ولأن عملها فرع من جهة، وبعيد عن القياس من جهة ثانية، فقد قيدَ بشروط نفهمها من حديثه عما يُبطل عملها. نحو:

- تقدم الخبر على المبتدأ: نحو: ما قائمٌ زيدٌ.

⁶⁴⁵ ابن جني، اللّمع، 39.

⁶⁴⁶ ابن جني، الخصائص، 1/125.

⁶⁴⁷ ابن جني، الخصائص، 1-167.

⁶⁴⁸ ابن جني، الخصائص، 2/260.

⁶⁴⁹ ابن جني، الخصائص، 1/125.

⁶⁵⁰ ابن جني، الخصائص، 1/125.

- نقضِ النفي بـ(إلا) في دخولها قبل الخبر: نحو: ما زيدٌ إلا قائمٌ. ولهذا وقفَ على قول المتنبي:

وما شَرَقِي بالماءِ إلا تذكُّراً لماءٍ بهِ أهلُ الحبيبِ نزولُ

فقال: "وليس نصبُ (تذكر) لأجل (ما) على حدِّ قولك: ما زيدٌ قائماً. لو كان كذلك لرفعهُ لدخول (إلا). ألا ترى أنه لا يجوز: ما زيدٌ إلا قائماً؟ بل الرفعُ لا غير"⁶⁵¹. ثم إنه يوجِّهُ النصبَ على أنه حالٌ وقع فيه المصدر موقع اسم الفاعل، أي: "متذكِّراً".

يقول بعد ذكرِ الأمرين: "فإن قدَّمتَ الخبرَ أو نقضتَ النفيَ بإلا لم يَجُزْ فيه إلا الرفعُ"⁶⁵². ويقول: "فمتى رابك من الحجازية ريبٌ من تقديم الخبرِ أو نقضِ النفي، فزعتَ إذ ذاك إلى التميمية"⁶⁵³.

4. 6. 2-زيادتها

لزيادة (ما) عند ابن جني وضعٌ خاصٌّ، إذ إنه لم يتحدث عن زيادتها بشكل نظريٍّ وحسبٍ، بل نستطيعُ تلمُّسَ زيادتها في ثنايا كلامه، فلا يكادُ يخلو مؤلَّفٌ له من عشرات المواضع التي يزيِّدُ فيها (ما) حتى صار ذلك أسلوباً له جارياً.

أما زيادتها في الكلام العربي فلها عنده أنواع:

4. 6. 2. 1-الزائدة للتوكيد (غير الكافة)

وهذه لها مواضعُ:

⁶⁵¹ابن جني، الفُسر، 812/2.

⁶⁵²ابن جني، اللُّمع، 39.

⁶⁵³ابن جني، الخصائص، 125/1.

4. 6. 2. 1- بين الجار والمجرور

ودليل عدم كفاها الجار بقاء الاسم بعدها مجروراً على حاله قبل دخولها. ومما ذكره شاهداً على هذه الحالة قوله تعالى: "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ" (النساء 155/4)، وقوله تعالى: "قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ" (المؤمنون 40/23)، وقوله تعالى: (مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا) (نوح 25/71).
التقدير: فبنقضهم، عن قليل، من خطيئاتهم⁶⁵⁴.

ومن ذلك عدم كفاها (رب) عن عمل الجر. كما في قول المتنبي:

ورُبَّتْما حملة في الوغى تركت بها الذَّبلَ السَّمرَ سودا

"التاء في ربَّتْما للتأنيث، و(ما) زائدة. قال:

مـاويّ يا رُبَّتْما غارة شعواء كاللذعة بالميسم⁶⁵⁵

4. 6. 2. 1- بين الجازم والمجزوم

فقد زيدت بعد أسماء الشرط وبقي فعل الشرط مجزوماً. كما في قوله تعالى: (أَيَّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ) (النساء 78/4)، وقوله تعالى: "أَيَّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى" (الإسراء 110/17)، وقوله تعالى: "فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا" (مريم 26/19)⁶⁵⁶.

4. 6. 2. 3- بين الفعل ومعموله

قال بزيادتها في قراءة أبي وابن مسعود قوله تعالى: "وباطلاً ما كانوا يعملون"⁶⁵⁷ (الأعراف 139/7)، فرأى أن (ما) هنا "زائدة للتوكيد"⁶⁵⁸ بين خبر كان (يعملون) ومعموله (باطلاً).

⁶⁵⁴ ابن جني، الخصائص، 1/168.

⁶⁵⁵ ابن جني، الفسر، 1/969.

⁶⁵⁶ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 2/27.

4. 6. 2. 1-4 بين المتعاطفين

وهذا من أغرب مواضع زيادتها. قال الشاعر:

فأضحت زهيرٌ في السنين التي مضت وما بعدُ لا يُدْعَىونَ إلا الأشائما
قال أبو الفتح: "ينبغي أن تكون (ما) من قوله (وما بعدُ) زائدةً، وتقديره: وبعدُ"⁶⁵⁹.

4. 6. 2. 2- الزائدة لغير التوكيد (الكافة)

ذكر ابنُ جني كَفَّ الفعل (قَلَّ) عن رفع الفاعل بـ(ما). كقولهم: قَلَّما يقومُ زيدٌ. "وجاز عندهم إخلاءُ الفعل من الفاعل لِمَا دَخَلَهُ من مشابهةِ حرفِ النَّفْيِ"⁶⁶⁰. وهذه العلةُ لطيفةٌ في بابها.
ومن الحالاتِ ما يَحْتَمِلُ النوعَ الأولَ والثاني. نحو: لَيْتَما. "ألا ترى أن بعضَهم يركَّبُهما جميعاً، فيسلُبُ بذلك (ليت) عملَها، وبعضُهم يُلغي (ما) عنها، فيُقرُّ عملَها عليها"⁶⁶¹.
فإن قيل: لِمَ اختصت بجواز بقاءِ العملِ مع أن بقيةَ أخواتها مثل (كَأَنَّ ولعلَّ) تُكفُّ حتماً بـ(ما)؟

فالجوابُ عنده أنها "أشبهُ بالفعلِ منهما. ألا تراها مفردةً وهما مركبتان؛ لأن الكافَ زائدةٌ واللامَ زائدة"⁶⁶². فكانه أرجعَ قوةَ عملِها إلى كونها مفردةً، فيفهمُ أنَّ المفردَ عنده أقوى عملاً من المركَّب،

⁶⁵⁷قراءة حفص عن عاصم: "وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ".

⁶⁵⁸ابن جني، المُحتسب، 321/1.

⁶⁵⁹ابن جني، التنبيه، 142.

⁶⁶⁰ابن جني، الخصائص، 124/2.

⁶⁶¹ابن جني، الخصائص، 167/1.

⁶⁶²ابن جني، الخصائص، 168 /1.

وإذا سلّمنا له بذلك فما بالُ (إِنَّ وَأَنَّ) كُفَّتَا بـ(ما) ولم يُعملْهُمَا أحدٌ مثل (ليت) مع أنهما مفردتان لا مُركبتان؟!.

4. 6. 2. 3- الزائدة للعوض

زيدت (ما) تعويضاً عن (كان). نحو: أمّا أنتَ منطلقاً انطلقتُ معك. "تقديره: لأنّ كنتَ منطلقاً انطلقتُ معك، فحُذِفَ الفعلُ فصار تقديره: لأنّ أنتَ منطلقاً، وكُرِهَتْ مباشرة (أن) الاسمَ فزيدت (ما) عوضاً من الفعل ومُضِلِحَةً لِلْفِعْلِ"⁶⁶³. وجاء هذا في قول الشاعر:

أبا خراشةً أمّا أنتَ ذا نَفَرٍ فإنّ قومي لم تأكلْهُمُ الصَّبْعُ
يرى "أن معناه: لئن كنتَ ذا نفرٍ. فلمّا حُذِفَتْ (كان) عَوَّضَتْ منها (ما)"⁶⁶⁴.

4. 6. 2. 4- الزائدة شذوذاً

يرى أنّ زيادة (ما) مقبولةٌ في حشو الكلام، دون أن يحدّد أماكن ثابتةً لهذه الزيادة⁶⁶⁵. لكنّ "من اتّسع بزيادة(ما) حشواً وغير أول لم يستحِزْ زيادتها أولاً إلا في شاذٍّ من القول. نحو قوله:

وقد ما هاجني فازددتُ شوقاً بكاءُ حمامتينِ تجاوبانِ
فيمن رواه (وقد ما) بزيادة (ما) على أنه يريد (وقد هاجني)، لا فيمن رواه فقال: (وقدماً هاجني) أي: وقديماً هاجني"⁶⁶⁶.

4. 6. 2. 5- الزائدة اللازمة

⁶⁶³ابن جني، الخصائص، 381/2.

⁶⁶⁴ابن جني، التنبيه، 58 - المؤلف نفسه، الخصائص، 381/2.

⁶⁶⁵وخير دليل على ذلك أسلوبه في زيادتها في مواضع كثيرة جداً لا حصر لها.

⁶⁶⁶ابن جني، الخصائص، 290/1.

يقول: "وذلك أنَّ من الزوائد ما يلزم البتّة. وذلك قولهم: افعله آثراً ما. أي: أول شيء، ف(ما) زيادة لا يجوز حذفها"⁶⁶⁷.

4. 7- من

4. 7. 1- المعاني

4. 7. 1. 1- الابتداء (ابتداء الغاية)

ويجعل المعنى الأساسي لها. لذلك يقول: "فمعنى (من) الابتداء. تقول: سرّت من البصرة إلى بغداد. أي: ابتدأت السير من البصرة"⁶⁶⁸. وظاهر أنه يريد الغاية المكانية لا الزمانية؛ لأن ما استُخدم للغاية الزمانية هو (مُدّ)، إلا أنَّ (من) جاءت بمعنى (مذ) في مجموعة من الشواهد. نحو قوله تعالى: "لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ" (التوبة 108/9)، وقول الشاعر:

أَتَعْرِفُ أَمْ لَا رَسَمَ دَارٍ مُعْطَلًا مِنْ الْعَامِ تَمَحَاهُ وَمِنْ عَامٍ أَوَّلًا
وقوله:

مِنْ غَدْوَةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَا بِالْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ نَكَسَى وَرَسَا
وقول الشاعر:

مِنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقَتْلُهَا

⁶⁶⁷ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1/272.

⁶⁶⁸ابن جني، اللّمع، 59.

المعنى في الشواهد: منذ أول يوم، منذ العام، منذ غدوة، منذ عهد عاد⁶⁶⁹.

4. 7. 1. 2-التبويض

كقولك: أخذتُ من المال. أي: بعضه، وشربت من الماء. أي: بعضه⁶⁷⁰. ومعنى التبويض
أحد الأوجه التي أجازها في قول المتنبي:

كفى بأنك من قحطان في شرفٍ وإن فخرت فكلُّ من مواليكَا

فقد أجاز هنا أن تكون (من) للتبويض "كأن مواليه قحطان وغيرهم من الناس"⁶⁷¹.

4. 7. 1. 3-التجريد

سَبَقَ الحديثُ عَنِ التجريدِ وَنَوْعِيهِ وحروفه، وَأَنَّ (مِنْ) هي أحدُ حروفِ التجريدِ وَفَقَّ ابْنِ
جَنِّي. ومن أمثلتها قول الأعشى:

لَا تَ هُنَّ ذَكَرَى جَبِيرَةً أَمْ مَنَ جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الْأَهْوَالِ

"وهي نفسها الجائئة بطائف الأهوال"⁶⁷².

وذكر أبو الفتح قول المولّد:

طِيفُ أَتَاكَ مُعْطَرًّا وَالطِيفُ لَا يَتَعَطَّرُ

من زينبٍ فلثمته طرباً وزينبُ تنظرُ

⁶⁶⁹ابن جني، التنبيه، 130-131.

⁶⁷⁰ابن جني، الأملع، 59.

⁶⁷¹ابن جني، الفسر، 2/622.

⁶⁷²ابن جني، الخصائص، 2/474.

فوقَفَ عندَ معنى (مِنْ زَيْنِبٍ) فرأى في (مِنْ) معنى التجريدِ فالطيف هو زينبُ نفسها "فيكون حينئذٍ من باب:

..... يأبى الظلّامة منه النوفلُ الزفرُ

وهو نفسه النوفلُ الزفر⁶⁷³.

4.7.1-4 معنى الإضافة

وهو معنى غريب لها. ذكره عند حديثه عن الباء التي تأتي بهذا المعنى. نحو قولنا: عجبْتُ من بكر، أَضَفْتُ عَجَبَكَ من بكر إليه ب(من)⁶⁷⁴.

4. 7. 1-5 من التفضيلية

سمَّيْتُهَا كَذَلِكَ لِأَطْرَادِ مَجِيئِهَا بَعْدَ اسْمِ التَّفْضِيلِ. كَقَوْلِنَا: زَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو. وَسَمَّيْتُهَا أَنَا تَحْمِلَ مَعْنَى التَّخْصِيسِ؛ وَلِذَلِكَ امْتَنَعَ اقْتِرَانُهَا بِاسْمِ التَّفْضِيلِ الْمَعْرُوفِ بِ(أَل) "نَحْوُ: الْأَحْسَنُ مِنْهُ، وَالْأَطْوَلُ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ (مِنْ) - لِعَمْرِي - تُكْسِبُ مَا تَتَّصِلُ بِهِ مِنْ (أَفْعَل) هَذَا تَخْصِيساً مَا. أَلَا تَرَكَ لَوْ قُلْتَ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ فَرَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ ابْنِ سَيَرِينَ، لَمْ يَسْبِقِ الْوَهْمُ إِلَّا إِلَى الْحَسَنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَبِ(مِنْ) مَا صَحَّتْ لَكَ هَذِهِ الْفَائِدَةُ. وَإِذَا قُلْتَ: الْأَحْسَنُ أَوْ الْأَفْضَلُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَوْعَبْتَ اللَّامُ مِنَ التَّعْرِيفِ أَكْثَرَ مِمَّا تَقِيْدُهُ (مِنْ) مِنْ حَصَّتْهَا مِنَ التَّخْصِيسِ"⁶⁷⁵. وَلِذَلِكَ خَطَأً أَبُو الْفَتْحِ الْجَاظُ الَّذِي ظَنَّ أَنَّ تِلْكَ الْقَاعِدَةَ مَخْرُوقَةٌ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاتِرِ

⁶⁷³ابن جنى، المُبْهَج، 161 - المؤلف نفسه، الفتح الوهبي، 169.

⁶⁷⁴ابن جنی، سر صناعة الإعراب، 1/134.

⁶⁷⁵ابن جنی، الخصائص، 3/233.

"وذلك أَنَّ (من) هذه ليست هي التي تصحب (أفعل) هذا لتخصيصه فيكونَ ما رامه أبو
عثمانَ من جمعها مع لام التعريف؛ وذلك لأنها إنما هي حالٌّ من تاء (لست). كقولك: لست فيهم
بالكثير مالا، وما أنت منهم بالحسن وجهاً. أي: لست من بينهم وفي جملتهم بهذه الصفة"⁶⁷⁶.

وهو يُجيز في (من) هذه تقدّمها على اسم التفضيل. كما في قول الشاعر:

وقالت لنا: أهلاً وسهلاً وزوّدتْ جنى النخلِ أو ما زوّدت منه أطيبُ

"يريد: أطيب منه، فقدم (منه)"⁶⁷⁷.

4. 7. 2-زيادتها

يذكرُ في زيادتها رأيين:

أولهما لسيبويه الذي يرى زيادتها في الكلام المنفيّ فقط. فإذا وردَ من الشواهد ما يعاكسُ ذلك
حمّله على الحذف والتأويل.

وثانيهما: رأيُ الأخفش الذي يرى زيادتها في النفي والإثبات.

وكانَ أبا الفتح يرى كرايَ الأخفش، لأنه يقولُ عنه: "ويُحكى عن العرب في تصحيحه قولها:
قد كان من مطرٍ، وقد كان من حديثٍ فخلّ عني. أي: قد كان مطرٌ، وقد كان حديثٌ"⁶⁷⁸.

وعلى كلا التوجيهين - بلا ترجيحٍ منه - جاء قول الشاعر:

فإن يك خيراً أو يكنْ بعضُ راحةٍ فإنك لاقٍ من غمومٍ ومن كربٍ

⁶⁷⁶ابن جني، الخصائص، 3/234.

⁶⁷⁷ابن جني، التفسير، 1/537.

⁶⁷⁸ابن جني، التنبيه، 49. ووردت في النسخة المعتمدة (من حديث)، والصواب أن (من) محذوفة.

"هذا على مذهب صاحب الكتاب على تقدير موصوفٍ محذوف. أي: لاقٍ شيئاً من غمومٍ أو طرفاً من همومٍ ونحو ذلك. وعلى قول أبي الحسن على زيادة (من) في الواجب. أي: لاقٍ غموماً"⁶⁷⁹.

4. 7. 3- حذفها

ذكر حذفها في قول الشاعر:

وبيضاء من نسج ابن داود نثلةً تخيّرُتها يومَ اللقاءِ الملابسُ

قال: "وأراد: تخيّرُتها من الملابس فحذف حرف الجرِّ فأوصل الفعل. كقول الله تعالى: "وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا" (الأعراف 155/7). أي: من قومه، فهو مثله في الحذف"⁶⁸⁰. وعلى نحو من هذا حُذِفَتْ في قول المتنبي:

قد اخترتُكَ الأملاكَ فاخترُ لهم بنا حديثاً وقد حكمتُ رأيكَ فاحكُم

"أراد: من الأملاك، فحذف (من)، فوصل (اخترتك) إليه، فنصبه"⁶⁸¹.

كما ذكر حذف (من) التجريدية للعلم بها في قول الشاعر:

أضحت أمورُ الناسِ يغشَيْنَ عالماً بما يتقى منها ومــــا يتعمدُ

"أي: يغشَيْنَ مني عالماً، فحذفه للعلم به"⁶⁸².

وإذا كان فيما أوردنا يذكرُ الرأيين، فهو بعض الأحيان يُغفل رأيَ سيبويه تماماً، ويكتفي برأي الأَخفش. نحو ما وقع في قول المتنبي:

⁶⁷⁹ابن جني، التنبيه، 309.

⁶⁸⁰ابن جني، التنبيه، 174.

⁶⁸¹ابن جني، التفسير، 589/3.

⁶⁸²ابن جني، التنبيه، 292.

كفى بأنك من قحطان في شرفٍ وإن فخرت فكلُّ من مواليك

"أراد: كلُّ مواليك، وزاد (من) في الواجب. كقول الله عز وجل: "وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ" (النور 43/24). قالوا: معناه: فيها برَدٌ"⁶⁸³.



⁶⁸³ ابن جني، التفسير، 621/2.

الخاتمة

بعد إتمام رسالتي الموسومة بـ "الأدوات النحوية عند ابن جنّي"، أستطيع القولُ إنني -بفضل الله- وجهتُ الضوءَ قدرَ استطاعتي، على جانبٍ جدٍّ مهمٍّ من تراثِ أحدِ أكابر النحو العربيّ، في موضوع الأدوات النحوية، الذي أسلفتُ في المقدمة أنه أحد مظاهر تطور التفكير في النحو، مع ما لهذا الباب من الكلام من أهمية فريدة في الفهم الدقيق لتفسير القرآن وشرح الشعر العربي واستيضاح الكلام المنثور.

وأزعم أنني خرجتُ بمجموعة من النتائج والتوصيات، أهمّها:

النتائج

- سار ابن جنّي في تأويل معاني الأدوات النحوية التي ناقشها البحث، على غرار فكره النحويّ عموماً، غيرَ متزمّتٍ بآراء علماء مدرسته، مخالفاً إياها في كثير من الأحيان، راسماً لنفسه منهجاً خاصاً بعيداً عن التعصّب للمذهب.

- الأسلوب الأشبه بأسلوب الأمالي في كتب ابن جنّي طبع آراءه بالأدوات النحوية بما نعهده اليوم نقصاً في المنهج وتلباً في النظرية، إذ إن نثر الآراء هنا وهناك دون تبويب واضح أوقع الرجل في التكرار كثيراً، وفي التناقض أحياناً.

- أسلوب التعليل الذي سلكه ابن جنّي في معالجة معاني الأدوات كان يمكن أن يكون تفرّداً له عمن سبقوه أو لحقوه من العلماء الذين خاضوا هذا الغُباب، لولا أنه أغرق في التعليل حدّ الإطالة، ولولا أنه لم يَصنع طريقاً لاجباً في اتباع التعليل كلما احتاج الأمر ذلك.

- عناية ابن جنّي بالأدوات لم تأتِ على مستوى واحد، إذ إن بعض الأدوات أهمل الحديث عنها تماماً أو إنه مرّ عليها مرور الكرام، وهي مما لم يناقشه البحث، وبعضها أكثر في الحديث عنه وأطال في تبين معانيه وأقسامه.

التوصيات

أقترح البحث في الأدوات النحوية عند أبي علي الفارسي الذي يُعد الأستاذ والعَرَّاب الأكبر لابن جني، ولا شك أن البحث بتراث الفارسي النحوي سيكون أوسع وأكبر.

وأقترح كذلك بحثاً مفرداً للأدوات النحوية في القرن الرابع الهجري خصوصاً، لما اجتمع فيه من تيارات نحوية وفكرية عظيمة أثّرت في كل العصور اللاحقة، ولما ضمّه هذا القرن من أكابر النحاة وأساطينهم.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفّقت بإضافة نتائج جديدة في هذه الدراسة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1998).

ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين*، تح: جودة مبروك، ط1، (القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *التمام في شرح أشعار هذيل ممّا أغفله أبو سعيد السكّري*، تح: أحمد ناجي القيسي وآخرين، ط1، (بغداد، مطبعة العاني، 1962).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *المُبْهَج في تفسير أسماء شعراء الحماسة*، تح: حسن هنداي، ط1، (دمشق، دار القلم، 1987).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي*، تح: محسن غياض، د.ط، (بغداد، مطبوعات وزارة الإعلام، 1973).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *بقية الخاطريات*، تح: محمد الدالي، د.ط، (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1992).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *الفسر، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي*، تح: رضا رجب، ط1، (دمشق، دار الينابيع، 2004).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *اللمع في العربية*، تح: سميح أبو مغلي، ط1، (الأردن، دار مجدلاوي، 1988).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *تفسير أرجوزة أبي نواس*، تح: محمد بهجة الأثري، ط2 (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ت).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، د.ط، (مصر، دار الكتب المصرية، د.ت).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن إسماعيل، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2000).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وآخرين، د.ط، (القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1994).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخاطريات، تح: علي ذو الفقار شاکر، ط1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة، تح: سيدة حامد عبد العال، تغريد عبد العاطي، د.ط، (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2010).

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تح: علي فاعور، د.ط، (المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية، د.ت).

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، (بيروت، المكتبة العصرية، 1991).

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد نوري بارتجي، ط1، (الرياض، دار المغني، 2008).

الأشموني، علي بن محمد، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1955).

الباخرزي، علي بن الحسن، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تح: محمد راغب الطباخ، ط1، (حلب، مطبعة الطباخ، 1930).

البيضاوي، عبد الله بن عمر، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، د.ط، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، *معجم الأندباء*، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ط1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993).

الرماني، علي بن عيسى، *معاني الحروف*، تح: عرفان سليم العشاء، د.ط، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ت).

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق، *اللآمات*، تح: مازن المبارك، ط2، (دمشق، دار الفكر، 1985).

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق، *حروف المعاني*، تح: علي توفيق الحمد، ط2، (بيروت، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، 1986).

الزمخشري، محمود بن عمر، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل*، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، (الرياض، مكتبة العبيكان، 1998).

السامرائي، فاضل صالح، *ابن جني النحوي*، د.ط، (بغداد، دار النذير، 1969).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، *مُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1965).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، *المُزهر في علوم اللغة وأنواعها*، د.ط، (بيروت، 1986).

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين، *الديوان*، د.ت، ط1، (إيران، وزارة الإرشاد الإسلامي، 1406هـ).

الصغير، محمود أحمد، *الأدوات النحوية في كتب التفسير*، ط1، (دمشق، دار الفكر، 2001).

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، د.ط، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1955).

القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 2006). 15-28.

القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1952).

المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد خرّاط، د.ط، (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ت).

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تح: محمد الدالي، ط3، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997).

المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992).

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، رسالة في اللامات، تح: طه محسن. (العراق، مجلة المورد، العددان 1-2، 1971).

الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد، الحجة في علل القراءات السبع، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2007).

سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط3، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988).

ضيف، شوقي، تيسيرات لغوية، د.ط، (القاهرة، دار المعارف، د.ت).

ضيف، شوقي، المدارس النحوية، ط7، (القاهرة، دار المعارف، د.ت).

عبد الله بن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ط20، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20،
(القاهرة، دار التراث، 1980).

فاضل، محمد نديم، التضمن النحوي في القرآن الكريم، ط1، (المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان،
2005).

ناصر، علي النجدي، تاريخ النحو، د.ط، (القاهرة، دار المعارف، د.ت).



T.C.
MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ
TÜRKİYE’DE YAŞAYAN DİLLER ENSTİTÜSÜ
ARAP DİLİ VE KÜLTÜRÜ ANABİLİM DALI

Yüksek Lisans Tezi

İBN CİNNÎ’DE DİLBİLGİSİ ARAÇLARI

Ahmed AL MOHAMMED

Tez Danışmanı
Dr. Öğr. Üyesi: Aslam JANKIR

Mardin–2024



T.C.

MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ

TÜRKİYE'DE YAŞAYAN DİLLER ENSTİTÜSÜ

ARAP DİLİ VE KÜLTÜRÜ ANABİLİM DALI

Yüksek Lisans Tezi

İBN CİNNÎ'DE DİLBİLGİSİ ARAÇLARI

Ahmed AL MOHAMMED

Tez Danışmanı

Dr. Öğr. Üyesi: Aslam JANKIR

Mardin–2024